



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّـة لخضر - الوادي -
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية - شعبة التاريخ



الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين
5-7هـ/11-13م.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ

تخصص : تاريخ وسيط وحديث

إشراف: أ.د. عاشوري قمعون

المشرف المساعد: علال بن عمر

إعداد الطالب:

صديقي محمد

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
البشير غانية	أستاذ محاضرا "أ"	جامعة الوادي	رئيسا
عاشوري قمعون	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
علال بن عمر	أستاذ محاضرا "أ"	جامعة الوادي	مشرفاً مساعداً
عمار غرايسة	أستاذ محاضرا "أ"	جامعة الوادي	عضوا مناقشا
أحمد بن خيرة	أستاذ محاضرا "أ"	جامعة الوادي	عضوا مناقشا
عبد القادر ربوح	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجلفة	عضوا مناقشا
سناء عطابي	أستاذ محاضرا "أ"	جامعة قالمة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1441-1442 هـ / 2020 - 2021م

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله تعالى.
إلى روح جدتي الحبيبة رحمها الله تعالى.
إلى كل أفراد عائلتي أدام الله العمر والصحة عليهم.
إلى زوجتي ورفيقة دربي.
إلى قرة عيني إبني يوسف وابنتي مارية.
أهدي عملي ورسالتي.

شكر وعرفان

نحمد الله ونشكره أن وفقنا لإتمام هذه الرسالة.

أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من:

- الأستاذ **عاشوري قمعون** أدام الله العمر والصحة عليه، بإشرافه على هذه الرسالة، وما قدمه لنا من توجيه وإرشاد.

- الدكتور مساعدًا للمشرف **علاء بن عمر** الذي تكبد عناء المتابعة والتصحيح والإرشاد والتوجيه.

- أعضاء لجنة المناقشة الكرام كل من الدكتور **غانية البشير** رئيساً، والدكتور **أحمد بن بن خيرة مناقشاً**، والدكتور **عمار غرايسة** مناقشاً، والأستاذ **عبد القادر ربوح** مناقشاً، والدكتورة **سناء عطابي** مناقشاً. أشكرهم لقبول مناقشة هذه الرسالة.

-السادة أساتذة التاريخ بجامعة حمّ لخضر الوادي.

-زملائي طلبة الدكتوراه وفقهم الله تعالى.

قائمة المختصرات

الرمز	الدلالة
ت	توفي
تح	تحقيق
مر	مراجعة
تر	ترجمة
(د ، ط)	بدون طبعة
(د، ت)	دون تاريخ
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة

يتضمن موضوع الأمراض والخدمات الصحيّة دراسة في الحياة الصحيّة للمجتمع المغربي خلال فترة من العصر الوسيط، فهو يعالج واقع من الأزمات الإنسانية التي حلت بالبلاد ورصدتها المصادر التاريخية. ولقد عالجت هذه الدراسة نماذج عن كيفية مواجهة العامّة والحكّام للأمراض والأوبئة التي ظهرت في البلاد، فالمرض والوباء لا يميّز بين فئات المجتمع كالفقير والغنيّ والحاكم والمحكوم، فهو إذا انتشر وذاع، خلف خسائر بشرية وأخرى مادية.

ولقد وُجد الداء وقابله الدّواء لقول رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»¹. فالمرض وُجد منذ أن خُلق الإنسان على هذه البسيطة، وتماشى معه الطبّ في معالجة تلك الأمراض والأوبئة. وبلاد المغرب مثلها مثل باقي البلدان التي عرفت أمراضا وأوبئة مختلفة اجتاحت كل مناطقها، وأحدثت خسائر شملت الإنسان وجوانبه الحضارية، وعلى إثر ذلك، تحولت الذهنيات إلى مجابهة مثل هذا الخطر الذي من شأنه أن هدّد الحياة العامّة.

أمّا إذا ما اتّجهنا إلى حال الدّول في بلاد المغرب الإسلامي في تلك الفترة خاصّة القرن السادس، سنجد أنّها ساهمت في عملية التّطور الحضاري، وميّز عواصمها مركزها العلميّ الهام، فقد كانت تُشدُّ إليها الرّحال للتزوّد بالعلوم المتعدّدة أو لشهرة

¹ الإمام البخاري إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج7، ص 122، رقم 5678.

علمائها، لذا فإنه من البديهي أن تقوم الدولة، وتهتم بالمنظومة الصحيّة في البلاد وتعمل على تطويرها، وإيجاد حلول للأمراض والأوبئة المتفشية فيها.

اختيار الموضوع:

والجدير بالذكر أن موضوع الأمراض والخدمات الصحيّة لا يزال بحاجة إلى دراسات معمقة، والحاجة تدفعنا إلى البحث في مثل هذه المواضيع، ومحاولة الإلمام بها، وتبيان كل مراحلها وتطوّراتها، والوقوف على آثارها، ومن هنا كان الاهتمام العلميّ الإحصائيّ للأمراض والأوبئة التي عرفتها البلاد خلال فترة قرنين من الزمن ق5-7هـ/11-13م، ثمّ محاولة التفصيل في طرق العلاج وكيفية استخلاص الدواء.

كما أن الموضوع يعتبر من الدّراسات البعيدة عن الاهتمامات السياسيّة والعسكريّة والتي جُبلت الدّراسات السّابقة على معالجتها، لذا فاهتمام مجالنا كان منصبّاً على الجوانب الصحيّة بصفة خاصّة، ومختلف النواحي الحضارية بصفة عامّة.

أهمية الموضوع:

وتكمن أهميّة الموضوع في توضيح وتبيان تفاعل الإنسان المغربي مع الأمراض المتعدّدة والأوبئة الطّارئة، والتّفصيل في مسبّباتها وأهم آثارها، وتطوّر معالجاتها الطّبيّة خلال فترة الدّراسة التي كانت خلال ق5-7هـ/11-13م، والملاحظ أنّه في هذه الفترة حكمت عدة دول جزءا من البلاد ماعدا الموحّدين الذين استطاعوا بسط نفوذهم على كامل البلاد بما فيها الأندلس، كما تباينت درجة نفوذهم وقوتهم، لذا فإنّ أساليب المعالجة وتوفير الرعاية الصحيّة تتغير من دولة إلى أخرى، وكذلك عمر الدولة متغير، والدولة عند قيامها تتوفر على سبل قوية للتمكين لها والحفاظ على نفوذها، أمّا في نهاية عهدها فتكون ضعيفة في مختلف الجوانب، بما في ذلك الجوانب الصحيّة.

إشكالية الدراسة:

من خلال ما سبق تحاول هذه الدراسة إبراز وتقديم صورة واضحة لواقع الأمراض، وما يقابله من خدمات صحّية لإنسان بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 5-7هـ / 11-13م، خاصّة أنّه خلال هذه الفترة، تغيرت السلطة السياسيّة في البلاد، وتباين نفوذ كل دولة حسب مبدأ القوة والضعف.

فما مدى انتشار الأمراض والأوبئة في بلاد المغرب الإسلامي، و ماهي قدرات تسير الأزمات الصحية؟

كما يجدر بي طرح الأسئلة التالية:

- ما مفهوم الأمراض والخدمات الصحيّة؟
- ماهي أسباب انتشار الأمراض والأوبئة؟
- ماهي أهم الأمراض والأوبئة التي عرفها المجتمع المغربي؟
- ماهي الطّرق العلاجيّة وأماكن المداواة من هذه الأمراض والأوبئة؟
- ماهي أهم الآثار والانعكاسات المترتبة عن هذه الأمراض والأوبئة وما يقابلها من تطوّر للخدمات الطبيّة؟

الدّراسات السابقة:

إن الدّراسات التي سبقت الموضوع قليلة جدّا، ومنها كتاب "جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحّدين" للحسين بولقطيب؛ الذي عالج في هذه الدّراسة مفهوم الجائحة، وأنواعها ثمّ عرض الكوارث الطبيعيّة التي كانت سبباً في المجاعات والأوبئة، وكانت الاستفادة منها

بصورة خاصة على بعض المفاهيم الخاصة بموضوعنا، وترتيب مجاعات تلك الفترة التي اعتبرت من مسببات الأمراض، ثم إحصاء الأوبئة التي ظهرت في فترة الموحدين.

ومن الدراسات التي تعلقت بالأوبئة والأمراض ما قدمه محمد حقي صاحب كتاب "الموقف من المرض"، فهو من بين الدراسات التي عالجت موضوع الأمراض وطرق العلاج خلال الفترة الوسيطة، وكانت استعانتها بالمنهج الإحصائي لذكر عدد الحالات المرضية خلال مجمل الفترة الوسيطة، لكن الطابع الشمولي للدراسة الذي قدمه صاحب الكتاب جعله يذكر نماذج قليلة عن فترة القرن الخامس إلى السابع للهجرة.

كذلك من بين الدراسات التي كانت ذات أهمية لموضوعنا، ما قدمه عبد الهادي البياض صاحب كتاب "الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس" فقد اختصت الدراسة بذكر أثر الكوارث الطبيعية على سلوك وذهنيات المجتمع المغربي، ثم طرق وأساليب مواجهة هذه الكوارث المختلفة، وأفادتني هذه الدراسة في تأثيرات هذه الكوارث الطبيعية على الجانب السلوكي والذهني للإنسان، خاصة أن هذه الدراسة كانت من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري.

أما ما يتعلق بالرسائل الجامعية، فهناك رسالة ماجستير للباحثة سمية مزدور وعنوانها "المجاعات والأوبئة بالمغرب الأوسط"، والتي استفدنا منها في دراسة موضوعنا بالقدر الكافي في ترتيب المادة العلمية والمنهج المتبع، واهتمت الرسالة بالمفاهيم الخاصة بالموضوع ومعالجة موضوع المجاعات والجائحة، ثم دراسة الأوبئة والأمراض، وكانت هذه الدراسة مختصة ببلاد المغرب الأوسط، الأمر الذي جعل الاستفادة مقتصرة على هذا الحيز الجغرافي.

ومن المواضيع التي شكلت الأمراض والصحة جزءا من عناوينها، والتي استفدنا منها، رسالة دكتوراه للباحثة رزيوي زينب المعنونة بـ "العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7-9هـ / 13-15م، وأفادتني في الجوانب الطبية

والصيدلانية، التي درست في تلك الفترة خلال القرن السابع للهجرة، واهتمت هذه الدراسة بالجوانب التعليمية، وأهم العلوم التي كانت متداولة في بلاد المغرب الأوسط.

المنهج المتبع في الدراسة:

وللإجابة عن هذه التساؤلات، اتبعنا منهجية تقوم على استقراء المادة التاريخية من مصادرها، معتمداً في ذلك على الإحصاء والوصف والتحليل والمقارنة، مع توثيق المادة التاريخية من مصادرها.

فالمنهج الإحصائي استعنت به في محاولة إحصاء الأمراض والأوبئة التي ظهرت في بلاد المغرب خلال فترة الدراسة، وإحصاء للأطباء الذين كانوا خلال نفس الفترة، ثم وظفت المنهج التحليلي حول هذه الجداول، وكذلك وقفت عند بعض القضايا قصد الاستنباط والاستنتاج، أما المنهج المقارن فكان له دور من خلال المقارنة بين تأثيرات الأوبئة المختلفة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي.

الخطوة المتبعة في الدراسة:

لذلك كانت خطة العمل تتماشى مع ما توفر لي من مادة مصدريّة ومطابقة لعمل منهجيّ، وقد استفتحت الموضوع بمقدمة يليها فصل تمهيدي، ثمّ أتبعها بثلاثة فصول عالجت فحوى الدراسة، وذيلت الموضوع بخاتمة تضمّنت ما وصلت إليه من نتائج، وختمت الدراسة بمجموعة من الملاحق لتوضّح عدّة قضايا مختلفة.

شرعت في التعريف بالموضوع في المقدمة، وذكر أسباب اختيار الموضوع مع طرح الإشكال والتساؤلات التي تعالج موضوع الدراسة، ثمّ المنهج الذي اتبع في هذه الدراسة، وأهم المصادر التي تمّ الاعتماد عليها لإنجاز هذا الموضوع.

كما خصص الفصل التمهيدي للمفاهيم والمصطلحات التي تتداول في الموضوع كالأمراض والأوبئة والخدمات الصحيّة، وكان تقديم لمحة في شكل ملخص عن بلاد

المغرب الإسلامي من حيث الجانب البشري و السياسي، وهذا التلخيص كان سببه أن معظم الدراسات السابقة تضمنت هذه الجوانب وبإسهاب كبير.

ثم عالجت الفصل الأول وعنوانه "أمراض بلاد المغرب خلال القرن 5-7هـ/11-13م"، تناولت فيه أهم العوامل التي نتجت عنها هذه الأمراض، وقد تعددت هذه العوامل واختلفت، ثم حاولت إحصاء هذه الأمراض العامة والوبائية منها.

أما الفصل الثاني وكان عنوانه "الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة"، وقد ركزت فيه على التطور العلمي للطب وأهم أطباء تلك الفترة، ثم مختلف طرق العلاج التي تنوعت حسب تنوع معارف أصحابها، حيث كان للطب العلمي وصفات طبية وطرق علاجية علمية، أما طب المتصوفة فكان يعتمد على الطرق الأكثر غموضاً وعلى الكرامات التي أكدت المادة المصدريّة نجاعته في عملية الشفاء، في حين أن الطب العلمي لم يستطع علاج في بعض الأمراض المستعصية، أما الطب الشعبي فكان يعتمد على الأعشاب والعقاقير، التي شكلت محور النقاء كل من كان قد امتنح حرفة الصناعة الطبية، بحيث أنهم أصبحوا يعتمدون على الأعشاب والعقاقير في صناعة الدواء، وأخيراً كان توضيح طرق وأماكن تلقي العلاج .

أما الفصل الثالث وكان عنوانه "انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي"، وقد تناولت فيه أهم الآثار والانعكاسات المترتبة عن الأمراض والأوبئة، في المجالات الاجتماعية والاقتصادية و السياسية والثقافية، كما بينت أن التطور الطبي الذي وصل إليه المسلمون عامة والمغاربة خاصة، استفاد منه الأوروبيون وانتقل هذا التطور إلى بلادهم.

وتوصلت في الخاتمة لأهم النتائج المتحصل عليها من خلال دراسة الموضوع، ثم ذيلت الموضوع بملاحق توضيحية وضحت لما قدم من قضايا خلال الفصول

السابقة، وفي الختام أرفقت الدراسة بفهارس التي يحتاجها الموضوع، ثم قائمة المصادر والمراجع.

عرض أهم مصادر الدراسة:

يمكن القول أنّ التنوّع في الاعتماد على المصادر يجعل البحث أكثر ثراءً، وذلك من خلال تنوّع المادّة المصدريّة، ويمكن أن نرتب هذه المصادر حسب أهميتها، وبذلك تم الاستعانة بمصادر ودراسات متنوّعة تخدم طبيعة الموضوع، ومن هذه المصادر مايلي:

1-الكتب الطّبيّة

كان من الضّروريّ الاستعانة بهذا النوع من الكتب، وذلك لطبيعة موضوع الدراسة حيث إنّها تقف عند أهم محاور الموضوع، وخاصّة في الفصلين الأول والثاني، ومن بين المصادر المعتمدة :

أ-كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" لأبي مروان عبد الملك بن زهر ت(557هـ/1162م)، في هذا الكتاب مادة علمية زاخرة، فابن زهر كان من الأطباء الذين ذاع صيتهم بين العدوتين. ويعتبر هذا الكتاب من المصنّفات الهامة في مجال الطبّ العلميّ، حيث تناول فيه مختلف الأمراض وأسبابها العلميّة، كما لم يغفل عن ذكر الطّرق العلاجية المتبعة للحد منها، بالإضافة إلى الطّرق الوقائية خاصّة أنّ الطّبيب أبا مروان بن زهر، كان يولي اهتماماً بالغاً للوقاية الطّبيّة. إضافة إلى الكتاب الثاني وعنوانه:

ب-"كتاب الأغذية" الذي يتحدث فيه عن الغذاء، ومختلف الأغذية الهامة المفيدة لجسم الإنسان، ويركز على الأغذية التي تعالج الأمراض، كما يذكر الأغذية التي تسبب الأمراض أو تؤدي إلى إضعاف جسم الإنسان، ومع ذلك فهو يصف الوباء وأصنافه، لذلك كان الاعتماد على هذا الكتاب كاملاً لمختلف محاوره.

ج-كتاب "الكليات في الطب" لأبي الوليد محمد بن رشد القرطبي ت (595هـ/1198م)، ويتناول فيه الصّحة والمرض والأدوية والأغذية، ويصف كل هذه المفاهيم بكيفية متخصصة في المجال الطبّي العلميّ، و خاصةً أن الطيّب كان ممّن ساهموا في تطوير الطبّ خلال تلك الفترة.

د-كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" موفق الدين أبي العباس المعروف ابن أبي أصيبعة ت (686هـ/1270م)، وقد ترجم هذا الطيّب لعدد كبير من الأطباء، من الإغريق والرّمان والهنود، ثمّ تكلم عن الأطباء العرب والعجم وأطباء المغرب مصر والشام، فقد ترجم لأكثر من 400 طبيب، وكان لا يترك شاردة إلا وذكرها، ومن خلال تراجمه جمعت مادّة علمية هامة أفادت الدّراسة، كترجمته للأطباء الذين امتهنوا حرفة الصّناعة الطّبيّة في بلاد المغرب الإسلاميّ، وذكره لطرق علاج أمراض معيّنة.

و-كتاب "مقنعة السائل عن المرض الهائل" لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب الغرناطي ت (776هـ/1374م)، اهتم ابن الخطيب في هذا الكتاب بذكر الوباء الجارف الذي كان في سنة 749هـ/1348م، والذي كانت خسائره فادحة على المستوى البشريّ، في مناطق متعددة من العالم بما فيها بلاد المغرب، وقد فصل في تعريف الوباء وأهم أسبابه، وقد أثريت دراستي بما احتوى عليه من معارف متطابقة مع الموضوع المدروس

2-كتب المناقب والكرامات

تأتي هذه الكتب في مقدّمة المصادر التي عالجت مختلف الجوانب، أهمها النّواحي الاجتماعية وأيضاً الصّحيّة، كما بيّنت العلاقة التي تربط المتصوّفة والعامة من خلال سير الصّلحاء، وكيفية تعاملهم وتآزرهم مع الآخرين، خاصةً أيّام حدوث الكوارث، ومن بين هذه الكتب:

أ-كتاب "المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد" لمؤلفه محمد بن عبد الكريم التّميمي الفاسي ت (603هـ/1207م)، من بين المصادر التي أماطت اللّثام

عن الجوانب الخفية من التصوّف المغربي وحتى الأندلسي، فكان من شأنها بلورة التصورات المختلفة التي عرفها المغاربة خلال فترة من الزمن، وكانت الاستفادة من الكتاب من خلال ما قدمه رجال التصوّف الذين مروا بمدينة فاس، وما تبعهم من قضايا مختلفة، كان الأهم بالنسبة للدراسة هو الجانب الصحي.

ب-كتاب " النشوف إلى رجال التصوّف وأخبار أبي العباس السبتي " لأبن الزيات التادلي ت (627هـ / 1230م)، ويعد من أهم الكتب التي ترجمة للمتصوّفة، كما ذكر المؤلف عدة جوانب عند ترجمته للأولياء، وكانت لهذه الجوانب علاقة وطيدة بين الصلحاء والعامّة، ومن أهمها العامل الصحي، خاصّة أن التادلي اعتمد على عدة تصانيف ومصادر لإعداد تراجمه. وقد كانت الاستفادة من الكوارث التي ذكرها المؤلف مثل المجاعات والمعاملات الطبيّة للصلحاء، وكذلك العلاقة التي ميّزت الأولياء مع العامّة.

ج-كتاب " أنس الفقير وعز الحقيّر " لابن قنفذ أبي العباس أحمد الطيب القسنطيني ت(810هـ / 1408م)، وقد خصّص هذا الكتاب لذكر أبي مدين شعيب وأصحابه من رجال التصوّف، كما أنّ أهمية الكتاب ترجع إلى ما شاهده ابن قنفذ من سير أصحاب رجال التصوّف، وقد استفدت منه من خلال تراجم رجال التصوّف، وما ذكر من أعمال علاجية وصحيّة تخدم الموضوع.

3-كتب التاريخ العامّ

تحظى كتب التاريخ العام بأهمية بالغة، إذ لا يمكن للباحث الاستغناء عنها، وذلك من خلال المادّة المتنوعة التي تتضمنها، بحيث أن هذه المادّة تكون مرتبة كل حسب منهج مؤلفها في الكتابة التاريخية، وتهتم هذه المصنّفات بالجانب السياسي كما تذكر الأحداث الهامة التي مرّت بها الدّول المختلفة، ومن بين هذه المصادر مايلي:

أ. - "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لابن أبي زرع الفاسي ت (726هـ/1326م)، وهذا الكتاب من المصادر التي اهتمت بذكر الأوبئة التي حلت ببلاد المغرب، وقد رتبها حسب زمن وقوعها، كما ذكر المصدر في محتواه، أهم الأسباب التي أدت إلى وقوع الأمراض والأوبئة، وكان من أهمها المجاعات وغلاء الأسعار.

ب. - "العبر وتاريخ المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمان بن خلدون ت (808هـ/1406م)، تعرض من خلاله للتاريخ العام، الذي يتناول فيه جميع ميادين المعرفة، والتي تراوحت بين التاريخ والجغرافيا والطب وغيرها من الميادين، لكن المادة العلمية الغالبة في المؤلف ما تعلق بالجانب السياسي والعسكري، وقد جمع ابن خلدون مادة علمية هامة يستفاد منها طيلة انجاز الدراسة خاصة في التفسيرات التي يقدمها في كتاب المقدمة، والتي شكل الجانب الوقائي والصحي جزءا هاما منها.

ج. - "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي الذي كان حيا خلال العقد الثاني من ق 8هـ/14م، ويعتبر من أهم المصادر التي أرخت لبلاد المغرب والأندلس، ويطنى عليه الطابع السياسي والعسكري، إلا أنه يحتوى على مادة علمية خاصة بموضوع الدراسة، فقد استفدت من أهم المجاعات والأمراض والأوبئة التي حلت بالبلاد المغاربية، وكذلك في ترتيبها.

4-كتب التراجع

أ. - "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" لابن عبد الملك المراكشي ت (703هـ/1303م)، وكان هذا الكتاب تكملة لكتاب ابن بشكوال وابن الفرضي، وذكر ما فاتهما من تراجم، كما أنه ترجم للمغاربة الذين دخلوا إلى الأندلس، قد أفاد موضوع الدراسة في جوانبه المتعددة.

ب- "عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبي العباس الغبريني ت (704هـ/1306م)، واهتم المصدر بذكر المعالم الثقافية التي عرفت بها بجاية خلال ق 7هـ/13م، وترجم الغبريني لعدد من العلماء سواء البجاويين أو الوافدين إليها، قد استفدت من هذه التراجم في الجوانب الصحيّة للبلاد.

5-كتب الجغرافيا تعد المصادر الجغرافية من المصنّفات الهامة التي تصف المدن والبلدان، وما يعرف من تقاليد فيها، فهي تهتمّ بنمط المعيشة والأجناس المتواجدة في المناطق المختلفة، لذا قد ساهمت هذه الكتب بقدر كبير في بلورة الوقائع المختلفة خاصة الاجتماعية منها، ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها أيضا:

أ- "المغرب في ذكر أخبار المغرب" لأبي عبيدة البكري ت (487هـ/1094م) وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، الذي تضمن ذكر المدن والقرى والبلدان من بلاد المغرب، وشمل مادة علمية استفدت منها في التعريف بالمدن والقرى، وكذلك في ذكر الأمراض التي كانت في مناطق مختلفة من بلاد المغرب والطرق العلاجية الطبيّة.

ب- "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لأبي عبد الله الشريف الإدريسي ت (559هـ/1166م)، وقد كتبه لملك صقلية روجر الثاني، وهو من الموسوعات الجغرافية للعالم خلال ق 6هـ/12م، يحتوي الكتاب على عدد هام من خرائط البلدان، كما أنّه يذكر مدن وتضاريس بلاد المغرب، وقد أثرى موضوع الدّراسة من خلال التعريف بأسماء المدن وأهم التضاريس، كما يذكر المؤلف بعض الجوانب التي لها صلة بالصّحة والوقاية.

ج- "الاستبصار في عجائب الأمصار" لمؤلف مجهول، توفي في ق 6هـ/12م، وهو من الكتب التي وصفت مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، كما أنّ المصنّف جمع بين نوعين من الكتب؛ النوع الأوّل الرّحلات والنوع الثّاني المسالك

والممالك، بالإضافة إلى المادّة الأدبية، وقد استفدت من هذا المصدر خاصّة من خلال التعريف للبلدان والمدن، وكذلك الجوانب الحضارية للدولة خلال عهد الموحّدين

د.- "وصف إفريقيا" للحسن الوزان ت بعد (957هـ/1559م)، وذكر مدن وقرى إفريقية، حيث عرضها باسم نوميديا. والمؤلّف قدم مادة علميّة استفدت منها من خلال ذكر القرى والمدن، ولبعض الأمراض في المنطقة وطرق علاجها التقليديّة.

وقد اعتري موضوع الدّراسة مجموعة من الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذا الموضوع وتتمثل فيما يلي:

قلة المادّة العلميّة التي تخدم موضوع الدّراسة، خاصّة أن المصادر تتحدث في مجملها على ما اشتهر من المدن والبلدان والمراكز الحضارية، ونجد بالمقابل الرّيف والبادية تعاني من نقص المادّة المصدريّة، ما جعل بعض التساؤلات يصعب الإجابة عليها، كما أنّه من الصّعب أن نقوم بإحصاء كل الأمراض والأوبئة المنتشرة بدقة تامّة لتعرف متى بلغت الأمراض أوجّها، وحتى عملية العلاج الطّبي لا يمكن الإلمام بكل الطّرق العلاجيّة التي كانت موجودة في تلك الفترة، مما جعل المحاولة في ذكر نماذج متفرقة للعلاج الطّبي في البلاد.

الفصل التمهيدي: مفاهيم واصطلاحات حول (بلاد المغرب الإسلامي، الأمراض، الخدمات الصحيّة)

أولاً: توطئة عامّة لبلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 5هـ - 7هـ / 11م - 13م.

1- الجغرافيا والسكان لبلاد المغرب الإسلامي.

2- الوضع السياسي لبلاد المغرب الإسلامي خلال ق 5هـ - 7هـ / 11م - 13م.

ثانياً: الأمراض والخدمات الصحيّة بين المفهوم والدلالة.

1. الأمراض.

2. الخدمات الصحيّة (الطبيّة).

أولاً: توطئة عامة لبلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 5 هـ/11م -13م.

دأبت الدّراسات المختلفة حول بلاد المغرب الإسلامي على تقديم مادّة تاريخية متنوعة، خاصّة من الجوانب السياسيّة والسكّانية وحتى الثقافيّة، ويرتبط موضوع الدّراسة ارتباطاً وثيقاً بالمجال الجغرافي لبلاد المغرب بمختلف أقاليمه، كما يرتبط بالإنسان من ناحية التغير الفسيولوجي والذهني، لكن يمكننا تقديم صورة مقتضبة حول المنطقة، من حيث الجوانب الجغرافية والسكّانية والعرقية، ثمّ تحديد الدّول التي ظهرت على مسرح الأحداث خلال فترة الدّراسة، فما هي مقومات بلاد المغرب الجغرافية والسكّانية؟

1. الجغرافيا والسكّان لبلاد المغرب الإسلامي.

يمكن القول أنّ جغرافية البلاد ثابتة عبر فترات الزمن، لكن يميّزها اختلاف سطحها من منطقة إلى أخرى، وذلك لشساعة المساحة، وخاصّة بعد أقاليمها أو قربها من المسطّحات المائية، فهي تعطي بذلك تنوعاً في ظروف الحياة، وبالتالي اختلاف طرق العيش.

1.1. جغرافية بلاد المغرب وأهم أمصاره:

لبلاد المغرب جغرافية متنوعة، لكن قبل تحديد معالمه يمكننا ضبط مفهوم المغرب والحدود الإقليمية التابعة له.

ويذكر بعض المؤرخون أنّ استعمال مصطلح المغرب ذكر دلالة على الجهة الغربية من العالم الإسلامي قبل منتصف القرن 1 هـ/7م، وبالتحديد أثناء الفتنة الكبرى التي عصفت بالدّولة الإسلامية، وتشير المصادر أنّ أول من استخدم لفظ المغرب هو على بن أبي طالب عليه السلام¹.

¹ يذكر ابن الأثير أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أثناء حربه مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في الشام، خاطب رجاله قائلاً: تجهزوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب، المقصود هنا أنّ المغرب هو ما يقع في

ولفظ المغرب يدل على المجال الجغرافي وهو كل ما يقابل المشرق من البلاد، ابن خلدون يحدده فيقول >>اعلم أن لفظ المغرب في أصل وضعه اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة إلى جهة الشرق<<¹، و بلاد المغرب الإسلامي قطر مميز من خلال طبيعته الجغرافية، كما عدّ ابن خلدون أقاليم العالم وجعلها سبعة، والإقليم الثالث هو ما ينتمي إليه معظم بلاد المغرب، فيميّزه في جزئه الأول من الأعلى جبل درن²، ومن المعلوم أنّ المغرب ذو طبيعة جبلية وعرة، كما يعتبر المغرب الأقصى أكثر الأقطار عزلة لوجود الجبال، لكن بلاد المغرب كلها رقعة جغرافية مترابطة، ويرجع هذا الارتباط الجغرافي إلى امتداد الجبال من ناحية الغرب بالمغرب الأقصى إلى غاية المغرب الأدنى، في سلسلتين أحدهما شمالية والأخرى جنوبية³، ويسكن جبل درن البربر.

وببلاد المغرب الإسلامي تنقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث التنوع الجغرافي، أولها الإقليم الساحلي، وهو ساحل البحر الرومي⁴، ويمتد من شرق مصر إلى طنجة (بحر الزقاق)، ثم من طنجة⁵ على ساحل البحر المحيط إلى مدينة نول من السّوس¹، وثانياً

الغرب. ينظر ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بين عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ت 63هـ، الكامل في التاريخ، ج3، دار صادر، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1987م، ص 17

¹ عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار، بيروت: دار الطباعة للنشر والتوزيع، ط4، 1421هـ/ 2000م، ج6، ص128.

² جبل درن: تبتدئ من ساحل البحر المحيط عند أسفي وما يليها، وتذهب في المشرق إلى غاية النهاية ويقال أنها تنتهي إلى قبلة برنيق من أرض برقة، وهي في الجانب مايلي مراكش وقد ركب بعضها بعضاً متتالية على نسق من الصحراء. ينظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 281.

³ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، (د، ط)، 1999م، ص 42.

⁴ بحر الروم: وجد الروم يسيطرون عليه، وهو خليج من البحر المحيط مخرجه بين الأرض الأندلسية وأرض طنجة. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، مطبعة ليدن، ط2، 1938م، ج2، ص 196.

⁵ طنجة: هي مساكن صنهاجة، وطريق الساحل من مدينة سبتة إلى طنجة تخرج من المدينة في بسيط تعمره نحو ميل ثم تدخل في حد بني سمفرة وهم أهل جبل مرسى موسى. أبي عبيد الله البكري ت 487هـ، المسالك والممالك تح: جمال طلبة، بيروت، دار لكتب العلمية، (د، ط)، 2003م، ج2، ص 287.

المناطق الصحراوية الممتدة من غرب مصر إلى جنوب المغرب الأقصى، وهو إقليم الحدّود الجنوبية، حيث الجبال التي تعرف عند عرب البادية بالعرق².

وآخرها بين الإقليمين تمتد الجبال في شكل متصل وموازيا للبحر، وتكون إقليمياً طبيعياً له مميّزاته الخاصة التي تتراوح بين الإقليم الساحلي وإقليم الصّحراء³.

ويعدد ابن خلدون أهم أمصارها بترتيبها وفق كل جزء يلي جبل دران، ففي الناحية الجنوبية منه مراکش وأغامت⁴ وتادلا⁵، وعلى البحر المحيط رباط سلا⁶، وفي الشمال منه فاس مكناس⁷ تازا⁸، وبين الجبل والإقليم الثاني بلاد السّوس وعلى جانبها بلاد درعة⁹ ثمّ سجلماسة ثمّ قطعة من صحراء نستر، وهذا الجبل قليل الثّنايا والمسالك إلى أن

¹ عبد الحميد زغلول، تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، منشأة المعارف، (د، ط)، (د، ت)، ج1، ص 72.

² نفسه، ص، ص 72، 73.

³ نفسه، ص 73.

⁴ أغامت: واقعة قرب مراکش بثلاث فراسخ، وهي مدينتان متقابلتان من ورائها إلى جهة المحيط السّوس الأقصى، وهي مبنية على منحدر جبل من جبال الأطلس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج1، ص 225. الحسن الوزان، وصف إفريقية، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م، ج1، ص 135.

⁵ تادلا: إقليم غير شاسع، يبتدئ من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع عند منبعه، كما ينتهي جنوبا بين جبال الأطلس، وشمالا في المكان الذي يلتقي فيه وادي العبيد ونهر أم الربيع، وتمثل هذه الناحية تقريبا شكل مثلث. ينظر: الحسن الوزان، المصدر نفسه، 176.

⁶ سلا: مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلا مدينة صغيرة، وهي متوسطة في الصغر والكبر موضوعة على زاوية من الأرض قد حذاها البحر والنهر، وهي مدينة أزلية بناها الرومان. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص 231. الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص 201.

⁷ مكناس: مدينة كبيرة أسستها قبيلة مكناسة، وتبعد عن فاس بستة وثلاثين ميلا، وعن سلا بخمسين ميلا، وعن الأطلس بخمسة عشر ميلا. ينظر: الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص 214.

⁸ تازا: مدينة كبيرة أسسها الأفارقة القدماء على بعد نحو خمسة أميال من الأطلس، وتبعد عن فاس بنحو خمسي ميلا، وعن البحر المحيط بمائة وثلاثون ميلا. ينظر: الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص 254.

⁹ درعة: مدينة صغيرة بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ، وبها مدن مثل: جزولة ولمطة. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 451.

يقارب وادي ملوية، فتكثر الالتواءات وتظهر المسالك بشكل أفضل، ويتصل بجبل أوراس¹.

ويتصل به شرقاً المغرب الأوسط على سواحله؛ وهران الجزائر، وبجاية، ثم قسنطينة، وعلى ساحل البلاد بونة، أما نحو الجنوب منه آشير²، والمسيلة³ والزاب⁴، ومركز هذا الجزء هو بسكرة⁵ تحت جبل أوراس⁶ المتصل بدرن، وشرق المغرب الأوسط بلاد إفريقية⁷، على الساحل تونس⁸ ثم سوسة⁹ ثم المهدية¹⁰، وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد¹ وتوزر

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار يعرب 1425هـ/2004م، (د، ط)، ج1، ص 160.

² آشير: مدينة في جبال البربر بالمغرب في إفريقية الغربية مقابل بجاية في البر، كان أول من عمرها زيري بن مناد الصنهاجي، أنشأها سنة 324هـ/936م. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص، ص 202، 203.

³ المسيلة: مدينة بالمغرب تسمى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد ابن المهدي في سنة 315هـ/928م. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص 130.

⁴ الزاب: كورة صغيرة يقال لها ريغ، كلمة بربرية معناها السبخة، وازاب أيضاً كورة عظيمة عليه بلاد واسعة وقرى متواطة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها. ينظر: ياقوت لحموي، المصدر نفسه، ج3، ص 124.

⁵ بسكرة: بلد بالمغرب من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، وبينها وبين طبنة مرحلة، وبها جبل ملح يقع منه كالصخر الجليل، وتعرف ببسكرة النخيل. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص 422.

⁶ جبل أوراس: هو قطعة يقال أنها متصلة من جبل درن بالمغرب وهو كالألم منحني الأطراف وطوله نحو من ثني عشر يوما ومياهه كثيرة. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات لجامعية، (د، ط)، 1983م، ص 165.

⁷ إفريقية: حدودها من النيل شرقا، وابتداء من روافد بحيرة كوكا جنوباً، إلى مصب هذا النهر في البحر المتوسط شمالاً، إلى أعمدت هرقل غرباً. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص، ص 27، 28.

⁸ تونس: اسم مدينة تونس ترشيش ويقال لبحرها بحر رادس وهي من أكثر مدائن إفريقية وأطيبها ثمرأً ومن القيروان إلى تونس مائة ميل. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص، ص 37، 41.

⁹ سوسة: مدينة صغيرة بنواحي إفريقية، بينها وبين سفاقص يومان وبينها وبين المهدية ثلاثة أيام. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 282.

¹⁰ المهدية: منسوبة إلى عبيد الله المهدي بينها وبين القيروان ستون ميلاً، وطولها اليوم نحو ميلين، وعرضها يضيق ويتسع. ينظر: البكري، المصدر نفسه، ص 29.

ونفزاوة²، وبينها وبين السواحل القيروان، وجبل وسلات وعلى الشرق من هذه البلاد طرابلس على ساحل البحر الرومي³.

ويجدر الإشارة إلى أن جبال بلاد المغرب الإسلامي تتخذ اتجاهها موازيا للساحل على شكل صفوف، قد يُيسر هذا الاتجاه سبل الاتصال بين شرق البلاد وغربها حتى بداية المغرب الأقصى، في الوقت الذي تقام هذه الجبال كحواجز منيعة بين الساحل وجوف البلاد، مما جعل بلاد المغرب بلاد مغلقة أمام التأثيرات الأوربية، ويقتصر التأثير على المناطق الساحلية⁴.

لقد أثرت الطبيعة الجبلية الوعرة على حضارة المغرب، كما أثرت أيضاً على سكان المغرب، فقد كان للطابع الجبلي، وبعد المسافات بين المراكز العمرانية، وصعوبة الاتصال، أثر عميق في حياة السكان، فقد طبعوا بطابع الخشونة والشجاعة والجلد وحب القتال والاكتفاء بالغذاء الضروري، وأثرت في أبدانهم فأكسبتها النحولة والضمور مع القدرة على التحمل⁵.

إن موقع بلاد المغرب الإسلامي، وما يزخر به من اختلافات جغرافية، كان له تأثير بليغ على المجتمع المغربي، فما توفره الطبيعة من قوت له تأثيرات صحية على

¹ بلاد الجريد: سميت بهذا الاسم لكثرة النخيل وكثرة الخصب والتمر والزيتون والفواكه وجميع الخيرات وهي آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء. ينظر: مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تر: سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، (د، ط)، 1985م، ص 150.

² نفزاوة: مدينة من أعمال إفريقية، من القيروان إلى نفزاوة ستة أيام نحو المغرب، ومدينة نفزاوة عين بالبربرية تسمى تاورغي. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 296.

³ ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص 161.

⁴ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، (د، ط)، ص 42.

⁵ نفسه، ص 42.

جسم الإنسان، وقد فصل ابن خلدون في ذلك من خلال ذكر اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع، وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم¹.

1.1.1. حدود بلاد المغرب الإسلامي من خلال المصادر التاريخية:

اختلف المؤرخون والجغرافيون في ضبط الحدود الجغرافية للبلاد فمنهم من يدخل مصر² والأندلس³ والجزائر الشرقية⁴ للأندلس وجنوب إيطاليا، ويعدها تابعة لبلاد المغرب الإسلامي. وابن خلدون يحدّد البلاد جغرافياً فيقول: >>...وعرّف أهل الجغرافيا أن المغرب قطر واحد مميّز بين الأقطار، فحده من جهة المغرب بحر المحيط،...وأما حده من الشمال فالبحر الرومي، أما حده من الجهة القابلة والجنوب فالجبال المتهيلة المائلة حجازاً بين بلاد السودان⁵ وبلاد البربر تعرف عند الرحالة العرب البادية بالعرق، وهذا العرق مبتدأ من البحر المحيط وذهب في جهة الشرق على سمت واحد، إلى أن يعترضه النيل، وأما العرف الجاري لهذا العهد بين سكّان هذه الأقاليم، فلا يدخل فيه إقليم مصر وبرقة، وإنما يختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب، في هذا العرف

¹ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 196.

² مصر: تتصل حدودها من الشرق ببحر القلزم، ومن الشمال البحر الشامي، ومن الغرب الواحات ومن الجنوب بلاد النوبة، وهي عامرة بالسكّان وتعرف بنهرها العظيم نهر النيل وبأهراماتها المدهشة. ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص، ص 325 322.

³ الأندلس: هي من نفائس الجزائر وطولها شهر في عرض ونيف وعشرين يوماً، ومن مشاهير مدنها القديمة، جيان، طليطلة، ووادي الحجارة، وجمع مدنها قديمة أزلية لم يحدث فيها في الإسلام غير مدينة بجائنة وهي ألميرية، وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة وليس كمثالها لا بالمغرب ولا الشام. ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص، ص 107، 104.

⁴ الجزائر الشرقية: هي ميورقة وجزيرتيها منرقة ويابسة وهذه الجزر في البحر الزقافي تسامتها بجاية من برّ العدو، بينهما ثلاثة مجارٍ، وطول ميورقة من الغرب إلى الشرق سبعون ميلاً وعرضها من القبلة إلى الجوف خمسون ميلاً. عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: لفي بروفنصال، بيروت، دار الجيل، ط2، 1988م، ص 188.

⁵ بلاد السودان : حدودها من المغرب بالبحر المحيط إلى المشرق بآخر بلاد ورقلان إلى آخر بلاد المرابطين ومن بلاد أميمة التي هي قرية من أطراف نهر النيجر تقع بين مالي وتنبتكتو، إلى الشمال من بلاد أزقي، وآخر بلاد النول من بلاد السوس الأقصى. ينظر: أبو عبيد الله الزهري، كتاب الجغرافيا، تح: محمد الحاج الصادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط)، (د، ت)، ص 125.

لهذا العهد¹. ابن خلدون بهذا التحديد الجغرافي يخرج مصر وبرقة²، ويجعل بداية المغرب من ناحية الشرق هي طرابلس³، أما من الغرب فإنه يدرج بلاد الأندلس ويجعل البلاد قطراً واحداً متصلاً. وكذلك كان تحديد البكري لحدود البلاد، حيث جعل مصر وبرقة خارج المجال الجغرافي له⁴، أما الحسن الوزان فنجدته يذكر اسم إفريقيا⁵، معتبراً إياها بلاد المغرب فيقول: >>...لذلك نرى العرب لا يكادون يعتبرون إفريقيا سوى صاحبة قرطاج بينما يطلقون اسم المغرب على سائر إفريقيا>>⁶. ويحدده جغرافياً من نهر النيل إلى مصبه ناحية الشمال في البحر، ويمتد غرباً إلى أعمدة هرقل ثم إلى آخر أجزاء المحيط، ومن هناك يبدأ جنوب إفريقيا⁷، وكذلك ذكر هذا التحديد ابن عذارى المراكشي حيث يبدأ بضفة النيل من الإسكندرية⁸ التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب ويقسمه أقساماً ثلاثة⁹.

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص، ص 128، 131

² برقة: مدينة متوسطة المقدار ليست بكبيرة القطر ولا بصغيرة، وهي أول ما ينزل إليه القادم من بلاد مصر وهي بحرية وبرية. ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 310.

³ أطرابلس: بالأعجمية الإغريقية ثلاث مدن وسماها اليونانيون طربليطة لأن طر معناها ثلاث وبليطة يعني مدينة وتسمى أيضاً أناس. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص، ص 91، 20.

⁴ نفسه، ص، ص 02، 05.

⁵ إفريقيا: هي تسمية باللغة العربية من الفعل فرق بمعنى فصل وباللاتينية Separavt وهناك رأيان في أصل التسمية يعتمد الأول على كون هذا الجزء المعمور مفصلاً عن أوروبا وجزء من آسيا بالبحر المتوسط، ويذهب الرأي الثاني إلى أن هذا الاسم مشتق من إفريقش ملك اليمن الذي كان أول من سكن هذه البلاد والذي وصل إلى ضواحي قرطاج. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 27.

⁶ الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص 27.

⁷ نفسه، ص، ص 27، 28.

⁸ الإسكندرية: مدينة بناها الإسكندر وبه سميت وهي على بحر الملح وبها آثار عجيبة ورسوم قائمة وهي حصينة الأسوار، والنيل الغربي منها يدخل والإسكندرية من مصر وقاعدة من قواعداها، الإدريسي، المصدر السابق، ص، ص 319، 322.

⁹ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس المغرب، تح: ليفي بروفينسال وكولان، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983م، ج 1، ص 05.

أما المقدسي فيعتبر حدود المغرب من برقة إلى بحر المحيط وأضاف الأندلس وصقلية¹، ويقول في ذلك: <وقد جعلنا المغرب مع الأندلس وخرسان غير أننا لم ندخل الأندلس فنكورها، فأول كورة من قبل مصر برقة ثم إفريقية، ثم سجلماسة²، ثم السوس الأقصى³، ثم جزيرة صقلية تقابل إفريقية، والأندلس وراء البحر على أرض الروم وناحيتان لفاس طنجة والزاب>⁴، وهذا الرأي سبقه إليه ابن عبد الحكم لكنه يضيف مصر⁵، أما صاحب المعجب فهو يخرج مصر من حدود المغرب، ويدخل كلمة إفريقية والمغرب، ويذكر حدود إفريقية من برقة إلى مدينة قسنطينة⁶، ويدرج حدود المغرب الشمالية من قسنطينة إلى طنجة⁷، أما الجنوب فهو يختلف حسب مزاحمة الصحراء له⁸.

الغالب في حدود بلاد المغرب هو كل مايلي طرابلس من ناحية الشرق إلى بحر المحيط غربا، وأما جنوباً فبلاد السودان، وقد اصطلح على تقسيمه إلى ثلاثة أقسام كبيرة، أولها من ناحية الشرق المغرب الأدنى، ويسمى إفريقيا وكانت قاعدته القيروان في

¹صقلية: وهي جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين، زاويته حادة من غربي الجزيرة طولها سبعة أيام في أربعة أيام، وهي في شرق الأندلس في لاج البحر وتحاذيها من بلاد المغرب إفريقية وباجة وطبرقة إلى مرسى الخرز. ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 115.

²سجلماسة: بنيت سنة مائة وأربعون وبعمارتها خلت مدينة ترغة، وبينهما يومان وسجلماسة مدينة سهلية أرضها سبخة حولها أرباض كثيرة وفيها دور رفيعة، وسورها أسفلها مبني من الحجارة وأعلى بالطوب بناء اليسع أبو منصور بنو أبي القاسم، وهي أول الصحراء وهي كثيرة النخل والأعناب. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 168.

³ لبلاد السوس قرى كثيرة وعمارتها متصلة بعضها ببعض وبها من الفواكه الطيبة ورجالها ونسائها سمر الألوان، وهي بلاد حنطة وشعر، وأهلها يأكلون الجراد أكلاً كثيراً، وأهل السوس فرقتان أهل مدينة يتمذهبون بمذهب مالك وأهل بلد يقولون بمذهب موسى بن جعفر. ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 228.

⁴ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط3، 1411هـ/ 1991م، ص، ص 215، 216.

⁵ ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط 1964، ص 37.

⁶ قسنطينة: وهي مدينة أزلت كبيرة أهلة ذات حصانة ومنعة، وهي على ثلاث أنهار عظام، ويسكنها قبائل شتى من أهل ميلة ونفزاوة وهي لقبائل كتامة. البكري، المصدر نفسه، ص 63.

⁷ طنجة: بها مساكن صنهاجة وتعرف بالبربرية ويلي افتتاحها عقبة بن نافع الفهري، وهي على شاطئ البحر المعروف بالزقاق مسورة متقنة البناء، وبها آثار لدول كثيرة، وهي آخر حدود إفريقية في الغرب. ينظر: البكري، المصدر نفسه، ص 103.

⁸ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د، ط)، ص ص 430 - 439.

عصر الفتح والأغالبة¹، ثمّ المهدية في عهد الفاطميين²، ثمّ تونس في عهد الحفصيين³. ثانياً المغرب الأوسط، وكانت قاعدته تاهرت⁴ في عصر الرستميين⁵، أشير في عهد الإمارة الزيرية⁶، تلمسان⁷ في العهد الزياني⁸، ومن بين مدنه الموعلة في القدم بونة⁹ وغيرها.

وأخيراً المغرب الأقصى، وهو امتداد طبيعي للمغرب الأوسط لذا فهما في معظم العصور التاريخية يكونان إمارة واحدة، وأن نهر ملوية هو الحدّ الفاصل بينهما، لكن

¹ الأغالبة: 184-296هـ / 700-884م تنسب الدولة إلى إبراهيم بن الأغلب الذي قلده هارون الرشيد بحكم إفريقية بعد عزل هرثمة بن أعين، فاخذ بإرساء قواعد هذه الدولة وكون الجيوش الربية والبحرية ن وتبع العباسيين ودفع لهم الخراج، كما حكم الدولة احدى عشر أمير، وكان سقوط الدولة سنة 296هـ على يد العبيدين. ينظر: ابن وردان، تاريخ مملكة الغالبة، تح: محمد زينهم، محمد عزب، القاهرة، مكتبة مدبولي ن ط1: 1408هـ / 1988م، ص- ص 30-62.

² الفاطميون: أو تسمى الدولة العبيدية تنسب إلى عبيد الله الملقب بالمهدي الذي أتى إلى المغرب بعدما هيئ الجو له لإقامة الدولة لكن مرا على سجالسة أين تم سجنه لكن تمكن خادمه بالمغرب عبد الله الشيعي (الحسين) من إخراجه هو وابنه وتوجه إلى رقادة فوصلها سنة 297هـ، ولقب (بالمهدي أمير المؤمنين) وخطب باسمه وضرب السكة وولى الولاة ودون الدواوين، وتوفرت له جميع الأركان لقيام الدولة. ينظر: عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د، ط)، 1411هـ/1991م. ص 49.

³ الحفصيون: ينظر ص42.

⁴ تاهرت: لها عدة أبواب باب الصبا، وباب المنازل، وباب الأندلس، وباب المطاحن، وهي في سفح جبل يقال له جزول، لها قصبة تطل على السوق يقال لهما المعصومة وهي على نهر يسمى مينة. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 67.

⁵ الرستميون: 160-296هـ / 776-884م تنسب الدولة إلى عبد الرحمن بن رستم فارسي الأصل حيث بوبع بالأمارّة سنة 160هـ / 776 م، وقد قام بجهود كبيرة لإقامة الدولة الرستمية على المذهب الإباضي، واستطاع إقامتها في موضع تاهرت حيث اتخذها عاصمة يباشر فيها الحكم، وقد حكم الدولة ستة أئمة من البيت الرستمي كان آخرهم يقظان بن أبي اليقظان، حيث تمكن الفاطميون من القضاء على الدولة سنة 296هـ / 884م. ينظر: محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160 هـ-296م، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، 1408هـ/1987م. ص-ص 91-172.

⁹ الزيرية: ينظر الصفحة 31.

⁷ تلمسان: مدينة مسورة في سفح جبل لها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة هي باب الحمام، باب وهب، وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة، وفي الغرب باب أبي قرة، وبها ثلاث آثار قديمة وهي قاعدة بلاد المغرب الأوسط، فهي دار لمملكة زناتة. ينظر: البكري، المصدر نفسه، ص 78.

⁸ الزيانيون: ينظر الصفحة 44.

⁹ بونة أو العناب: أصل العناب النخل الطويل والعالي في السماء الذي لا ينبت شيئاً وهي على مقربة من قسنطينة. ينظر: البلوي خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تح: الحسن السائح، الأردن، مركز التراث للبرمجيات، (د، ط)، ص126.

كان مركزه فاس¹ في عهد الأدارسة 192هـ/807م، مراکش² في عصري المرابطين والموحدين³.

2.1. السكان في بلاد المغرب الإسلامي

لبلاد المغرب طبيعة جغرافية متنوعة ساهمت في وجود مجتمعات سكانية تعايشت في البلاد، فالعنصر البشري والطبيعة الجغرافية، يشكّلان فضاء للبحث في مختلف المجالات التي سايرها الإنسان، ومن خلال تتبّع النصوص التاريخية فإنّ الفئات السكانية المشكلة لبلاد المغرب هي قبائل البربر وهم الأصليون، والقبائل العربية التي وفدت إلى البلاد منذ فتح المغرب ولم تنقطع الهجرات العربية إليها، ومنها الأقليات المختلفة التي قدمت إلى البلاد وشكلوا مجتمعات سكانية معتبرة، كل هذه العناصر ساهمت بشكل أو بآخر في تغيير ملامح بلاد المغرب حضارياً.

1.2.1. البربر

اختلف المؤرخون والنسابون في ذكر أصل وتسمية البربر، فهناك من يذكر أن إفريقش بن صيفي عندما غزا بلاد المغرب سمع كلامهم وأدرك اختلافها فتعجب وقال ما أكثر بربرتهم⁴، فاسمّوا بالبربر، ويتفق النسابة أن البربر يجمعهم جذمان هما:

¹ ومدينة فاس مدينتان مفترقتان وبينهما نهر وعدوة القرويين في غربي عدوة الأندلسيين، وهي أكثر بلاد المغرب يهوداً وكلتا العدوتين في سفح جبل وأسست عدوة الأندلسيين سنة 192هـ/808م، وعدوة القرويين سنة 193هـ/809م في ولايتي إدريس الثاني. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 116.

² مراکش: بناها يوسف بن تاشفين سنة 447هـ بعد أن اشترى أرضها من أغمات، وهي في وطاء من الأرض ليس حولها شيء من الجبال إلا جبل إجليز الصغير، ومنه قطع الحجر الذي بنى به قصر يوسف بن تاشفين، وطول مدينة مراکش أشق من الميل وعرضها قرب ذلك. ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص، ص 233، 235.

³ عبد الرحمان حسين العزاوي، المغرب العربي في العصر الإسلامي، عمان، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط1، 1432هـ/2011م، ص-ص 22-26.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص 117.

البرانس¹ وماذغيس الأبت². ويتضح من خلال الصفات البدنية أن البربر يميّز فيهم نوعين مختلفين، نوع يشمل أغلبية السكّان ويتميّز باللون الأسمر، والثاني يتميّز بشقرة لون الشعر وزرقة العينين³، وابن خلدون يميل إلى أن البرانس والبت⁴ من أب واحد، وأنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام⁴. ويمكن القول إن اختلاف المؤرخين والنسابة حول أصل البربر ليس من أساسيات الدراسة بل نرجع إلى ما اتفق عليه أنهم من أبناء برنس وأبناء ماذغيس.

أما عن المناطق التي سكن فيها البربر، فيقول ابن خلدون >> هذا الجيل من الأدميين، هم سكّان المغرب القديم، ملأوا البسائط والجبال من تلولة وأريافه وضواحيه وأمصاره... ومكاسبهم الشاة والبقر والخيول في الغالب للركوب، وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب، ومعاش المستضعفين منهم بالفلاح ودواجن السائمة ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والأضغان في نتاج الإبل وظلال الرماح وقطع السابلة<<⁵، لقد حدد ابن خلدون من هذا القول أماكن عيش البربر وميّز طبقتين منهم من حيث الغلبة أهل العز والمستضعفين منهم وطُرق عيشهم.

ومن البربر الذين سكنوا المنطقة والذين كان لهم تحرّك ووجود في المنطقة، هم القبائل الزناتية، التي تنتقل مابين سهل سايس شمالا ونهر أمّ الربيع جنوبا. أما مرتفعات الأطلس المتوسط، فتقطن بها قبائل صنهاجية⁶.

¹ البرانس: هم أبناء برنس يجمعهم سبعة أجدام وهي أزداجة مصمودة أوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة ولمطة وهكسورة وكزولة. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص 119.

² ماذغيس الأبت: وهم البتر ويجمعهم أربعة أجدام هي: أداسة ونفوسة وضريسة وبنولو الأكبر. ينظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 118.

³ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 48.

⁴ ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 116.

⁵ نفسه، ص 117.

⁶ أحمد الصومعي التادلي، كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تح: علي الجاوي، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، (د، ط)، 1996م، ص 13.

2.2.1. العرب

أما الفئة الثانية فهم العرب الذين كان لهم نفس التنظيم الاجتماعي مع البربر¹، فالمعروف أن بداية وجودهم في بلاد المغرب كان إبان عملية الفتح الإسلامي للمغرب، ويذكر ابن عذارى أن موسى بن نصير² لما بلغ السّوس الأدنى، ورأى البربر ما نزل بهم، فاستأمنوا وأطاعوا، فولّى عليهم واليا واستعمل سبعة عشر ألفا من العرب واثنى عشر ألف من البربر، وأمر العرب أن يعلموا البربر القرآن، وأن يفقهوهم في الدين³.

ويتّضح الوجود العربيّ من خلال الصّراع الذي ظهر في الفترات الأولى، بين العرب البلديين والعرب الشاميين، فأما البلديين هم العرب المحليون الذين كانوا يعيشون في جماعات متماسكة في المدن وحولها بصورة خاصّة، وكانت مراكزهم القيروان، تونس، المسيلة⁴، طبنّة⁵، أمّا الشاميين فهم رجال السلطة المركزية، ومن انضم إليهم من أهل المغرب في العاصمة القيروان، وفي معسكر الجند وفي نواحي إقليم

¹ عبد الرحمان حسين العزاوي، المرجع السابق، ص 54.

² أبو عبد الرحمن موسى بن نصير، اللخمي، صاحب فتح الأندلس، كان من التابعين -رضي الله عنهم- تولى إفريقية والمغرب سنة 77هـ / 697هـ. ينظر: ابن خلّكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت 671هـ / 1273م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د، ط)، 1497هـ / 1987م، ج5، ص 318.

³ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 42.

⁴ المسيلة : مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نوميديا على بعد مائة وأربعين ميلا من بجاية. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 52.

⁵ طبنّة : أعظم بلاد الزاب، بينها وبين المسيلة مرحلتان، وهي مدينة كبيرة ولها أرباض واسعة. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 387.

إفريقية و خاصة تونس وإقليم الزاب¹، وعلى مرّ السنين بقيت الهجرات العربية تزداد إلى ناحية المغرب، كما أنّ زناتة البترية حالفت العرب منذ السنين الأولى للفتح، ويرجع هذا التحالف نتيجة التشابه في البداوة، في حين يختلف البرانس عن العرب في كونهم متحضرين بالحضارة اللاتينية ومستقرين في المدن²، المعروف أن العرب كانت لهم حياة البداوة، لكن بعد الإسلام أصبحوا أهل الحضارة وقاموا بنشرها في مختلف بقاع الأرض.

ونجد في عهد الدّول المستقلّة التّمرّكز الواضح للعرب، ففي الدّولة الرّسمية يذكر الباروني بقوله: >>لا نرى داراً إلا قيل هذا لفلان الكوفيّ وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي<<³، ومن هذا يبين أن الدّولة الرّسمية كانت مركزاً لتوافد الهجرات من مختلف المناطق، كذلك في الدّولة الصّفرية بسجلماسة فإنّ الوجود العربي كان حاضراً فيها، فقد ذكر ابن حوقل أن بلاد سجلماسة قد سكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقومون بتجارتهم في المنطقة⁴، أمّا دولة الأدارسة لقبت بالدّولة العربية، وكانت محط أنظار القبائل العربية، ففي عهد إدريس الثّاني⁵ لما شب ودان له المغرب الأقصى، أخذ يستكثر بالعنصر العربي حتى بلغ نحو خمسمائة فرد وبهم شمع سلطانه، وأمّا دولة الأغالبة فإنّ ملوكها من أصل عربي، وقد جمعت الدّولة أعرافاً مختلفة من عرب ومستعربة وبربر وعبيد⁶. ويذكر البكري أن بعض القبائل العربية سكنت المدن

¹ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار الرشاد، ط5، 1421هـ/2000م، ص 76.

² عبد الرحمان حسين العزاوي، المرجع السابق، ص 54.

³ سليمان بن عبد الله الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مر: محمد علي الصلابي، لندن، دار الحكمة للطباعة والنشر (د، ط)، (د، ت)، ص 42.

⁴ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 65.

⁵ إدريس الثّاني: 177-213هـ/793-828م ابن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى، أبو القاسم: ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى، وباني مدينة فاس ولد في ويلي بجبل زرهون، توفي أبوه وهو جنين. ينظر: الزركلي خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م، ج1، ص 278.

⁶ عبد الرحمان العزاوي، المرجع السابق، ص، ص 54، 69.

الشمالية للمغرب الأقصى خلال ق 5هـ/11م في مدينة سبتة¹ استقرت فيها قبيلة عربية ترجع بنسبها إلى قبيلة صدف العربية².

والجدير بالذكر أن التوافد العربي على بلاد المغرب الإسلامي كثر في منتصف القرن الخامس للهجرة، حيث وفدت إلى البلاد جموع القبائل الهلالية العربية، فكل بطونها ساروا إلى بلاد إفريقية ووصلوها سنة (443هـ/1051م)، وقامت معركة بين المعز بن باديس الصنهاجي³ وبينهم، أين انضم العرب البلديين الذين كانوا بالمهدية إلى العرب الهلالية، وفر جموع الصنهاجي فانهزم، وتوجهت بذلك القبائل العربية إلى مضارب المعز بن باديس ووصلوا نواحي القيروان⁴ وباجة⁵ وقابس⁶ وقسنطينة⁷ وتونس وبونة⁸، وبهذا بدأت القبائل العربية تتجه نحو أقصى المغرب، ودخلته في فترات لاحقة⁹، وفي عهد المرابطين لما استطاع يوسف بن تاشفين السيطرة على البلاد وإرجاع الأمن والاستقرار فيها، اتسعت الهجرات العربية إلى المنطقة، بعدما كانت الفوضى تعم المنطقة لأكثر من

¹ سبتة : مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق، وهو أول البحر الشامي المنتهي إلى مدينة صور، وهي تقابل الجزيرة الخضراء، وليس لها إلى البر إلا طريق واحد من ناحية الغرب. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 303.

² البكري، المصدر السابق، ص 103.

³ المعز بن باديس: 398-454هـ/1008-1062م بن المنصور الصنهاجي، ولد بالمنصورية وولي بعد وفاة أبيه سنة 406هـ 1016م، لقبه الحاكم الفاطمي بشرف التولية وساد الأمن في أيامه. الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص 279.

⁴ القيروان: قاعدة البلاد الإفريقية وأهمك مدنها، وكانت أعظم مدن بلاد المغرب، وكانت القيروان مدينتين: القروان وصبرة، عقبة بن نافع أول من اختطها وبنى مسجدها. ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 487.

⁵ باجة: في إفريقية باجة وفي الأندلس وفي الصين، وباجة إفريقية مدينة كبيرة أولية قديمة وبها آثار، وهي على جبل شديد البياض يسمى الشمس لبياضه. ينظر، الحميري، المصدر نفسه، ص 75.

⁶ قابس: مدينة من بلاد إفريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل وتعد من بلاد الجريد، وبينها وبين طرابلس ثمانية أيام، وهي مدينة كبيرة قديمة على سور صخر. ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 450.

⁷ قسنطينة : من مشاهير بلاد إفريقية، وهي مدينة أولية كبيرة أهلة فيها آثار للأول، كثيرة الخصب رخيصة السعر على نظر واسع وقرى عامرة. ينظر الحميري، المصدر نفسه، ص 480.

⁸ بونة: من بلاد إفريقية قريبة من فحص جبل وهي مدينة قديمة من بناء الأول، وهي على ساحل البحر. ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 115.

⁹ عبد الرحمان العزاوي، المرجع نفسه، ص، ص 583، 584.

عقدين من الزمن¹، ومن العرب الذين تواجدوا بالمنطقة قبائل من جشم والخلط مثل بني جابر في السهل، وعلى الهضاب الغربية قبائل وردیغة وبني موسى وبني زمور والسّماعلة وبني عامر².

3.2.1. الأقليات المختلفة

لقد عرفت بلاد المغرب توافد عناصر مختلفة، ووجود أقليات كانت تتعايش في البلاد حسب ظروف أي فئة، وإذا ما رجعنا إلى بدايات الفتح، نجد فئات عرفت بتسمية الأفارقة، وأطلقت هذه التسمية على هؤلاء نسبة إلى إفريقيا، وهناك من يرجع هذه الفئات من السكّان نتيجة الاختلاط بين البربر والروم فأصبحوا مولدين، وهناك من دخل منهم في خدمة المسيحية رغم أن الكثير منهم دخلوا الإسلام، كما كانت لهم لغة خاصة يتحدثون بها³.

كما نجد في بلاد المغرب خلال القرن الخامس عناصر أخرى من خلال ما ذكره صاحب البيان المغرب حول يوسف بن تاشفين⁴ بقوله: (وفي سنة أربع وستين وأربعمئة... قوي أمر يوسف وعظمت شوكته، فاشتري جملة من العبيد السودان، وبعث إلى الأندلس فابتيع له جملة من الأعلاج، وأركب الجميع وانتهى عنده شراء ماله مائتان وأربعون فارسا ومن العبيد شراء ماله نحو الألفين فغلظ حاجبه وعظم ملكه)⁵، لقد أدخل

¹ سعدون نصر الله عباس، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1985م، ص57.

² أحمد الصومعي التادلي، المصدر السابق، ص13.

³ سعد زغلول، المرجع السابق، ص106.

⁴ يوسف بن تاشفين: ابن إبراهيم بن تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية بن ونمالي بن تليت الصنهاجي الحميري، وفي إبراهيم يجتمع مع إبنی عمیه الأميرین اللذين كان قبله أبي زكريا وأبي بكر عمر بن إبراهيم بن تورقيت. ينظر: ابن السماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: عبد القادر بوبابية، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت)، ص71.

⁵ ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص23.

يوسف بن تاشفين العديد من الأجناس إلى البلاد بغرض الاستفادة منهم عسكرياً خاصة لما عرف عنهم الجلد والصبر من بلاد السودان وحتى الأعلاج وب خاصة الصقالبة¹.

ومما يبدو أن أهل الذمة² كان لهم حضور واضح في البلاد فالتأثير اليهودية كان لها وجود في فترات سابقة، وقد ذكر البكري أن المغرب الأقصى وفاس تحديداً كانت أكثر بلاد المغرب يهوداً³، ويذكر أن أمراء المرابطين أكلوا إلى اليهود مهمة جباية الضرائب، كما أن نفوذهم الاجتماعي المتزايد جعل أعناق الناس تمتد إليهم لقضاء حاجاتهم ولوعن طريق الرشاوي⁴، وخلال عهد يوسف بن تاشفين⁵ فرضت عليهم فريضة ثقيلة في كل أنحاء الدولة المرابطية⁶.

أما النصارى المسيحيون فحسب بعض الإشارات التاريخية بقيت أقلية صغيرة من السكان تدين بالنصرانية في بعض الجهات من المغرب بعد الفتح الإسلامي، ويذكر منها تامسنا⁷ وفاس بالإضافة إلى بعض المناطق الجبلية الوعرة، غير أن المولى إدريس كسر شوكتهم، وأجبرهم على دخول الإسلام طوعاً أو كرهاً ومع ذلك ظلت مجموعات من

¹ الصقالبة: جيل من الناس كانت مساكنهم إلى الشمال من بلاد البلغار، وانتشروا الآن في كثير من شرق أوروبا، وهم المسمون الآن بالسلاف. ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص 368.

² أهل الذمة: العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة، وهم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين وسموا بهذا الاسم لأنهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم، وأصبحوا في ذمة المسلمين. ينظر: علي حسن الخربوطي، الإسلام وأهل الذمة، القاهرة، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، (د، ط)، 1389هـ/ 1969م، ص 65.

³ البكري، المصدر السابق، ص 115.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت، دار الطليعة، (د، ط)، (د، ت)، ص 109.

⁵ علي بن يوسف بن تاشفين: كنيته أبو الحسن اضطلع بالأمور أحسن الاضطلاع، وكان كثير الصدقة فاجتمعت عليه الأمة، أمه رومية اسمها قمر وهو أول من استعمل الروم في المغرب وقدمهم على جباية المغارم، ابن السماك العملي، المصدر السابق، ص، ص 148، 149.

⁶ ابن عذاري، المصدر السابق، ص 23.

⁷ تامسنا: إقليم في بلاد المغرب، وهو إقليم تابع لمملكة فاس، يبتدئ غرباً عند أم الربيع وينتهي إلى أبي رقراق شرقاً، والأطلس جنوباً وشواطئ البحر المحيط شمالاً. ينظر، الحميري، المصدر السابق، 129. الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 194.

النصارى قائمة إلى حدود منتصف القرن الخامس للهجرة، غير أن قيام دولة المرابطين غير من قلة النصارى في بلاد المغرب فبدأ عددهم يكثر عن طريق جلبهم كمرتزقة في الجيش، ونفي عدد من مستعربي الأندلس¹ نحو بلاد العدو فضلاً عن أسرى الحرب، فبدأ استعمالهم منذ عهد يوسف بن تاشفين واستمر استقدامهم في عهد علي بن يوسف ثم ابنه تاشفين² فقد صحب معه زهاء أربع آلاف مسيحي³، وبهذا كثر العنصر المسيحي في البلاد

2-الوضع السياسي لبلاد المغرب الإسلامي خلال ق5هـ -7هـ/11م-13م

يكمن القول أن المجال السياسي بعيد عن اهتمامات الدراسة، لكن يمكن أن ندرج ولو باختصار الدول التي تعاقبت على حكم بلاد المغرب خلال فترة الدراسة، فقد تميّزت المرحلة الممتدة ما بين القرن 5-7هـ/ 11-13م، في بروز عدة دول بسطت نفوذها على مجال معين من البلاد ما عدا دولة الموحدين التي سيطرت على كامل البلاد، وتراوح عدد الدول التي كانت أمّا في فترة ضعفها وسقوطها، أو بروزها وقوتها، بسبع دول، كما يمكن أن يضيف هذا التنوع في القوة والضعف مدى جاهزية الدولة في مواجهة الأمراض والأوبئة وتوفير الخدمات الصحية للمجتمع؛ فالظروف التي

¹ المستعربون في الأندلس : وهم الطائفة الذمية التي بقيت على نصرانيتها دون إكراه فأصبح هؤلاء لهم حقوق وواجبات كما عرفوا بالمسالمة أو المعاهدون وتسميهم المصادر اللاتينية بـ Mozarabes أي المستعربون. ينظر: عبد الله حمادي، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492هـ/ 1616م، الجزائر، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط2، 2011، ص 16.

² تاشفين: بن علي بن يوسف قام بأمر الملتجئين بعد أبيه، هرب إلى ناحية وهران في ربوة على البحر سمي صلب الكلب وبأعلاها رباط يأوي إليه المتعبدون وفي سنة 539هـ/ 1145م خرج تاشفين راكباً فرسه فترامى من الفرس نازحاً لروعته إلى جهة البحر فسقط على الحجارة هلك منها. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص، ص 125، 126.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص، ص 67، 68.

تتوفر أثناء القوّة ليست هي نفسها التي تكون عند الضّعف، ويمكننا أن نلخص الجوانب السياسية لدول بلاد المغرب أثناء الفترة المدروسة فيما يلي:

1.2. لمحة عن الدّول الصنهاجية في بلاد المغرب خلال ق 5هـ-6هـ/11م-12م.

1.1.2. الزيريون (547-361هـ/972-1152م).

بنو مناد¹ بن صنهاج الأصغر من أهم ممثلي إفريقية في أواخر ق 3هـ/9م وأوائل ق 4هـ/10م²، فبعدما همّ الفاطميّون بالرحيل إلى مصر عام (361هـ/972م) تركوا الولاية لبلكين بن زيري³، وما كاد الخليفة الفاطمي يستقر في مصر، حتى نشبت الفتن في معظم حواضر المغرب، لكن بلكين استطاع أن يتصدى لهم بما في ذلك تلمسان التي طرد منها الزناتيين ونقلهم إلى أشير⁴ قاعدة الزيريين. وقويت شوكة بلكين حيث تمكن من بسط نفوذه على تونس والمغرب الأوسط وجزء كبير من المغرب الأقصى، حتى قطع دابر الزناتيين الذين كانوا قد استولوا على سجلماسة، لكن دفع حياته وهو عائد لقاعدته ليخلفه ابنه المنصور⁵ عام (375هـ/985م)، الذي عظمت

¹ مناد: كان على رأس قبيلة تلكاتة قبل سقوط الدولة الأغلبية سنة (296هـ/909م)، وقد تحول إلى المشرق في نفس السنة، وكان مناد صاحب القلعة المنادية القريبة من سجلماسة، وقد قيل إنه كان من موالى علي بن أبي طالب وإن نسبه يرجع إلى قحطان. ينظر: الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، تر: حمّادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992، ج1، ص 38.

² سعد زغلول عبد المجيد، المرجع السابق، ص 292.

³ بلكين بن زيري: أبو الفتوح بن مناد الحميري الصنهاجي، ويسمى أيضا يوسف، استخلف على إفريقية سنة 361هـ/972م، توفي (373هـ/984م) بموقع يقال له وركلان بعلّة القولنج. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 286.

⁴ أشير: تأسست بها المدينة في سنة (324هـ/935م) عندما دافع صيت زيري بن مناد في جميع أنحاء المغرب وتأكدت قوته، ونزولاً عند رغبة أتباعه الذين ازداد عددهم أكثر فأكثر غادر محل إقامته الذي أصبح ضيقاً وأسّس في جبل تيتري مدينة أشير، التي كانت تسمى أشير زيري، في عهد الخليفة الفاطمي الثاني أبي القاسم القائم بأمر الله 322324هـ/934م 935م. ينظر: الهادي روجي إدريس، المرجع نفسه، ص 44.

⁵ المنصور بن بلكين (386هـ/996م): ولي بعد أبيه سنة 373هـ/984م وجاء من مصر تقليد العزيز بالله الفاطمي على إفريقية والمغرب، توفي قرب البصرة (المنصورة). ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص 298.

الفتن والخروج عن طاعته الأمر الذي جعله يلاحق أعداءه في كل مكان من المغرب الأوسط¹، وتوارث بعد ذلك أبناء البيت الزيري الحكم في البلاد. ومن حكام الدولة الزيرية مايلي²:

الأمراء	تاريخ الحكم
بلكين بن زيري بن مناد	361-373هـ/972-984م
المنصور بن بلكين بن زيري	373-386هـ/984-996م
باديس بن المنصور	386-406هـ/996-1016م
المعز بن باديس	406-454هـ/1015-1063م
تميم بن المعز	454-501هـ/1061-1108م
يحيى بن تميم	501-595هـ/1108-1115م
علي بن يحيى	509-515هـ/1115-1121م
الحسن بن علي	515-547هـ/1121-1153م

2.1.2. الحماديون (547-405هـ/1114-1152م)

بعد وفاة المنصور سنة (386هـ/ 996م) خلفه ابنه باديس على العرش الزيري، وعقد باديس لحماة ولاية أشير³، وأعطاه خيلاً كثيراً وموئناً، ولم ينكر حماد خير

¹ محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، 2010م، ص 03.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ص، ص 216، 220.

³ أشير: بلدة أو حصن بينها وبين المسيلة مرحلة من بلاد الزاب بناها زيري بن مناد الصنهاجي، وتعرف بأشير زيري، وهي مدينة قديمة فيها آثار عجيبة. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 60.

باديس وأصبح من حلفاء المخلصين وشارك في قتال زيري بن عطية¹ وقمع ثورة أعمامه.

وبعد ثورة المعز بن عطية² في المغرب الأوسط، وانتصار حماد بن بلكين عليه سنة (398هـ/1007م)، أذن له باديس بتأسيس قلعة³ حماد وقلعة أبي طويل، واستقر حماد في هذه المدينة المنيعة التي كانت تسمح له بمراقبة القبائل الزناتية بسهولة، ثم كتب باديس إلى حماد وطلب منه أن يتخلى عن ثلاثة أعمال من شرق المغرب الأوسط، لفائدة هاشم بن جعفر، خليفة عزيز الدولة المنصور بن باديس الأمير الزيري⁴، لكن حدث أن تمرد حماد مع أخيه إبراهيم، ونشبت حرب سنة (405هـ/1015م)، بين حماد وإبراهيم من جهة وبين باديس وهاشم بن جعفر من جهة أخرى⁵.

نفذ حماد ما جال بخلده من نبذه الطاعة للفاطميين، وبايع حماد العباسيين واضطهد الشيعة⁶، لكنه انهزم في معاركه ضد باديس، منها معركة وادي شلف التي سار من خلالها إلى المسيلة سنة (406هـ/1015م)، وحاصر باديس حماد، لكن حدث أن توفي باديس أثناء هذا الحصار فرفع هذا الحصار⁷، وتوجه حماد إليه واحتل المسيلة وحاصر باغاية، وونشبت معركة انتصر فيها المعز، ثم اتفقا بعد المفاوضات على استقلال

¹ زيري بن عطية (391هـ/1000م): الخزري المغراوي الزناتي، أمير زناتة كان جده الخزري بن صولات، خاض حروبا كثيرة أخرى بينه وبين جيوش أبي عامر ومات من بعدها. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 63.

² المعز بن زيري بن عطية بن عبد الله الزناتي المغراوي من ملوك فاس في أواخر عهد بني أمية (422هـ/1031م)، أقامه بنو عمه أميرا عليهم بعد وفاة أبيه سنة (395هـ/1005م). ينظر: الزركلي، المرجع نفسه، ج7، ص 270.

³ قلعة بني حماد: وهي قلعة أبي طويل، وبينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلا، وهي من أكبر البلاد قطراً وأكثرها خلقاً، وهي في سند جبل سام صعب المرتقى وبهذه القلعة عقارب كثيرة سوداء تقتل في الحال وأهل القلعة يتحرزون منها ويشربون نبات الفوليون. الحميري، المصدر السابق، ص 469.

⁴ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص، ص 20، 21.

⁵ نفسه، ص 21.

⁶ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 171.

⁷ رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص-ص 26-33.

الفصل التمهيدي: مفاهيم واصطلاحات (الأمراض، الخدمات الصحية، بلاد المغرب الإسلامي)

حماد بعمل المسيلة وطبنة والزاب وأشير و تاهرت¹ وعقد المعز للقائد بن حماد على طبنة ومرسى الدجاج² وبلاد زواوة ومقرة ودكامة وبلزمة وسوق حمزة³، ومن الأمراء الذين تداولوا على حكم الدولة الحمادية مايلي⁴:

الأمراء	تاريخ الحكم
حماد بن بلكين	405-419هـ/1014-1028م
القائد بن حماد بن بلكين	419-446هـ/1028-1054م
محسن بن القائد	446-447هـ/1054-1055م
بلكين بن محمد بن حماد	447-454هـ/1055-1062م
الناصر بن علناس	454-481هـ/1062-1088م
المنصور بن الناصر بن علناس	481-498هـ/1088-1105م
باديس بن المنصور	498-1105م
عبد العزيز بن المنصور بن الناصر	498-515هـ/1105-1121م
يحيى بن العزيز	515-547هـ/1121-1152م

¹ تاهرت : مدينة مشهورة من مدن المغرب الوسط على طريق المسيلة من تلمسان، وكانت فيما سبق مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة، وتاهرت على سفح جبل يسمى قزول. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 127.

² مرسى الدجاج: بالقرب من آشير وهي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواحي وعليها سور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية يسكنها الأندلسيون وقبائل كتامة. ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 539.

³ ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 324

⁴ رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص - ص 36-91.

2.1.2. دولة المرابطين بالمغرب الأقصى خلال ق 448-541هـ/ 1056-1146م

إن قيام دولة المرابطين¹ بالمغرب يختلف عمن سبقها من الدّول، فدولة الأدارسة قامت على أساس البيعة لعلوي فر بنفسه وآوى إلى المغرب، وقامت دولة بني زيري بعد أن حالفت صنهاجة كتامة، وأبرزت الدعوة الإسماعيلية وظلت تدين للفاطميين دهرًا طويلاً، أمّا دولة المرابطين فقد قامت على أسس مختلفة نشرت المذهب المالكي في البلاد ورسمت طريق الإصلاح، واعتمدت لسبيل التمكين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوضت البدع والمنكرات التي انتشرت في البلاد أواخر ق 5هـ/ 11م.²

من جهة أخرى يعتبر قيام الدّولة من قبيلة صنهاجة³، انتصاراً لشعب البرانس، فصنهاجة الشمال تسيطر على المغرب الأدنى والأوسط وصنهاجة الجنوب تسيطر على المغرب الأقصى والأندلس⁴.

وترجع جذور تأسيس الدّولة المرابطية إلى الدور الذي قام به يحيى بن عمر بن إبراهيم الجدالي⁵، الذي كان يبحث عن شخصية دينية تجمع كلمة صنهاجة، فقد اعتبر

¹ المرابطون: هذه الطبقة من صنهاجة هم الملتزمون المواطنون وراء الرمال بالجنوب وقبائلهم من كدالة فلمتونة فمسوفة فوتركة فتاوكا فزغاوة ثم لمطة، وعبد الله بن ياسين الجازولي هو الذي سماهم المرابطون، بقوله (أخرجوا فأنتم المرابطون) ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص 241، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 184.

² حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة، دار الفكر العربي، (د، ط)، (د، ت)، ص 325.

³ صنهاجة: من ولد صنهاج وهو صناك وقد زعم الكثير أنهم التلت من البربر، وبطون صنهاجة كثيرة فمنها تلكاتة وأنجة وشرطة ولمتونة ومسوفة وكدالة ومندلسة وبنووارت وبنوتين، وكانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وأفريقية ومواطن مسوفة ولمتونة وكدالة وشرطة بالصحراء. ينظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 202.

⁴ حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 325.

⁵ يحيى بن عمر بن إبراهيم الجدالي: (447هـ/ 1059م) أبو زكريا مؤسس دولة المرابطين. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج 8، ص 160.

الجدالي أن من حركوا القبائل البربرية لإنشاء الدّول كانوا جميعاً من رجال الدين وأصحاب الدعوات الدينية¹.

والمعروف في المصنّفات التاريخية وغيرها أن يحيى بن عمر الجدالي صاحب معه إلى مواطن صنهاجة عبد الله بن ياسين²، الذي نهض لأداء المهمة الصعبة، وبوصوله قام بوضع نظام للآداب والأخلاق والدين وأخذهم بالشدة، فلم يلبثوا أن ثاروا عليه وأخرجوه من بلادهم، لجأ مع جماعة من المخلصين إلى جزيرة في المحيط قرب مصب وادي السينغال، وهناك أنشأ رباطاً اتسع وكثر فيه الناس فسيرهم إلى الجهاد سنة (440هـ/ 1053م)، وكانت القيادة للمتونة، اتجه عبد الله بن ياسين من الصّحراء إلى تافيلالت الذي كان يسوده مسعود بن واندين³، ونزل فيها سنة (450هـ/ 1085م) فإنّ تصرّ عليهم ودخل سجلماسة وأخذ يتوسع جنوباً وشمالاً، وقتل عبد الله بن ياسين في أثناء حروبه سنة (451هـ/ 1059م)، وكان على سلطان لمتونة أبي بكر بن عمر فقد خلف أخاه يحيى بن عمر بعد وفاته⁴.

يمكن القول أن المراحل الأولى لضمّ المغرب في خطواته المتوالية مازال يعاني من الغموض الكبير لنقص الوثائق الرّسمية، والاعتماد على الروايات الشفوية، والقصص الشعبية، وهكذا اختلف المؤرخون وغيرهم في تحديد أحداث العصر، ومنها الاختلاف في بناء مراكش وضمّ فاس وتلمسان⁵.

¹ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 183.

² عبد الله بن ياسين (451هـ/ 1059م) : بن مكو الجزولي المصمودي الزعيم الأول للمرابطين وجامع شملهم وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم، كن من طلبة العلم في دار أنشئت بالسوس وسميت (دار المرابطين). ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 144.

³ مسعود بن وانودين: بن خزرون بن فلفول الخزري وهو أمير مغراوة وصاحب سجلماسة ودرعة وقد ولي أمر سجلماسة بعد مهلك أبيه وانودين بن خزرون. ينظر: الهامش: ابن السماك العاملي، المصدر السابق، ص 68.

⁴ حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 186.

⁵ سعد زغلول، المرجع السابق، ص 272.

ولمّا كان أبو بكر بن عمر على سلطان على لمتونة سار على التعاليم التي سطرت للمرابطين، وكان من خاصته ابن عمه يوسف بن تاشفين، فبنى مراكش سنة (454هـ/1062م)¹، لكن بلغه خبر أزعه إلى الصّحراء، وخلف وراءه ابن عمه يوسف بن تاشفين الذي أثبت براعة في القيادة والحنكة سنة (463هـ/1071م)، منذ هذا التاريخ انقسمت الدولة المرابطية إلى قسمين إحداها شمالي مركزه مراكش، والثاني جنوبي في الصّحراء، يقوده أبو بكر بن عمر².

وفي سنة (465هـ/1072م)، تنازل أبو بكر بن عمر في مدينة أغمات عن رئاسة دولة المرابطين لصالح ابن عمه يوسف بن تاشفين، بعد أن فهم أن يوسف أراد ملك المرابطين، فقبل ما أهداه إليه من الأعطيات وتجاوى عن المنازعة³ ورجع إلى الصّحراء يجاهد فقتل في إحدى المعارك التي قادها في الجنوب سنة (468هـ/1075م)⁴.

قام يوسف بن تاشفين بتوحيد نواحي الصّحراء الكبرى إلى ساحل البحر في الشمال ومدّ حدوده من ساحل المحيط إلى شرقي ملوية والجزء الغربي من المغرب الأوسط⁵ فضم منطقة سلا سنة (463هـ/1070م)، وتوسع في السّوس الأدنى ومكناسة سنة 466هـ/1073م، ثمّ فاس سنة (467هـ/1074م)، ثمّ تلمسان سنة (468هـ/1075م) أمّا سبتة وطنجة، فقد كانتا من أعمال الأندلس، وتم ضمهما للدولة المرابطية سنة 470هـ/1077م، أعقب ذلك ضم بلاد الريف ثمّ وجدة، تنس، وهران جبال الونشريس

¹ يذكر ابن خلدون أن يوسف بن تاشفين هو من اختط مدينة مراكش سنة 454هـ. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص 245.

² حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 188.

³ ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 272.

⁴ سعد زغلول، المرجع السابق، ص 269.

⁵ حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 189.

وجميع أعمال وادي شلف حتى مدينة الجزائر سنة (474هـ / 1081م) ويكون الختام بطلب من المعتمد بن عباد المعونة لمواجهة العدو بالأندلس سنة (475هـ / 1082م)¹.

عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس سنة (478هـ / 1085م) لمواجهة ألفونسو السادس وكانت وقعة الزلاقة² التي انتصر فيها المرابطون، أبدى هذا النصر تخوفاً ملوك الطوائف من المرابطين وتقاعس بعضهم في جواز يوسف الثاني إلى الأندلس سنة (480هـ / 1089م)³ لمساعدته ومده بالمؤونة عندما حاصر حصن لايبط فرجع إلى المغرب، لكن عزم في جوازه الثالث سنة (482هـ / 1089م) على عزل ملوك الطوائف بعدما استفتي الفقهاء بالمغرب والمشرق، استطاع يوسف عزل ملوك الطوائف ما عدا أمير سرقسطة⁴ الذي دخل في طاعته وأخذ المعتمد بن عباد أسيراً إلى المغرب بأغامت⁵.

اتسعت دولة المرابطين اتساعاً كبيراً، وتم تأسيس العاصمة مراكش⁶ على حسب ابن خلدون سنة (454هـ / 1062م)⁷ وبعدها وتوفي يوسف بن تاشفين سنة (500هـ / 1170م) وخلفه ابنه علي بن يوسف بن تاشفين، وواصل الجهاد في الأندلس لكن خرج عليه المهدي بن تومرت بالمغرب الذي اجتهد في تشويه سمعة المرابطين واستعمل أساليب في غاية العنف والقسوة معتمداً على أكبر القبائل، وهم المصامدة⁸.

¹ سعد زغلول، المرجع السابق، ص 282.

² الزلاقة : بطحاء من إقليم بطليوس من غرب الأندلس انكسر فيها جيش الفرنجة الزاحف من طليطلة سنة (479هـ / 1085م). الحميري، المصدر السابق، ص 287.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 486.

⁴ سرقسطة : في شرق الأندلس وهي قاعدة من قواعد الأندلس كبيرة القطر اهله ممتدة الأطناب، وبها جسر عظيم يجاز به إلى المدينة. ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 40

⁵ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 198.

⁶ اختلفت المصادر حول أصل التسمية وسنة التأسيس، فيذكر عبد الواحد المراكشي أن أصل التسمية هو نسبة إلى عبد أسود كان يخيف الطريق اسمه مراكش، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 156

⁷ ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 245،

⁸ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 200.

إنّ المراحل الأخيرة من نهاية المرابطين تعتبر بداية ظهور الموحّدين لذا فإنّ الصراع الذي كان بين علي بن تاشفين ومن عقبه من المرابطين مع مهدي الموحّدين ومن دخل في بيعته تشكل أحداث لبداية تأسيس الدّولة الموحّدية.

2.2. دولة الموحّدين وما بعدها في بلاد المغرب الإسلامي من ق6-7هـ/12-13م

1.2.2. دولة الموحّدين (668-541هـ/1146-1463م)

أهم القبائل التي قامت عليها دولة الموحّدين¹ هي القبائل المصمودية منها هنتاتة وهرغة وهزرجة وهزميرة وهسكورة وهيلانة، ويرجع قيام الدّولة إلى المجهود الذي قام به المهدي بن تومرت² أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر عند عودته من المشرق³، أمّا المؤسس الحقيقي لأركان الدّولة فهو عبد المؤمن بن علي الكومي⁴ من قبيلة كومية الزناتية⁵.

بعدما رجع بن تومرت من المشرق، تداعى أمره إلى علي بن تاشفين فأحضر بين يديه وجمع له عدداً من الفقهاء لمناظرته في أقواله وأفعاله، فلم يكن فيهم من يعرف ما

¹ الموحدون: هي التسمية التي أطلقها المهدي بن تومرت على جماعته أثناء الاستعداد للاستيلاء على مراکش فسماهم الموحدين بصورة رسمية زيادة في حماسهم وسمى جيشهم بجيش المؤمنين وعبد المؤمن بن علي بأمير المؤمنين. ينظر حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 213.

² بن تومرت ولد بابجلي آن وزغن من قبيلة هرغة من قوم يعرفون بإسرغين وهم الشرفاء بلسان المصامدة، رحل إلى المشرق سنة (501 هـ/1107م)، ولقي أبا حامد الغزالي، توفي بن تومرت سنة 524 هـ بعد أن أسس الأمور وأحكم التدبير، وقبل موته بأيام استدعى هؤلاء أهل العشرة وأهل الخميس وكانت وصيته على أن يقوم بالأمر من بعده عبد المؤمن بن علي الكومي. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص، ص 245، 264.

³ بن تومرت لقي عند رجوعه من المشرق في منطقة ملالة لقي عبد لمؤمن بن علي الكومي وهو يعلم الصبيان ولما رجع إلى المغرب الأقصى جعل يدعو إلى علم الاعتقاد على الطريقة الأشعرية. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص، ص 245، 246.

⁴ عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي أمه كومية ولد بضيعة من أعمال تلمسان تعرف بتاجرا، وقيل إنه كان يقول إذا ذكر كومية ليست منهم وإنما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولكومية علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم، ولد أواخر (487 هـ/1094م) وتوفي سنة (558 هـ/1163م). ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص 265.

⁵ حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 212.

يقول إلا مالك بن وهيب الذي كان له حظ من صنوف العلوم، أشار ذلك إلى أمير المسلمين بقتله ثمّ بسجنه، لكن أمير المسلمين أمره بالخروج من البلد فذهب إلى موقع يعرف بتينملل¹، وفي سنة (517هـ/1123م) جهز جيشاً وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي الكومي وأمرهم أن يقصدوا مراكش ولقوا المرابطين في موضع قريب من مراكش يدعى البحيرة سنة (524هـ/1130م)، انهزم بذلك الموحدون وقتل منه الكثير².

بعد هذا الانهزام توفي بن تومرت من نفس السنة (524هـ/1130م) وكانت هناك بيعة خاصة لعبد المؤمن بن علي الكومي في 27 رمضان (524هـ/1130م)³، ثمّ بيعة عامّة (526هـ/1132م) بجامع تينملل⁴، بعد ذلك غادر الموحدون تينملل سنة (535هـ/1141م) وأخذ عبد المؤمن يوطد ويوسع في سلطته⁵، وجعل المصامدة يشنون الغارات على نواحي مراكش ويقطعون عنها مواد المعاش ويقتلون ويسبون، كما كثر الداخلون في طاعتهم⁶، وقد قام الموحدون بالاستيلاء على حصون المرابطين الواقعة نواحي مراكش وبسطوا نفوذهم على مساحة شاسعة من المغرب الأوسط، وهاجم عبد المؤمن المرابطين إلى غاية وهران وقتل تاشفين بن يوسف سنة (539هـ/1145م) وبموته سقطت وهران وتلمسان⁷.

لما دان لعبد المؤمن جميع أقطار المغرب الأقصى جمع جموعاً عظيمةً وخرج من مراكش قاصد بجاية التي كان عليها يحيى بن عبد العزيز بن المنصور الصنهاجي سنة

¹ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص، ص 252، 253.

² السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 694.

³ أبي بكر الصنهاجي البيدق، المصدر السابق، ص 43.

⁴ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: عبد الوهاب منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1420هـ/1999م، ص 185.

⁵ محمد علي الصلابي، أعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، (د، ت) ص 76.

⁶ عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص 261.

⁷ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 213.

(540هـ / 1146م)، حاصر الموحدون بجاية حصاراً شديداً فاضطر يحيى بن عبد العزيز أن يقبل عهد عبد المؤمن بالنفس والأهل فدخل الموحدون بجاية واستعمل عليها عبد الله بن عبد المؤمن¹.

وعهد عبد المؤمن لعبد الله بأن يثمن الغارات ويضيق على تونس وإفريقية التي كانت تحت نفوذ النورمان²، وفي سنة (552هـ / 1157م)، تجهز بجيش عظيم ونزل نواحي تونس ولما اشتد الحصار خرج عامل تونس الذي كان يدعى عبد الله لملاقات الموحدين انهزم جموع الموحدين ورجعوا إلى بجاية³. قرر عبد المؤمن أن يضع حداً لما وقع في تونس فخرج سنة (553هـ / 1158م) وتمكن من دخول تونس عنوة⁴، وفي شهر ذي القعدة من سنة (555هـ / 1160م) عند إيباه من غزوته المهدية كان قد فتح جميع إفريقية⁵، وفي نفس السنة مد عبد المؤمن سلطانه إلى غاية طرابلس شرقاً⁶.

عبد المؤمن بن علي الكومي >ورث الخلافة كابر عن كابر. وشهد له بالاستحقاق لها كل آت وغابر. وحاز في الإمامة مراتب سنية،... أمتعنا الله بأيامه من ملك. وجعل الله وفي الله رحلة شتائه وصيفه، وأقال عثرات الزمان بعد تحكم جور الزمان وحيفه>⁷ واستطاع أن يقوم بالدولة، ويوطد أركانها رغم وفاة المهدي بن تومرت الذي عرف أن لعبد المؤمن خصالاً لا تتوفر في آخر، فاجتباها وفضله عن بقية قومه، وبعدما توفي في

¹ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص، ص 272، 274.

² السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 710.

³ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 219.

⁴ عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص 300.

⁵ عبد الملك بن صاحب الصلاة 594هـ / 1198م، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط 3، 1987م ص 92

⁶ حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 219.

⁷ ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة: محمد بن شقران، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1990، ص 261.

سنة (558هـ / 1163م) انتهت فترة التأسيس، ثمّ بعده دخلت في عهد الازدهار والقوة¹، ومرت بمراحل، وكان قد خلفه في الحكم كل من أبناءه²

الخلفاء	تاريخ الحكم
عبد المؤمن بن علي	524-558هـ / 1120-1163م
أبو يعقوب يوسف	558-580هـ / 1163-1184م
أبو يوسف يعقوب المنصور	580-595هـ / 1184-1199م
أبو محمد عبد الله الناصر	595-610هـ / 1199-1213م
أبو يعقوب يوسف المستنصر	611-620هـ / 1313-1224م
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن	620-621هـ / 1223-1224م
أبو عبد الله بن يعقوب المنصور (العادل)	621-624هـ / 1224-1227م
يحيى بن الناصر	624-627هـ / 1227-1230م
المأمون بن المنصور	627-630هـ / 1231-1232م
الرشيدي بن المأمون بن المنصور	630-640هـ / 1232-1242م
السعيد علي أبو الحسن	640-646هـ / 1242-1248م
أبو حفص عمر المرتضى	646-665هـ / 1248-1266م
أبو دبوس الواثق بالله	665-668هـ / 1266-1270م

¹ عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، بيروت، دار الشروق، ط1، 1403هـ/1983م ص76.

² محمد على الصلابي، دولة الموحدين، دار البيارق، (د، ط)، 1998م، ص 234.

بعد سقوط الدولة الموحدية، ودخول المرينيين إلى مراكش سنة 686هـ / 1270م ظهر في بلاد المغرب ثلاثة كيانات سياسية؛ الحفصيين في المغرب الأدنى، والزيانيين في المغرب الأوسط، والمرينيين في المغرب الأقصى.

2.2.2. الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى (981-626هـ / 1228-1574م)

ينتسب الحفصيون إلى أبي حفص يحيى الهنتاتي¹ أحد العشرة أصحاب المهدي بن تومرت، ومن أبناءه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص (عبو)² تولى تونس سنة (623هـ / 1226م)، دعا المأمون لنفسه فأبى بيعته عبو وقبلها أخوه أبو زكريا، وكانت دولة الموحديين قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف، فبنو مرين ينازعونهم السلطة في المغرب الأقصى، وفي هذه الأثناء انتهز أبو زكريا الفرصة وأعلن استقلاله بأعمال تونس والقيروان عن دولة الموحديين، كما عمل الحفصيون على مد نفوذهم.³

لما تغلب أبو زكريا على تونس في سنة (625هـ / 1228م) ثم نقض بيعة المأمون سنة (627هـ / 1230م) لسبه مهديهم، وفي (628هـ / 1231م) فتح أبو زكريا قسنطينة وبجاية، وفي (632هـ / 1235م) الجزائر وشلف وسائر مواطن مغراوة، وذكر اسمه بعد المهدي سنة (634هـ / 1237م)، وفتح تلمسان سنة (640هـ / 1243م)، وتتابع عليه البيعات من المغرب والأندلس، ودخلوا مراكش سنة 668هـ / 1270م، ولكن الحفصيين لم يتمكنوا من المحافظة عليها لضعف قوتهم الحربية، وحدث أن تلاشت قوتهم

¹ أبي حفص يحيى الهنتاتي (647-598هـ / 1202-1249م): هو يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص أبو زكريا الهنتاتي الحفصي، أول من استقل بالملك ووطد أركانه من ملوك الدولة الحفصية بتونس. الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 155.

² عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي الحفصي (626هـ / 1229م) من أمراء الدولة الحفصية في تونس قام بأعمالها سنة (618هـ / 1221م) تابعا لأصحاب مراكش (بني عبد المؤمن). ينظر: الزركلي، المرجع نفسه، ج4، ص 101.

³ شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، القاهرة، المكتب المصري ط1، 1977م، ص 75.

وانقرضت دولتهم سنة (981هـ/1574م)¹.

3.2.2. الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط (633-962هـ / 1235-1554م)

بنو عبد الواد من فروع الطبقة الثانية من زناتة، وينقسمون إلى عدة بطون هي بنو ياتكين، وبنو أرلو، وبنو رهطف، ونصوحة، وبنو تومرت، وبنو القاسم².

أخلص بنو عبد الواد الطاعة للموحدين فأقطعهم ضواحي من المغرب الأوسط فيما بين البطحاء وملوية³ سنة (627هـ / 1229م)، وتولى أمر بني عبد الواد يغمراسن بن زيان⁴ سنة (633هـ / 1235م) الذي أعلن استقلال دولته عن الموحدّين واتخذ تلمسان عاصمة لدولته، كما تواجه الزيانيون مع الموحدّين في معركة كان الانتصار حليف بني عبد الواد سنة (646هـ/1248م)⁵.

سلاطين الدولة الزيانية حتى نهاية القرن 7هـ/13م هما كل من أبي يحيى يغمراسن بن زيان (681-633هـ/1236-1282م) وابنه أبي سعيد عثمان الأول بن يغمراسن (681-703هـ/1282-1303م)⁶، وقد مرت الدولة الزيانية بأربعة أدوار متعاقبة توالت على مدار ثلاثة قرون وهي:

▪ النشأة (633هـ-706هـ / 1235-1307م)

▪ التوسع (737-706هـ / 1306-1337م)

¹ محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي، بيروت، دار الفكر، ج 2، ط7، 1404هـ / 1984م ص، ص 233، 234.

² ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 278.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 159.

⁴ يغمراسن بن زيان: بن ثابت بن محمد العبد الوادي 603-681هـ / 1206-1283م، أمير المسلمين من سلاطين بني عبد الواد سنة 633هـ / 1236م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 206.

⁵ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 4، ص 387.

⁶ ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تح: هاني سلامة، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1421هـ/2001،

- النهضة (759-791هـ / 1350-1389م)
- الانحدار والسقوط (962-791هـ / 1389-1554م)¹

4.2.2. الدولة المرينية (668هـ-961هـ / 1270م-1553م) بالمغرب الأقصى

يرجع أصل بني مرين إلى القبائل الزناتية ويقسمون إلى طبقتين الأولى بنو يفرن ومغراوة والثانية بنو مرين وبنو عبد الواد وتوجين، أمّا رياسة بنو مرين في أول أيام الموحّدين لبني عسكر وكانوا يقطنون الزاب إلى تلمسان، وهم يعيشون عيشة البداوة والترحال².

وعبد الحق بن محيو المريني³ أول من تزعم قبائل بني مرين ضد الموحّدين، وقد مات سنة (614هـ/1217م)، فخلفه بعده أبنائه الأربعة: أبو سعيد عثمان، مات سنة (642هـ/1244م)، وأبو بكر عبد الحق، مات سنة (656هـ/1258م)، ويعقوب ابن عبد الحق، وهو الذي استطاع أن يقضي على الموحّدين وصار أمير المغرب سنة (668هـ/1269م)، ومن هذا التاريخ ابتداء عصر بني مرين واستمر حتى سنة (961هـ/1553م)⁴.

إنّ حركة المرنيين ذات دلالة سياسيّة أكثر منها دينية ولم يكن لهم مذهب ديني يدعون له كالمرابطين والموحّدين وكانت شعاراتهم المرفوعة في حركتهم الانفصالية، العمل على استتباب الأمن والعمل لصالح الرّعية، ومن هنا كسبوا محبة الناس إلا إن إقدام زعماء بني

¹ بسام كامل عبد الزراق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، رسالة ماجستير، جامعة نابلس، فلسطين، إشراف هشام أبورميّة، 1422هـ/2002م، ص 64.

² إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ج2، ط، 1420هـ/2000م، ص 09.

³ عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حماسة بن محمد المريني أبو محمد (614-542هـ/1147-1217م) مؤسس الدولة المرينية في المغرب الأقصى من قبيلة زناتة كانت قامتهم في بلاد الزاب إفريقية إلى سجماسة. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 282.

⁴ محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ص 200.

مرين على قتال الموحدّين يدلّ على قناعتهم الراسخة بأنّ الموحدّين ليسوا مؤهلين لقيادة المغرب، سواء من المنظور الشرعي أو السياسي¹، وكانت عاصمتهم السياسيّة هي فاس.

وقد استنفدت محاولات بني مرين الحربية المتكررة للاستيلاء على الجزائر وتونس قوتهم العسكريّة فقامت الصّراعات والنزاعات على الإمارة والسّلطة وانتهى الأمر بضعفهم فإنهارت الأمّة واشتغلت بمشاكلها الدّاخلية حروبها الأهلية، وفي العهد الأخير من دولة المرينين وفق البرتغاليون من اكتساب مواطن جديدة في عدة مناطق من ساحل المغرب الإسلامي².

لبلاد المغرب الإسلامي حيّز جغرافي كبير ساعد في تواجد فئات سكّانية شكّلت قوى سياسيّة باسطة لنفوذها ومتوسعة حسب مبدأ القوى، والمعلوم أنّه بعد توجّه الفاطميّون نحو مصر تركوا بلاد المغرب وعاصمتهم المهدية تحت نفوذ الصنهاجيين، فزادت حدة الصراع بين القبائل في بلاد المغرب خاصّة صنهاجة وزنّانة لفترة زمنية دخلت فيها بلاد المغرب خاصّة الأقصى منه في حالة فوضى، وأمّا الكيانات السياسيّة التي عمرت بلاد المغرب خلال ق5هـ /11م وإلى غاية 7هـ /13م هي على التوالي الزيريين والحماديّين بالمغرب الأدنى والمغرب الأوسط، ثمّ المرابطين بالمغرب الأقصى وأجزاء من المغرب الأوسط، ثمّ بظهور الموحدّين انقرض ملك هؤلاء وتمكنت هذه الدولة من توحيد البلاد، ولما ضعفت قام بالمغرب الأدنى الحفصيّون، والمغرب الأوسط الزيانيون، أمّا المغرب الأقصى فكان لبني مرين.

¹ محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 233

² محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ص 201.

ثانياً: الأمراض والخدمات الصحيّة بين المفهوم والدلالة

إنّ الأمراض والأوبئة من الظواهر التي كان لها تأثير بليغ على الحياة الحضارية في المجتمعات الإنسانية، وهي محور دراستنا، وذلك من حيث تأثيرها على مجتمع بلاد المغرب الإسلامي، ومن الجدير بالذكر معرفة مدلولها ومصطلحاتها وما يقابلها من خدمات صحيّة خاصّة أن الإنسان في نشاط دؤوب وجب الحفاظ على صحّته، فالمجال هو بلاد المغرب الإسلامي وأقاليمه المتعدّدة والإنسان هو من شكل الأسرة ثمّ العشيرة والقبيلة ثمّ الدّولة، فما هو مفهوم الأمراض والأوبئة وما يقابلها من الخدمات الصحيّة؟

1-الأمراض

1.1. مفهوم الأمراض والفرق بينها وبين الأوبئة.

1.1.1. تعريف المرض

المرض ظاهرة صحيّة اهتمّ بها الإنسان منذ قدم تعميره وحاول إيجاد تفسير له ومن ثمّ معالجتها والحدّ منها، فما هو مفهوم الأمراض؟ وما هي أهم مرادفات الأمراض؟

أ-المرض لغة:

يذكر ابن منظور بأن المرض هو السّقم نقيض الصّحة يكون للإنسان والبعير¹، وفي القاموس المحيط يعني إظلام الطّبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها²، أمّا في مقاييس اللغة فيدلّ على ما يخرج به الإنسان عن حدة الصّحة في أي شيء كان منه

¹ ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر احمد حيدر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 2009م، ج11، ص562.

² مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ/2005م، ص 654.

العلة¹، ويذكر صاحب المعجم الوسيط أن المرض هو كل ما خرج بالكائن الحي عن حدة الصّحة والاعتدال من علة أو نفاق أو تقصير في أمر².

ب- اصطلاحاً:

يعرفه ابن سينا بأنه هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان يجب عنها بالذات، ليخرج العرض إذا وجب مرضاً، وقوله أنه آفة في الفعل أي في فعل من الأفعال الحيوانية أو الطبيّعية أو النفسانية³.

والأمراض عند الطيّب ابن رشد مفهومها من حدّ الصّحة إذا كان مقابله، ولما كانت الصّحة هي حال في العضو بها يفعل الفعل الذي له بالطّبع أو ينفعل الانفعال الذي له لزوم ضرورة أن يكون المرض حالة في العضو بها يفعل على غير المجري الطبيّعي أو ينفعل، وكثير من الأمراض لها أسماء⁴.

أمّا في الموسوعة الطبيّة الفقهية فيعرف المرض على أنه خروج الجسم من حالة الاعتدال التي تعني قيام أعضاء البدن بوظائفها المعتادة مما يعوق الإنسان في ممارسة أنشطته الجسدية والعقلية والنفسية بصورة طبيّعية⁵، ويقول ابن زهر بخصوص أطوار المرض وصيرورته <حواعلم-أيّدك الله- أن لجميع الأمراض أربعة أوقات، ابتداء وتزايد

¹ أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ج5، ص 311.

² مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، ص 863.

³ أبي الحسن بن علي بن سينا، القانون في الطب، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، 1420هـ/1999م، ص 141.

⁴ ابن رشد، الكليات في الطب، تح: عمار الطالبي وسعيد شيبان، الجزائر، شركة دار الأمة، (د، ط)، 2013م، ص 143.

⁵ أحمد محمد كنعان، الموسوعة الطبية الفقهية، تق: محمد هيثم الخياط، بيروت، دار النقاش، (د، ط)، ص 845.

وانتهاء، وانحطاط¹، أما ابن خلدون فهو يدرج لفظ الموتان دلالة على الأمراض والوباء ويعني حدوث مرض شامل للإنسان والحيوان ويؤدي بأغليبتهم إلى الموت².

ج-ألفاظ الأمراض:

وتحمل المعاجم عدة ألفاظ تعني كلمة المرض، فيذكر في القاموس المحيط أن كلمة الحُوب والداء والدوى والسقام كلها تعني المرض، والوصب وهو محرقة المرض أوصاب ووصب، وكلمة الوجع التي تعني عند ابن فارس في مقاييس اللغة اسم يجمع المرض كله، ومما جاء في قاموس المحيط : وما به قلبية وهي الداء والتعب، قال الليث: ما به قلبية أي لا داء ولا تعب له، وتأتي كلمة الضَّبَّاط وهي القلبية والوجع، أما كلمة الدعث فهي أول المرض، والدنق محرقة المرض الملازم، وكلمة الآفة وهي العاهة أو عرض مفسد لما أصابه، أما الكلمة الشائعة المرادفة لكلمة المرض هي الوباء³.

2.1.1.تعريف الوباء:

أما كلمة الوباء epidemic هو ظهور عدد من حالات المرض في مجتمع أو إقليم ما على نطاق واسع أكثر من المعتاد، وعندما يوصف الوباء لابد من التحديد النوعي الواضح للفترة الزمنية والإقليم الجغرافي وخصوصياته الاجتماعية التي تحدث لديها الحالات⁴، يقول ابن زهر >>جرت العادة عند الناس بإيقاعهم على هذا الاسم على الأمراض التي تصيب أهل البلد من البلدان وتشمل أكثرهم، وهذا يكون بما يشترك الناس

¹جعفر يايوش وغازي الشمري، الطبيب ابن زهر الأندلسي رائد التجريب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط، 2017م/1439هـ، ص 249.

² ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار يعرب، 1425هـ/2004م، (د، ط)، ج1، ص 282.

³منال أبو بكر سعيد باوزير، ألفاظ الأمراض في القاموس المحيط، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1427هـ/1428هـ، ص، ص 368، 372.

⁴بيغلهور وبونيتا، الكتاب الطبي الجامع (أساسيات علم الوبائيات)، تر: كييلستروم، سويسرا، منظمة الصحة العالمية، (د، ط)، 1983م، ص 119.

في استعماله فيصيبهم كالأفة واحدة بحسب استعداده لقبولها¹، قد ذكر الوباء أنه المرض الذي يصيب أهل مدينة معينة ويشمل غالبيتهم، ويعلّل سبب انتشار المرض بأنّ كل النّاس يشتركون في استنشاق الهواء، فإنّ كان فاسداً أضّرّ بجميع من يستنشقه، وبذلك يعمّ المرض².

ولقد درجت الكثير من المصنّفات على الخلط بين مفهومين هما الوباء والطّاعون³ فقد كان مصطلح الوباء أشمل وأعم من الطّاعون، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا، وقد يشمل الوباء أمراضاً عديدة من بينها الطّاعون الذي يعرف بأنّه نوع من الأمراض التي تحدث في الزمن الوبائي، وقد ذكر وباء الطّاعون بتسميات عديدة منها الطّاعون الجارف⁴، والطّاعون الأعظم⁵، وهو مرض مشترك بين الإنسان والحيوان، وهو سريع الانتشار ويسبب الموت الجماعي⁶، والطّاعون >في الضّعفاء وأهل الشّطف أفتك... في النساء والصبيان أمطى<>⁷، وقد أطلق الأطباء القدماء اسم الطّاعون على كل ورم ردئ قاتل ينتج عنه التهاب شديد الألم فيصبح ما حوله في الغالب أسود أو أخضر أو

¹ ابن زهر عبد الملك، كتاب الأغذية، تح: اكبيراتيونغاريتا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مجلس التعاون مع العالم العربي، (د، ط)، 1992م، ص 143.

² نفسه، ص 143.

³ الطاعون: قال الجوهرى: وزنه فاعول من الطعن، عدلوا به عن أصله، ووضعوه دالاً على الموت العام كالوباء. ويقال: طعن فهو مطعون وطعين: إذا أصابه الطاعون؛ وكذا إذا أصابه الطعن بالرمح. ينظر: ابن حجر العسقلاني، بذل الطاعون في فضل الطاعون، تح: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، الرياض، دار العاصمة، (د، ط) (د، ت)، ص 95.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 42.

⁵ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تق: يوسف علي الطويل، بيروت، بيروت، دار الكتب العلمية (د، ط) 1424هـ/2003م، ج3، ص 79.

⁶ ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص 22.

⁷ ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تح: حياة قارة، الرباط، ط1، 1436هـ/2015م، ص 77.

أُكْمِد، ويحدث على الأغلب في ثلاث مواضع: في الإبط، وخلف الأذن، والأرنبة¹ والطّاعون أنواع:

أشهرها: ما يخرج في البدن من الورم، خصوصاً في المغابن²، وأنه قد يقع في اليد والإصبع وجميع الأعضاء، لكنّه نادر بالنسبة إلى ما يقع في المغابن.

الثاني: يقع في أيّ عضو كان من البدن أيضاً، مثل القرحة والبثرة، لكن الاختصاص له بالمغابن دون غيرها.

الثالث: ما يطفئ الروح كالذبّحة، وليست الذبّحة نفسها طّاعونا، وإنما في أنواع الطّاعون ما يضاهيها، ولذلك يختلف حال من وقعت به في زمن الطّاعون وفي غيره من الأزمنة.

الرابع: ما يقع في عضو ما فيتآكل منه كالجدام³.

وهناك من يعرفه بأنّه مادة سمية تحدث ورماً قاتلاً ويكون في ثلاثة أصناف هي: الطّاعون الدّملي⁴ والطّاعون التّسممي⁵ والطّاعون الرئوي⁶، وتظهر كل هذه الأنواع الثلاثة في صورة حمّى وقشعريرة في الجسم وغثيان وإسهال أو إمساك وتسمّم دموي

¹ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تح: سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ط، 2004م، ص 32.

² المغابن: جمع مغبن وهو الإبط وبواطن الأفخاذ. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج13، ص309.

³ ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص، ص 99، 100.

⁴ الطاعون الدملي: أعراض هذا المرض تكون بارتفاع شديد في درجة الحرارة تصحبه آلام في الرأس والأطراف وأنّهاك شديد للقوى، ويغطى لسانه بطبقة بيضاء، وتظهر أعراض المرض بتضخم في إحدى الغدد الموجودة بين الفخذ والبطن من الإمام أو الرقبة أو تحت الإبط. ينظر: طنطاوي جوهري المصري ت 1357هـ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، تح: محمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت)، ص 232.

⁵ الطاعون التسممي: ينتج عن تسمم دم المريض ولا يظهر فيه تضخم الغدة الموجودة في الفخذ أو البطن من الإمام أو الرقبة أو تحت الإبط. ينظر: طنطاوي جوهري المصري، المصدر نفسه، ص 232.

⁶ الطاعون الرئوي: قد ينتهي هذا الطاعون الدملي أو الطاعون التسممي بإصابة الرئة بميكروب الطاعون فينشأ عن ذلك الطاعون الرئوي. ينظر: طنطاوي جوهري المصري، المصدر نفسه، ص 232.

وصدّمة عصبيّة وألم عام في الجسم وعدم القدرة على التميّز العقلي وعدم الإِتزان أثناء المشي ولعثمة في الكلام¹.

وقد لخص إلى أنّ أكثر أوقات حدوث الطّاعون من أيّام السنّة هي: أواخر الصّيف وفي الخريف غالباً لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصّيف وعدم تحللها في آخره، وفي الخريف لبرودة الجوّ و الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في زمن الصّيف؛ فتتّحصر وتسخن وتتعفّن، ولا سيما إذا صادفت البدن قليل الحركة كثير المواد، فهذا لا يكاد يفلت من العطب².

تجدر الإشارة إلى أنّ جلّ المفاهيم المتعلقة بمصطلح الأمراض تقدم تعريفاً مشتركاً له، ولا تختلف هذه التعريفات إلى ما وصل إليه العلم الحديث، فالمرض هو فقدان الجسم لطاقته وقدرته على تأدية وظائفه المختلفة، والعلم الحديث يقدم تفسيرات عن ظاهرة انتشار الأمراض وفق ما يطلق عليه بالفيروسات أو البكتيريا، وكيفية انتقال هذه الأمراض من شخص إلى آخر، أو من الحيوان إلى الإنسان، كما أنّ الأمراض التي تصيب الإنسان متعددة ومختلفة ومنها الوبائيّة التي تعمّ منطقة معيّنة ولها تأثير بليغ على الحياة العامّة.

2-الخدمات الصحيّة (الطبيّة)

هي كل عمل قائم على المعالجة والوقاية من الأمراض التي تصيب الإنسان ومحاولة الحدّ منها ومن ثمّ مساعدة الجسم للرّجوع إلى حالته الطبيعيّة، وهي العلاج المقدم للمرضى سواء كان تشخيص أو إرشاد أو تدخلاً طبياً، يرجع الحالة الصحيّة

¹ شعبان خلف الله، الأمراض السارية التي تنتقل إلى الإنسان من الحيوانات ومنتجاتها (الأمراض البكتيرية)، بيروت، دار الكتب العلميّة، (د، ط)، (د، ت)، ص 155.

² ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ص 32.

للمريض بشكل أفضل¹، كما تشكل الخدمات التشخيصية العلاجية والتأهيلية، الاجتماعية والنفسية، وخدمات الإسعاف والطوارئ، والتمريض والخدمات الصيدلانية²، والمنطلق الأساس في هذه الخدمات الصحيّة هو المجال الطبّي فهو العلم الوحيد الذي يدرس كيفية معالجة الأمراض والحدّ منها وتحسين الأوضاع الصحيّة لمن يتلقّى العلاج، وقد اهتم المجتمع بالصّحة فقد ورد عن أمثال العوام عند الزجالي:

إنّي وإن كان جمع المال يعجبني...فليس يعدل عندي صحة الجسد

المال زين وفي الأولاد مكرمة...والسقم ينسبك في ذكر المال والولد³

كما أن مفهوم الخدمات الصحيّة له ارتباط بمجمل المصطلحات الخاصة بالطبّ ومهنة الطبّ من أجل وأشرف المهن منذ الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأنها تقوم على تخفيف آلام المتألّمين والذين يعانون من المرض⁴.

1.2. الطبّ في المفهوم اللغوي والاصطلاحي

1.1.2. الطبّ لغة:

في المعجم الوسيط قال صاحبه بأنّه علاج النّفس، وهو الرفق وحسن الاحتيال والسّحر، والدّأب والعادة⁵.

¹ ثامر ياسر البكري، تسويق الخدمات الصحية، الأردن، دار اليازور العلمية، (د، ط)، 2005م، ص 168.

² عبد العزيز مخيمر ومحمد الطعمانة، الاتجاهات الحديثة في إدارة المستشفيات المفاهيم والتطبيق، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، (د، ط)، 2003م، ص 9.

³ الزجالي القرطبي، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدّولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، (د، ط)، ج2، ص 161.

⁴ ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: عامر النجار، القاهرة، دار المعارف، (د، ط)، 1996م، ج1، ص 11.

⁵ مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، ص 549.

عرّفه الفيرروزآبادي بأنه علاج النفس، يطب ويطب، والرقق والسحر، والإرادة والشأن والعادة، وبالفتح: الماهر الحاذق بعمله كالطبيب¹.

والطبّ أو الطبّابة عند أبي أصيبعة هو الذي يعالج المرضى ونحوهم، والطبيب: الحاذق الماهر، والجمع أطبة وأطباء².

2.1.2. اصطلاحاً

يعرف الطبّ على أنّه علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصحّ وما يمرض، لحفظ الصّحة وإزالة المرض³، كما يعتبر من أهم العلوم التي تعامل بها الإنسان منذ العهود السابقة، فهو يتناول ما يصيب الإنسان من أمراض وأوبئة منذ أن بدأت حياتهم، ونظراً لحاجة الإنسان إلى التخلّص من آلام الأمراض والحدّ منها أخذ في تقصي كل السبل من أجل تطوير الطبّ ومن ثمّ معالجة ما يصيب جسم الإنسان من أسقام، عرف ابن خلدون الطبّ بقوله: >> ومن فروع الطبيّعات صناعة الطبّ وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصّحة وبُراء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن... وتسمى العلم الجامع لهذا كله، علم الطبّ>>⁴، ويقول ابن رشد >> إن صناعة الطبّ هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة، يلتزم بها حفظ بدن الإنسان، وإبطال المرض، وذلك بأقصى ما يمكن، في واحد من الأبدان، فإنّ هذه الصّناعة ليس غايتها أن تبرئ ولا بد، بل أن تفعل ما يجب، بالمقدار الذي يجب، في الوقت الذي يجب>>⁵، يقول القلقشندي:

¹ الفيرروزآبادي، المصدر السابق، ص 989.

² ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 11.

³ طاش كبري زادة وأحمد بن مصطفى (968هـ/1561م)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، بيروت، دار بن حزم، 1413هـ/2010م، ص 225.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص، ص 478، 489.

⁵ ابن رشد، المصدر السابق، ص 31.

>صناعة الطب علم موضوعها حفظ الأبدان النفسية، ومقصودها إعانة الطبيعة على حماية الأعضاء الرئيسية، ومدارها الأعتم على معرفة العوارض وأسبابها>¹.

وقد ألحّ الطبّ على عدة طرق لإحلال الصّحة والتّخلّص من المرض، ومنها: الحماية أو الوقاية، فهي كف ما يزيد به المرض أو يؤذّي فإذا احتمى الإنسان وقف مرضه وأخذت القوة في دفع المرض، أمّا الإفراط في الحماية يؤذّي خصوصاً من ليس في بدنه أخلاط رديئة لأنّه إذا زادت الحماية أخذت النّفس من الرطوبة التي في البدن وهي الرطوبة الأصلية فيعود المرض².

أمّا عن حال الطبّ في الحضارة الإسلامية فقد صار بوتيرة التطور، من حيث التّأكيد على الطبّ الوقائي والحرص على سلامة البدن، فقد كانت عدّة أحاديث نبوية تولي العناية بالصّحة العامّة، وفق توجيهات وإرشادات تؤكّد على النظافة، وترغب بالعادات الصحيّة الصحيحة التي يجب أن يمتثل لها المسلم، وقد بلغت الأحاديث النبوية التي تحت على التوجيهات الوقائية والصحيّة الثلاثمائة حديث³، والتي منها قول رسول الله صلي الله عليه وسلم (أيها الناس، تداووا فإنّ الله لم ينزل داء إلا أنزل الدواء)⁴.

وفي أيّام الدّولة العبّاسية، تطوّر علم الطبّ كثيراً، بعد أن شجعت حركة الترجمة، وبرز العنصر العربي وكان هذا كله بدعم وتشجيع الخلفاء، فمثلاً الخليفة العبّاسي أبو جعفر المنصور (157-136هـ/754-775) والخليفة المأمون (198-218هـ/813-828م) قام بشراء المخطوطات اليونانية وحفظوها في المكتبة المعروفة بـ (بيت الحكمة) والتي اعتبرت من أعظم دور العلم في بغداد، حيث حوت على عدد لا

¹ الفلقشندي أبو العبّاس أحمد، صبح الأعشى، القاهرة، دار الكتب السلطانية، (د، ط)، 1917م، ج11، ص 378.

² أبي بكر الأزرق، المصدر السابق، ص 7.

³ عبد الرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى (العلوم النقليّة)، القاهرة، دار الفكر العربي، (د، ط)، 1411/1991هـ، ص 144.

⁴ البيهقي أبو بكر بن الحسين بن علي، الآداب، تح: مجدي منصور سيد، بيروت، 1325هـ/2004م، ص 272.

يحصى من نفائس الكتب ولاسيما الطبيّة منها مثل كتب أبقراط¹، وجالينوس² وديسقوريدس³.

وينقسم الأطباء العلميون إلى مجموعتين: مجموعة الممارسين الذين اهتموا في المقام لأول بتشخيص المرض وعلاجه، معتمدين على المشاهدات والملاحظات، وتأتي الفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ هذه الغاية، ويمثّل هذه المجموعة الطّبيب أبو بكر الرازي ت (320هـ/ 901م)، أمّا الفريق الثّاني فهو فريق المدرّسين الذين درسوا الطبّ على أنّه جزء من المعرفة لا غنى عنه، وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذي دفعهم إلى تحصيل الطبّ بأسلوب منطقيّ وأطلق عليهم الفلاسفة الأطباء ويمثلهم ابن سينا ت (428هـ/ 1036م)، وكلا الفريقين اتبع المنهج التجريبي، بصرف النظر كونه غاية أو وسيلة⁴.

وللخدمات الصحيّة أو الطبيّة مفهوم واحد وهو الحدّ من الأمراض وإرجاع جسم الإنسان إلى حالته الطبيعيّة، وكلما ظهرت أمراض جديدة دفعت بالطبّ إلى التطور ومحاولة إيجاد تفسير لها بغية العلاج، لذا فإنّ تطور الطبّ عند المسلمين في العصور الوسطى عرف أشواطاً كبيرة يشهد بذلك ما وصل إليه العلم الحديث، ومن المعلوم أنّ التطور الحضاري الذي عرفته الدّولة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها صحبه تطور في جميع العلوم وكان ومن أهمها علم الطبّ وذلك لحاجة الإنسان الماسة له.

¹ أبقراط: ولد سنة 460 ق م، كان وحيد دهره في الطب والفلسفة، وصنّاعته قائمة على القياس والتجربة، وكان أبو ه طبيباً أيضاً استقر في أثينا وهو أول من نادى بعزل السحر عن الطب عن السحر. ينظر: محمد البشير العامري ونهاد عباس زينل، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوربا/القرون الوسطى، العراق، جامعة الدّول العربيّة، ط1، 1433هـ/ 2012م، ص 84.

² جالينوس: ظهر جالينوس بعد وفاة بقراط بـ 665 سنة تتلمذ على يد أرمنيس الرومي وكانت مدة حياته سبعة وثمانين سنة، وكان خاتم الأطباء الكبار المعلمين وهو ثامنهم. ينظر: محمد البشير العامري ونهاد عباس زينل، المرجع السابق، ص 84.

³ ديسقوريدس: طبيب حشائشي، ولد سنة 20م وكان بعد بقراط، اشتهر بعنايته بالعقاقير المفردة. ينظر: محمد البشير العامري ونهاد عباس زينل، المرجع نفسه، ص 85.

⁴ محمد البشير العامري ونهاد عباس زينل، المرجع نفسه، ص، ص 85، 86.

الفصل الأول: الأمراض ببلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-

7هـ/11-13م

أولاً/ قراءة في الأسباب وعوامل انتشار الأمراض.

1-الأسباب البشرية والطبيعية للأمراض والأوبئة

2-التفسير الطبّي والديني لأسباب الأمراض

ثانياً/ الخريطة المرضية لبلاد المغرب خلال ق 5-7هـ/11-13م.

1- الأمراض العامّة

2- الأمراض الوبائية

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق 5-7هـ/ 11-13م

أولاً: قراءة في الأسباب وعوامل انتشار الأمراض

يعد فهم أسباب الأمراض ضروريا في مجال الصّحة والوقاية من الأمراض، وتعد هذه الأسباب حالة أو صفة تلعب دوراً هاماً في إصابة جسم الإنسان بالعلل والأسقام.

وكما ذكر في مفهوم المرض على أنه خروج الجسم عن حالة الاعتدال يتبعها ضعف في ممارسة النشاطات، وقد يؤدي بعضها إلى وفاة الإنسان أو الحيوان، وتختلف هذه الأمراض حسب أسباب حدوثها، فهناك عدة عوامل تتدخل في انتشارها وإصابة الإنسان بها، بعضها ما كان بسبب تدخل الإنسان والبعض الآخر خارج عن نطاقه، فما هي أسباب حدوث الأمراض وعوامل انتشارها؟ وما هي أهم الأمراض التي انتشرت في بلاد المغرب الإسلامي خلال ق 5-7هـ/ 11-13م؟

1- الأسباب البشرية والطبيعية للأمراض والأوبئة

يمكن حصر أهم الأسباب في مجموعة من العوامل المختلفة، وقد تكون هذه العوامل عامّة، فهي متى وقعت وحدث بسببها كوارث، أدت بالضرورة إلى بروز أمراض وأوبئة، فالطبيعية تأثر بشكل مباشر على بقاء الإنسان واستمراره. ومتى كانت العوامل الطبيعية مستقرة ومناسبة للعيش وجد الإنسان، لكن منها ما يفضي إلى الصعوبة في العيش، بل وفي انتشار الأمراض والأوبئة، ويذكر ابن زهر ذلك بقوله: «حوين كان في المبادئ الطبيعية، وهي البرودة مقترنة بالرطوبة في الماء، قلما نجد مرضا بسبب رطب إلّا وكأنه يميل إلى البرد...»¹، وهنا يجعل أبو مروان العوامل الطبيعية أهم ما يؤثر على صحة الإنسان وعافيته، كما أن للإنسان دور رئيسي في حدوث الأمراض والأوبئة.

¹ أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء ابن زهر بن عبد الملك، التيسير في مداواة والتدبير، تح: يحي مراد، بيروت، الكتب العربية، ص 280.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

ويمكن حصر الأمراض والأوبئة التي حدثت في بلاد المغرب في مجموعة من الأسباب هي:

1.1. الأسباب البشرية

1.1.1. الحروب والفتن

تتسبب الحروب والفتن في تغيير نمط الحياة المعتادة، فتبرز بذلك عادات سلبية يتضرر منها العامة خاصة الضعفاء منهم، وفي بلاد المغرب وبالتحديد في الفترة المدروسة، ظهرت عدة حروب أثقلت كاهل الناس، وتسببت في حدوث أزمات متعددة، أودت بحياة الكثير منهم، ومن نماذج هذه الفتن التي أدت بالضرورة إلى تفشي الأمراض والأوبئة مايلي:

رغم أن فترة الدراسة التي هي من القرن 5-7هـ/11-13م، ظهرت بها العديد من الحروب والصراعات، إلا أن المرحلة التي عرفت أمراضا وأوبئة نتيجة هذه الحروب هي فترة الموحدين، فعند بروزهم احتدم الصراع بينهم وبين المرابطين، وتفاقمت المشاكل على الرعية منها ما نتج عن حريق فاس في سوق المدينة سنة 533هـ/ 1128م حيث افتقر خلق كثير¹، وفي سنة 541هـ/1136م عند محاصرة عبد المؤمن للمرابطين نفذ طعامهم وفنيت مخازنهم حتى أكلوا دوابهم ومات منهم بالجوع ما ينيف عن مائة وعشرين ألف، ولما طال عليهم الحصار واشتدت أحوالهم هلكوا جوعاً حتى أكلوا الجيف وأكل أهل السجين بعضهم بعضاً²، فالحصار فتك بعموم من كانوا بمراكش وتفشى الجوع والمرض فيهم حتى هلك فيهم الكثير.

¹ ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود مكي، القاهرة، دار الغرب الإسلامي، ص 268.

² ابن سمالك العاملي، المصدر السابق، ص، ص 137، 138.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

وتأثر الحروب على حياة الإنسان وصحته، ومن نتائج ذلك أن كانت البلاد غالية الأسعار بسبب كثرة الفتن، وقلة الأمطار، وبسبب عدم الحماية، والأنصار لتلك الجهات وبسبب ما كان بين الأمراء المرابطين والموحدين من الحروب والوقائع والفتن واشتغالهم عنها بأمورهم وأحوالهم في حضرته المراكشية¹، فقد وصلت الأسعار إلى أثمان خيالية، وكذلك في مراكش وصل فيها الربع من الدقيق بمئقال حشمي ذهباً²، واشتدت الأوضاع صعوبة على العامة فقد كثرت اللوازم على الرعايا بالعدوتين³، وازدادت الأوضاع تدهوراً، ثم في سنة (537هـ/ 1132م)، غلت الأسعار وبلغ ثمن الشعير ثلاثة دنانير للسل، وبلغ عند تاشفين دينار للرطل⁴، وذلك نتيجة لحروب تاشفين مع عبد المؤمن، والجدير بالذكر أن هذه الحروب تساهم بقدر كبير في ندرة السلع الأمر الذي يصعب على العامة توفير الغذاء، وبالتالي فإن نقص التزود بالسلع الضرورية يؤثر تأثيراً مباشراً على صحة الإنسان ويحدث له عللاً وأمراضاً.

كما ساهم الحصار الذي حدث في بجاية سنة (553هـ/ 1158م)، والذي دام سبعة أشهر في أن >> أصابته شدة شديدة من غلاء السعر... اشتروا الباقلاء في العسكر، سبع باقلات بدرهم مؤمني <<⁵. أما في سنة (581هـ/ 1186م)، فقد >> أقفرت من بجاية بسائطها وقلت مادتها وغلّت أسعارها... والمجاعة تشتد والوباء يزيد حتى عم الموتان ... وعجز أهل البلد عن تكفين الموتى وعن مواساة الحياء <<⁶، وكانت الرعايا تتحشر في

¹ ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 251

² نفسه، ج4، ص 16.

³ نفسه، قسم الموحدين، ص 16.

⁴ أبي بكر الصنهاجي البيدق، المصدر السابق، ص 52.

⁵ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 300.

⁶ ابن عذارى، المصدر نفسه، قسم الموحدين، ص 181.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

المدن أثناء مدة الحصار¹، وتمكنت الأمراض من العامة، وانتشرت بفعل ما ترتب عن تلك الفتن.

وبعد فترة من إحكام الموحدّين على البلاد مباشرة بعد هزيمة معركة العقاب عام (609هـ/1213م)، ضعفت دولة الموحدّين، ويصفها ابن عذارى بأن هذه الهزيمة هيالسبب في هلاك الأندلس إلى الآن²، أي الوقت الذي يعيش فيه، وظهرت فتن متواصلة فيما بينهم، ثمّ مع المرينين فنتج عنها حروب، ثمّ مجاعات متكررة من سنة 610هـ-1214م إلى سنة (658هـ-1260م)³، وفي عام (610هـ/1214م) كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس⁴، أمّا في عهد عثمان بن عبد الحق⁵، فقد ظهرت في سنة (625هـ/1228م) <<المجاعة والوباء الشديد والخوف والفتن فخلا أكثر بلاد المغرب>>⁶ كل هذه الأحداث أدت بالضرورة إلى انتشار الأزمات وشيوع الأمراض في مختلف مناطق بلاد المغرب.

وتؤدي الحروب إلى ترهيب العامة وانتشار الخوف والجزع، فعندما استولى المرينيون على المناطق الواقعة شمالاً سنة (610هـ/1214م)، وقاموا بشن الغارات على قراه ومدنه وضيقوا على قبائله فكان أحدهم لا يقدر أن يخرج من مسكنه إلا كان من أذعن لهم بالطاعة سالموه، ومن نابذهم قاتلوه، ففر الناس أمامهم يميناً وشمالاً، ولجأوا إلى

¹ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 429.

² ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 263.

³ أسكان الحسين، المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمال المغرب، الجديدة دار المنظومة، 2002م، ص 145.

⁴ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 273.

⁵ أبو سعيد عثمان بن عبد الحق: تولى قيادة المرينين بعد موت والده عبد الحق بن محيو المريني سنة 614/637هـ/1217/1240م. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 170.

⁶ ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، دار المنصورة للطباعة والوراقة، (د، ط)، 1392هـ/1972م، ص 37.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

الجبال المنيعَة لتكون لهم حصناً¹، وهذا الخوف أو الجزع يكون مصدراً من الأمراض التي تصيب الإنسان ومنها النفسية.

كما يترتب عن الحروب الخراب العمراني وتدهور الأمور، وفي أثناء الصراع الذي كان داخل البيت الموحيدي، بين يحيى بن محمد الناصر وعمه إدريس المأمون خيفت الطرق وفشا الفساد والخراب في بلاد المغرب لكثرة الفتن²، كما حدثت المجاعة في مراكش سنة 632هـ/1135م أثناء حصارها من طرف قبائل الخلط³ تبعثها أمراض بالمنطقة، وعند تحسن الأوضاع يعم الرخاء وترخص الأسعار، وقد عرفت فاس الرخاء عند دخول المرينيين إليها واستتبّت الأمور، خاصة سنة 658-672هـ/1260-1274م⁴.

وعندما تكون الدولة في أواخر عهدها يشيع فيها الظلم وتكثر المفاصد والقلقل (ثم إن المجاعات الموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه، أما المجاعات فتقبض الناس أيديهم عن الفلاح في الأكثر في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاض الرعايا فيقل احتكار الزرع غالباً)⁵، ففي آخر الدولة تشتد حدة الصراع وتتفاقم المشاكل على الرعايا، وتظهر الأمراض والأوبئة، حيث أن في أواخر دولة الموحدين بعد سنة 630هـ/1233م (خلت بلاد المغرب وكثر فيها الجوع والوباء ووصل وسق القمح ثلاثين ديناراً)⁶، وهذه الشدة وانتشار الأمراض كان كنتيجة الصراع والضعف الذي آلت إليه دولة الموحدين، وقد انفلتت الأمور عن الدولة بعد خمسة سنوات أي في سنة 635هـ/1238م اشتد الغلاء

¹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 288، 289.

² نفسه، ص 243.

³ ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 325.

⁴ أسكان الحسين، المرجع السابق، ص 147.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 499.

⁶ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص 275.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

والوباء بالعدوة فأكل الناس بعضهم بعضاً وكان يدفن في الحفرة الواحدة المائة من الناس¹.

2.1.1-التعب والإعياء

من الأمراض التي تصيب جسم الإنسان، هي التي تكون نتيجة التعب والإعياء من الأعمال الشاقة، وفي هذه الحالة تكون الأمراض فردية وليست وبائية، وقد فصل في ذلك الطبيب ابن زهر بقوله: تكون في جميع أعضاء البدن، إنما يكون ذلك في الإعياء، الذي يكون عن تعب شديد، وخاصة إذا كان ذلك على غير اعتياد... والإعياء إنما هو تورم في الجسم كله ولذلك تكون الأعضاء حارة وتكون الأوجاع في الجسم كله²، وثبت أن أنواع الأمراض ومعدل الوفيات تتعلق تعلقاً وثيقاً بالعمل³ والتعب أو الإرهاق ويعد مصدراً للمرض، فكثرة الوقوف تؤدي إلى التورم للأطراف ثم يعم الضرر كل الجسم⁴، ويعطي في ذلك أمثلة فيذكر داء تشقق الذي يصيب الأقدام، وداء النقرس.

ومن أشكال التعب والإرهاق الجسمي أو النفسي والتي تؤدي إلى حدوث المرض هو السفر الطويل المتعب ويمكن الاستشهاد بحادثة إجلاء >>المعاهدين إلى العدوة... أنكرتهم الأهواء وأكلتهم الطرق ونسفتهم الأسفار ونزل فيهم الوباء<<⁵، فالمقصود أن السفر الطويل يرهق البدن ويكون سبباً في المرض، ومنها ما يكون بسبب الحالة النفسية التي تنشأ عن الإرهاق أو التعب مثل أنواع الحميات يعلل ذلك أبو مروان بقوله: >>إن أكثر ما تكون هذه الحمى عن سبب من الأسباب البادية التي تطرأ على الإنسان من

¹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 277.

² ابن زهر، المصدر السابق، ص، ص 374، 375.

³ حمولة فيروز، المتغيرات الاجتماعية لتصور المرض وأساليب علاجه، أطروحة دكتوراه، جامعة، محمد خيضر بسكرة، سنة 1335/1336هـ / 2013-2014م، ص 33.

⁴ جعفر يايوش وغازي الشمري، المرجع السابق، ص 160.

⁵ ابن عذاري، المصدر السابق، ح 4 ص 73

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

خارج، والأسباب الطارئة من خارج إما غضب شديد وإما هم مفرط وإما سهر زائد وإما تعب خارج عن المعتاد وإما طول إقامة في الشمس¹، ويمكن أن يكون الهم والغم سبباً كافياً في إحداث المرض فقد كان مهلك على بن يوسف بمراكش سنة سبعة وثلاثين بعدما بلغته أخبار أمرضته وأورثته هماً وغماً أثر في جسمه فالتزم الفراش². أن التعب والإرهاق والجانب النفسي يكون له تأثير على صحة الإنسان، ويؤدي إلى حدوث أمراض مختلفة.

وقد ذهب ابن خلدون إلى تفسير شيء آخر، وهو تفشي المرض وعدم القدرة على التحمل من طرف المتعودين على الخيرات فيقول: <وكذلك نجد هؤلاء المخصبين في العيش المنغمسين في طبيباته من أهل البادية وأهل الحواضر والأمصار، إذا نزلت بهم السنون، وأخذتهم المجاعات يسرع إليهم الهلاك أكثر من غيرهم مثل برابرة المغرب وأهل مدينة فاس ومصر فيما بلغنا لا مثل العرب أهل الفقر والصحراء ولا مثل أهل بلاد النخيل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل أهل إفريقية لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت>³، المقصود هو مدى التحمل الذي ينشأ عليه الإنسان فتحمل أهل الفقر أكثر من الذين يعيشون في الطبيبات من الأكل والشرب والراحة كما أنه قال: <وما يتوهمه الأطباء من أن الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه، إلا إذا حملت النفس عليه دفعة، وقطع عنها الغذاء بالكلية فإنّه حينئذٍ ينحسم المعى ويناله المرض، الذي يخشى معه الهلاك>⁴، ثم يذكر أن أجسام أهل المدن ألطف من أهل البادية⁵ المتعودين على الجوع والعيش الخشن.

¹ ابن زهر، المصدر السابق، ص 390.

² ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحد، ص 101.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص، 198.

⁴ نفسه، ص، 199.

⁵ نفسه، ص 197.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

3.1.1. العدوى عن طريق التواصل (التجارة، الهجرة)

المقصود بحركة التواصل هو طرق ومواطن الاحتكاك التي تكون نتيجة لما يقتصر على التجارة والرحلات أو الهجرة، والتي من خلالها يتم انتشار العدوى.

أ- الحركة التجارية وعلاقتها بالعدوى

لعل الحركة التجارية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، ساهمت بشكل غير مباشر في ظهور الأمراض، فيذكر البكري عن البلاد الواقعة جنوب السودان الغربي مثل غانة والتي كان التجار يفدون إليها أنها بلدة مستوية غير أهلة لا يكاد يسلم الداخل فيها من المرض¹، ومن الأمراض ما هو معدٍ، حيث أنه عند رجوع التجار يكون قد انتشر فيهم المرض فيتقش في مواطنهم. ومن جانب آخر، إن انتقال السفن بقصد التجارة، جعل من المرض المعدي ممراً للانتقال عبرها²، بحيث يبدأ الوباء بالتحرك مع انتقال السفن إلى الموانئ المختلفة، ومعلوم أن العصر الوسيط راجت فيه التجارة في العالم الإسلامي. والمغاربة كانوا يذهبون إلى جميع الأقطار للإتجار³، فمثلاً الأسطول المرابطي أمن التجارة البحرية في موانئ أوربا⁴ إلى موانئ بلاد المغرب والأندلس، وفي الفترة الموحدية كان اهتمام الخليفة عبد المؤمن بن علي بالتجارة الداخلية والخارجية⁵ لإحداث الازدهار الاقتصادي.

¹ البكري، المصدر السابق، ص 17.

² الحسن بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، الدار البيضاء، منشورات الزمن، (د، ط)، (د، ت)، ص 51.

³ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 86.

⁴ حسن محمود حسن، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة، در الفكر العربي، (د، ط)، (د، ت)، ص 400.

⁵ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1: 1984م، ج1، ص 339

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

إن التبادل التجاري يعتبر من العوامل المؤدية إلى انتشار عدوى المرض¹، ولما كان رواج التجارة سبباً في انتشار الأمراض والأوبئة، فيمكن أن يكون اضمحلالها من خلال قلة الموارد والسلع أو غلائها، سبب آخر في تفشي الأمراض حيث أن <<الأمصار إذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع>>²، فضلاً عن سلوكيات الاحتكار والادخار وغلاء الأسعار، وقد علق عليها ابن خلدون بقوله: <<والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر، والزرع والثمار على نسبته، إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار فإن عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع، وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا>>³، فكل هذا يؤدي إلى اختلال التوازن الغذائي الذي بدوره يكون سبباً في ظهور الأمراض بين أطراف المجتمع⁴.

وبالحديث عن اختلال التوازن الغذائي، يمكن القول أن لنوعية الغذاء دوراً جسمانياً وعقلانياً على الإنسان. فقد ذهب ابن خلدون إلى أبعد من ذلك بحيث جعل نوعية الغذاء تحدد مدى البلادة والذكاء بقوله: <<فإن نجد أهل الأقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والأدم والفواكه يتصف أهلها غالباً بالبلادة في أدهنتهم والخشونة في أجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الأدم والحنطة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير أو الذرة مثل المصامدة منهم وأهل غمارة والسّوس فتجدون هؤلاء أحسن حالاً في عقولهم وجسومهم وكذا أهل بلاد المغرب على الجملة>>⁵، فقد جعل الذين يعتمدون على الأدم والحنطة أقل ذكاء وعافيتاً من الذين يعتمدون على الشعير والذرة.

¹ الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص، ص 51، 52.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ص 430.

³ نفسه، ص 499.

⁴ عبد الهادي بياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 68هـ / 1214م)،

بيروت، دار الطليعة، ط1: 2008م، ص 90.

⁵ ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 111.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

كما تتأثر الحركة التجارية وتعرف ركوداً قاتلاً وقت ظهور الوباء المعدي، ذلك أن أهالي المناطق غير موبوءة كانوا يمنعون أهالي المناطق الموبوءة من الدخول إلى بلادهم، أو حتى إخراجهم من البلاد إلى مناطق أخرى يكون اتجاه الرياح عكس مناطق تواجدهم¹، خوفاً من نقل العدوى إليهم.

ب- حركة الهجرة وعلاقتها بالعدوى:

أما عن ظاهرة الهجرة يمكن أن تكون سبباً في انتشار الأمراض، وذلك أن العامة ترغب في حياة المدينة وما قد توفره من ظروف ملائمة، فنجد ابن خلدون يذكر تفشي الأمراض في المدن الكثيرة العمران بقوله: <>... ولهذا أيضاً فإنّ الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها بكثير، كمصر بالمشرق وفاس بالمغرب والله يقدر ما يشاء>²، ويدلّ هذا على أن كثرة الناس في المدينة يترتب عليها عدة مشاكل بالرغم من مما توفره هذه الأخيرة من ظروف، فالكثرة بلا نظافة تؤدي إلى تواجد للأمراض وانتشارها، كما أن الهجرة كانت قائمة بين العدوتين فقد انجلى أهل المغرب انجلاء عظيماً إلى الأندلس³، ومن الأمراض التي تعرف عليها المغاربة عند نهاية العصر الوسيط خاصة الجنسية منها⁴ التي لا يستبعد أن يكون انتشارها بسبب حركة الهجرة، يمكن الاستشهاد بما قدمه الحسن الوزان من أن مثل هذه الأمراض كانت منتشرة في السهول دون سكّان الجبال، خاصة بعد هجرة النصارى واليهود إلى المغرب⁵.

¹الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص 52.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ص 500

³ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 98.

⁴ الحسن بولقطيب، المرجع نفسه، ص 52

⁵ نفسه، ص 60.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

2.1. الأسباب الطبيّعية

1.2.1. انتشار العدوى عن طريق الكوارث الطبيّعية

شهدت بلاد المغرب الإسلامي كغيرها من البلدان جوائح¹ وكوارث طبيعة، فترة العصر الوسيط لم تخلُ من حدوثها، وقد أدت هذه الظواهر إلى حدوث مجاعات وانتشار أمراض وأوبئة فتاكة²، بالإضافة إلى ما لحق من جراء هذه الكوارث من تدمير وخراب للأراضي وتلف للمحاصيل، فالإنتاج الزراعي رغم تنوعه كما تدل الأدبيات الفلاحية فهذا لا يعني أنّه كان يكفي لسد حاجيات السكّان الغذائية لعدة اعتبارات منها: القحط والجفاف وأحيانا اشتداد العواصف³ ثمّ السيول التي تجتاح ما يقابلها من منشآت كالقناطر وغيرها، مثلما حدث في السيل العظيم⁴ الذي كان بنواحي طنجة سنة 532هـ/1138م، وكذلك لما غمرت المياه سهول فاس⁵ عام 626هـ/1229م، وأحدثت خسائر فادحة ومثلها حدث في الفيضانات التي اجتاحت مراكش عام 632هـ/1235م.

كما أن انتشار الجراد يؤثر بصورة خاصّة على الإنتاج ويؤدي إلى إتلاف المحاصيل الزراعية فينقص الغذاء، وتحدث الكارثة وبذلك يظهر المرض، وقد حدث سنة 679هـ/1281م، وكان الجراد ببلاد المغرب، أكل جميع زروعها⁶، وكذلك في سنة

¹ الجائحة: هي الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال، كما ورد لفظ الجائحة بمعنى المطية تحل في الرجل بماله فتجتاحه. ينظر: ابن منظور، المرجع السابق، ج3، ص 286، كما يلاحظ من خلال الجوائح الفقهية أن مصدرها يعود إلى الاضطرابات المناخية الفجائية أو الدورية، التي لا دخل للإنسان فيها ولا قدرة له على ردها. ينظر: عبد الهادي بياض، المرجع السابق، ص 19.

² عبد الهادي بياض، المرجع نفسه، ص 24

³ عبد الهادي بياض، أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب والأندلس، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1434هـ/ 2012، ص 11

⁴ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 4، ص 96.

⁵ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 274.

⁶ نفسه، ص 405

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

617هـ/1316م، حيث عمّ الجراد والقحط والغلاء الشديد بالمغرب¹ الذي أتى على الأخضر واليابس مسبباً نقصاً في المزروعات²، فترتفع بذلك الأسعار وتحدث المجاعة ثم يظهر المرض.

إن هذا التناوب بين الكوارث الطبيعيّة في بلاد المغرب ترك بصمات من البؤس ففي سنة 472هـ/1080م كانت الزلزلة العظيمة التي لم يرى الناس بالمغرب مثلاً هدت البنيان ومات فيها خلق كثير³ وظهرت المجاعة وغلاء الأسعار وانتشرت الأمراض⁴، كما ساءم الجفاف الذي حدث سنة 534هـ/1141م، أن خلق مجاعة أثرت على المدن القريبة من أماكن الصراع بين المرابطين والموحدين مثل أغمات أيلان سنة 535هـ/1141م⁵، ولم تخل سنة 616هـ/1219م من حدوث كوارث، فقد عرفت هذه السنة الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد⁶؛ أمّا الجفاف الذي تكرر على بلاد المغرب خمس مرات فقد أدى إلى ظهور مجاعة كبرى سنة 637هـ/1240م نعتت بالمجاعة العظمى التي خلا منها المغرب وتوالت به الفتن⁷، لقد عرفت بلاد المغرب كوارث طبيعية متعددة وكان من نتائجها إحداث أمراض وأوبئة بالمجتمع.

¹ ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، ط2، 1997، ص 183.

² عيسى بن الذيب، المغرب والأندلس في عهد المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، سنة 1429-1430هـ/2008-2009م، ص 278.

³ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 168.

⁴ عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية، المرجع السابق، ص 22.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 201.

⁶ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص 273.

⁷ ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د، ط)، 1973م، ص 34.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

2.2.1. المجاعات وتفشي الأمراض والأوبئة

كلما تتردد المجاعات إلا وتتبعها أمراض وأوبئة، والسبب أن المجاعات تساهم بشكل أو بآخر في اعتلال الجسم، وقد تختلف حدة بالأمراض والأوبئة حسب فئات المجتمع وأجناسهم وأعمارهم، فالفئة المستضعفة أكثر عرضة للإصابة لعدة أسباب منها السلوك الغذائي¹، وغنى عن القول إن كل مجاعة كانت تعقبها أوبئة غالباً ما أدت إلى الموت²، لأنه متى كان الغذاء موجوداً وصحياً، كانت الفائدة أعم لجسم الإنسان وعافيته، والعكس صحيح.

وتتدخل عدة عوامل في ظهور المجاعة وانتشار الأمراض، ومنها ما ذكره ابن خلدون حينما (قبض الناس أيديهم عن الفلاح في الأكثر...إلا أن الناس واثقون في أوقاتهم بالاحتكار فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلى الزرع وعجز عنه أولوا الخصاصة فهلكوا، وكان بعض السنوات الاحتكار مفقوداً، فشمّل الناس الجوع)³، كما يمكن أن يكون الجوع أو المجاعة نتيجة للكوارث الطبيعية كالجفاف الذي يصيب الأرض، وذلك بسبب أن المطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر، والزرع والثمار على نسبته، وتكون النتيجة الحتمية للمجاعات هي ظهور الأمراض وانتشارها .

إنّ معدل تكرار المجاعات بالمغرب الإسلامي من ق3-9هـ/ 9-15م حوالي عشرين مجاعة على الأقل، أي بمعدل مجاعة لكل ثمانية وعشرين سنة، يعني من ثلاثة إلى أربع مجاعات لكل قرن. وقد استأثر القرن 7هـ/13م بكثرة المجاعات، إذ سجلت فيه

¹ لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص، ص 47، 48.

² القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 201.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 282

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق 5-7هـ/11-13م

سبع مجاعات تميّزت بامتدادها الزمني وتقاربها، وحدث أغلبها عندما كانت الدولة الموحدية في طورها النهائي¹.

وما يبرر قول ابن خلدون حول أسباب حدوث المجاعات هو الفوضى التي تتكون في أواخر الدولة؛ فالفترات المتأخرة من عمر الدولة والتي تتميز في الغالب بظهور عصبية منافسة مطالبة للحكم، تقضي إلى انقلاب موازين القوى حيث توجه جميع الإمكانيات الاقتصادية لخدمة الأهداف العسكرية، الشيء الذي يؤثر سلباً على القطاعات الأخرى، وبسبب اضطراب الوضع الأمني والضريبي فإنّ الفلاحين يهجرون أراضيهم ويتركونها للبوار، وإن هذا العزوف عن إنتاج الغذاء هو الذي يكون سبباً في المجاعات² المؤدية إلى حدوث الأمراض والأوبئة وكثرة الأموات.

وكما ذكرنا سابقاً فإنه كثيراً ما تكون المجاعة مصاحبة للأمراض والأوبئة، حيث أنه في سنة 535هـ/1141م ظهرت مجاعة في بلاد المغرب³ وتبعتها أمراض، كما حدث لما اجتاحت إفريقية مجاعة وامتدت إلى سائر البلاد⁴ من سنة 537هـ/1143م حتي 542هـ/1148م، وتبعتها أمراض، وعندما ألم بالعدوتين وباءً شديد لم يعهد مثله فيما تقدم من الأزمنة⁵ وذلك سنة 571هـ/1186م كان قد سبق هذا الوباء مجاعة، وفي سنة 595هـ/1199م أصابت أهل مدينة فاس مجاعة⁶، ثم في سنة 679هـ/1281م كانت المجاعة ووصل القمح فيها عشرة دراهم للصاع⁷، وكنتيجة لهاتين المجاعتين ظهر

¹ أسكان الحسين، المرجع السابق، ص 135.

² الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص 29.

³ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 183.

⁴ الهادي روجي، المرجع السابق، ص 416.

⁵ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 4، ص 126.

⁶ ابن أي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 270.

⁷ نفسه، ص 405.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

الوباء، وتؤكد ذلك سنة 693هـ/1294م حيث كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم بالمغرب وإفريقية ومصر هلك فيه خلق كثير¹.

إن حدوث المجاعات له آثار متعددة لا تقتصر على الحياة الصحيّة فقد يتخطى ذلك إلى الجوانب الأمنية، ويذكر الرحالة العبدري عن تلمسان أيام الحاجة أنّها >>منقطعة موحشة، لا تخلو من قطاع الطريق البتة، وهم أشد خلق الله ضرراً وأكثرهم جرأة ومروءة لا يستقلون القليل، ولا يعفون عن ابن السبيل، ليس في أصناف القطاع أخس منهم همماً ولا أوضع منهم نفوساً>>²، فالحاجة تؤدي بصاحبها إلى استعمال طرق مختلفة للتزود بمختلف الحاجيات.

قد يتسبب الفقر وانخفاض المستوى المعيشي في تفشي الأمراض³، وكذلك إذا عمت المجاعة ونقص الغذاء اضطر الناس لأكل الفاسد من الطعام الذي يضر الصحة ويعمل على تفشي الأمراض والأوبئة، وقد يكون فسادها بقدمها أو تعفنها⁴، ويذكر ابن زهر مثلاً عن ذلك بقوله: >قد شاهدت وأنا في أسر علي بن يوسف في سجنه قوماً كانوا في سجنه... يتطارحون على أعشاب كانت لا تزال عن السقوف ويأكلونها. وإن مما كانوا يأكلون نوعاً مذموماً من أنواع اليتوع وغير ذلك لألم الجوع، وكان يموت كل يوم منهم عدد من عشرة إلى ما حول ذلك>>⁵، فهذه صورة لما ينجم عن الغذاء الفاسد من جراء انعدامه أو قلته وفساده.

وتتدخل عدة عوامل طبيعية وبشرية في حدوث المجاعات وانتشارها، وقد عرفت بلاد المغرب الإسلامي عدداً منها، حيث كانت لها آثار وخيمة على الحياة العامة فقد تبع

¹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 409

² العبدري أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود ت بعد سنة 700هـ / 1300م، الرحلة المغربية، تح: علي إبراهيم كروي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط 2، 1426هـ/2005م، ص، ص 526، 563.

³ حمولة فيروز، المرجع السابق، ص 33

⁴ ابن زهر، المصدر السابق، ص 429.

⁵ نفسه، ص 430.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

المجاعات أمراض وأوبئة أدت إلى الإضرار بالحياة العامة وإحداث نزيف بشري في مجتمع بلاد المغرب.

3.2.1. فساد الماء والهواء

إن الهواء والماء هو ما يشترك فيه الإنسان والحيوان والنبات، فهما يعلمان كل مجالات الحياة، لذا فإن نفاؤهما كان من متطلبات الحياة والتواجد، ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾¹، أما إذا فسد أحدهما أو كلاهما فقد كان من مسببات الأمراض وانتشار الأوبئة، ويقول ابن زهر: <حوالأمراض البوائية ذكرها بقراط في كتاب أفديما فقال: ... جاء مطر جود في وقت حر شديد ودام ذلك الصيف كله. قال: فعرض للناس شبه ما يعرض من حرق النار وحكاك حتى كادوا يسلخون جلودهم، ولم يكونوا ينتفعون بذلك لأنه كان صديداً محتقناً تحت الجلد....فبان من هذا أن أضر الأهوية علينا ما كان حاراً رطباً بسبب أن العفونة تدب في مثل هذه الأمزجة و خاصة متى لم تكن رياح تهب مجففة...وهذه الحميات شر الحميات ...سوءاً كان سببها فساد الهواء أو الماء أو فساد الأغذية>².

ثم إن فساد الهواء المحيط قد يكون بمجاورة جثث الموتى المتغيرة، كما يفسد إذا كانت في البلد مستنقعات للمياه القذرة حتى يشتم نتنها وبالجملة فمتى خرج الهواء عن المعهود الطبيعي حدثت البلايا بحسب خروجه³، والهواء إذا كان فاسداً عم المرض أهل الموضع أو عم أكثرهم⁴، أما المياه: فإنها إذا كانت راکدة حتى تتنن وتكون عكرة مما

¹ سورة الأنبياء، الآية رقم 30.

² ابن زهر، المصدر السابق، ص، ص 417، 419.

³ نفسه، ص 421.

⁴ ابن زهر، الأغذية، المصدر السابق، ص 143.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

تحتها من حماة وأقذار¹ فتكون سبباً مباشراً لحدوث العلة والسقم، فكل الأمراض والأوبئة لها علاقة وطيدة بالهواء ومدى صفائه ونقاؤه، كما يحدث نزول المطر في زمن الحر الشديد ودوام نزوله² أمراضاً وأوبئة خاصة الطاعون؛ فالمطر إذا كان في فصل الصيف والحر شديد ودام نزوله أيام متعددة في هذه الحالة يفسد الهواء ويعم الوباء أهل الموضع.

ويدرج ابن الخطيب أن من أسباب المرض مايلي: سبب أقصى: وهو الأمور الفلكية من القرانات التي تأثر في العالم، حسبما يزعمه أصحاب صناعة النجوم، وسبب أدنى: وهو فساد الهواء الخاص بمحل ظهوره ابتداء أو انتقالاً³، والأكد أن الهواء والماء من العوامل الضرورية للحياة، وبفسادها تحدث العلل.

ويرجع ابن خلدون أن العوامل التي تتسبب في فساد الهواء، هو كثرة العمران فيقول: <>...وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة...وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووقوع آخر الدولة، لما كان في أولها من حسن الملكة ورفعته وقلة المغرم<>⁴، كما أن الفوضى وانعدام النظافة والتعفن الذي يصيب أماكن الأوساخ، تكون آخر الدولة لضعفها وتركيزها على الجبايات فترهق العامة ذلك.

أمّا نقاء الهواء وصفائه فإنه يعود بالصحة والعافية على الإنسان، ومثال ذلك ما ذكره البكري عن الجانب الغربي للقيروان أن هواء هذا الجانب طيب صحيح وكان زيادة بن خلعون المتطبب إذا خرج من القيروان يريد مدينة رقادة وجانب باب أصرم، رفع

¹ ابن زهر، التيسير، المصدر السابق، 422.

² ابن زهر، الأغذية، المصدر السابق، ص 143.

³ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 65.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص، ص 499، 500.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

العمامة عن رأسه وبأشرف الهواء برأسه كالمتمداوي به لصحته¹، إن ما قام به المتطبب ابن خلعون وهو العالم بأمر الصّحة يعطي صورة واضحة لما لأهمية الهواء النقي.

4.2.1. العوامل المناخية

للمناخ علاقة مباشرة بصحة الإنسان، فهو يؤثر بدوره على توزيع الأمراض، بحيث تنتشر بعض الأمراض في عروض رطبة مناخية بينما ينتشر البعض الآخر في عروض باردة، كما أن تباينها عبر فصول السنة له تأثير على صحة الإنسان ونوعية الأمراض التي يمكن أن يصاب بها، حتى صارت توصف بأسماء الفصول كأمراض الصيف مثل الإسهال، وضربات الشمس، وأمراض الشتاء، والربيع مثل الرمد وغيرها².

وتعتبر درجة الحرارة والبرودة من أكثر العناصر المناخية التي لها تأثير مباشر ومحسوس على صحة البدن، ولا يقتصر تأثير المناخ على شخص دون الآخر وإنما يقع على البشر بدون استثناء. ومع ذلك فإنّ تأثيره قد يختلف من شخص إلى آخر حسب بعض المتغيرات مثل العمر ودرجة الإرهاق في مختلف الأعمال، وامتى التعود على نوع معين من المناخ³.

كما تعتبر الرطوبة من عناصر المناخ التي تؤثر في الصّحة. فالرطوبة المرتفعة تحول دون تبخر، مما يجعل الجسم لا يبرد بسرعة، وبالتالي الشعور الإنسان بالإجهاد والتعب والاضطرابات النفسية، كما أن الجو الرطب يساعد على نمو الجراثيم⁴ التي لها

¹ البكري، المصدر السابق، ص 25

² فتيحة فليح عبد الكريم نجار، الأمراض والخدمات الصحية في مناطق مختارة من محافظة رام الله والبيرة -دراسة في الجغرافيا الطبية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية فلسطين، سنة 2008، ص 73.

³ سميرة مزدور، المرجع السابق، ص 125.

⁴ فتيحة فليح، المرجع نفسه، ص 73.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

دور في انتشار بعض الأمراض، ويمكن لاختلال الجو أن يساهم في نقص المواد الغذائية فإذا هطل المطر في شينتمبر فسد معظم التمر¹، وأهل المغرب كما ذكرهم الوزان بالنوميديين كانوا يفضلون كثيراً غلة التمر على غلة القمح² لأن التمر يتم مقايضته بالقمح أوقات الشدة.

وتعتبر الرياح من العناصر التي تساهم في انتشار الأمراض، فهو أهم وسيلة ينتشر بها المرض المعدي، وذلك من خلال نقل الرياح للجو الفاسد من أماكن وجودها إلى أماكن أخرى، فالمناطق المواجهة للرياح السائدة أكثر عرضة لفساد الجو من المناطق الواقعة عكس مهب الريح، وكلما زادت سرعة الرياح ساعد على انتشار وانتقال الأمراض إلى مناطق أبعد من أماكن تواجده، بينما عندما تكون الرياح قليلة السرعة فإنّ الجو الفاسد يزداد تركيزه بالقرب من مصدر تواجد الأمراض³، وبذلك يشتد تركيزها وضررها في منطقة تواجدها، كما تساهم العواصف الرملية والترابية في فساد الجو وزيادة الأمراض.

ويكون صلاح الأرض بصلاح المناخ وبكمية تساقط الأمطار التي تلعب دوراً أساسياً في ذلك إن الشيء العام الصالح لجميع الأراضي الخارجة عن الطيب والاعتدال فهو المطر الخفيف اللين الدائم أربعة وعشرين ساعة ويتلوه في الإصلاح المطر المسمى الغسال وهو أزيد من ذلك بالضعف وهو يغسل الأرض المالحة المرة والحريفة ويصلحها إذا أدام عليها والصلاح الثالث هو الماء الكدر إذا أقام على الأرض⁴. لذا فإنّ العوامل المناخية لها تأثير بليغ على حياة الإنسان فاختلالها يكون له أضرار جسيمة على

¹ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 81

² نفسه، ص 81

³ فتحة فليح، المرجع نفسه، ص 74.

⁴ ابن العوام أبو زكريا يحيى ابن محمد بن أحمد الإشبيلي ت 539هـ/1146م، كتاب الفلاحة، مدريد، (د، ط)، 1802م ص 145.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

حياة الإنسان، واعتدالها يساهم في توفير الحاجات الضرورية للإنسان في مختلف المجالات.

2. التفسير الطبّي والديني لأسباب الأمراض والأوبئة.

1.2. أسباب الأمراض من المنظور الطبّي

تتميّز تفسيرات هذا الفريق بطابعها العلميّ إذ تتحوّ منحى ماديا في تحديد أسباب الأمراض التي تجدها إما في التغيرات الداخلية التي تحدث داخل الجسم البشري أو نوعية الأغذية المستعملة أو التغيرات المناخية¹.

ويمكن القول إن العناصر الطبيعيّة هي جوهر الجزيئات التي تتكون منها الكائنات من جماد ونبات وحيوان، بما في ذلك جسم الإنسان وهذه العناصر هي: النار الهواء، الماء والتراب، وتسمى أيضاً الأركان الأولى؛ ومنها تتكون الأغذية ومن الأغذية تتكون الأخلاط، ومن الأخلاط تتكون الأعضاء، ومن مجموعة الأعضاء يتشكل البدن².

ولقد بنيت النظرية العامّة للطب على أربعة أركان منها: اثنان خفيان هما النار والهواء واثنان ثقيلان هما الأرض والماء، وأن جميع الأجساد والأشياء تتكون من هذه العناصر، ولها صفات أربع هي: الحرارة، والبرودة، والجفاف، والرطوبة، بتوازن هذه الأخلاط³ في الجسم يكون في حالة صحة، وبانحراف توازنها وعدمه تحدث الأمراض، وهذه الأخلاط في مفهومها هي أجسام سيالة يستحيل إليها الغذاء⁴.

¹ محمد حقي، الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال، الرباط، (د، ط)، 2007م، ص 24.

² بوتشيش أمينة، نظرية علم الأمراض وأساليب التشخيص عند الأطباء المسلمين، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، العدد الثاني، 2015م، ص 132.

³ الأخلاط: الأخلاط المشاهدة في بدن الإنسان هي أربعة: الدم، والبلغم، والمرّة، الصفراء، والمرّة السوداء. ينظر: ابن رشد، المصدر السابق، ص 144.

⁴ بوتشيش أمينة، المرجع نفسه، ص 132.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

يمكن القول إن جسم الإنسان المعافى هو ما تعادلت فيه تلك الأخلاط، فإنّ اختلافت بكميتها أو بكيفية الامتزاج فيما بينها، اختلف تبعاً لذلك مزاج الشخص وفقد عافيته، وأكثر الأمراض ناجمة عن ازدياد في البرودة أو الحرارة، فالمرض حسب نظرية الأخلاط ناجم عن عدم تعادلها أو سبب فساد بعضها، أو زيادتها أو نقصانها، ويرى الأطباء ومنهم جالينوس أن لها علاقة بطبائع البشر، وأن للفصول الأربعة أثراً على الطبائع والأمزجة¹.

إن الأمراض التي عرفها الأطباء متعددة، فمنها الأمراض العضوية التي تصيب أجهزة البدن وأعضائه، ومنها الأمراض النفسية التي تتجلى في اضطرابات سلوكية للإنسان، وقد اعتبرت هذه الأخيرة منذ العصور القديمة أنها ليست سوى بدعة لا أساس لوجودها²، ومنها الأمراض الوراثية التي تنتقل من أحد الأبوين إلى الأبناء ويعتبر العامل الوراثي من العوامل المسؤولة عن الإصابة بالمرض مثل: أمراض المعدة والبول³، وأمراض سارية وهي التي تنتقل من الإنسان المريض إلى الصحيح⁴. وأمراض غامضة مجهولة.

2.2. الرؤية الدينية لأسباب الأمراض

وكما تتعدد الأمراض وتظهر الأوبئة فإنّ أسبابها تتعدد وتختلف، لكن يمكن التنويه إلى جانب يعد سبباً في حدوث الأمراض والأوبئة، ألا وهو نقشي الفواحش وارتكاب المعاصي، فقد تكون هذه الفاحشة سبباً وجيهاً وحقيقاً في إحداث المرض لقوله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشاً فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخْذُوا بِالسَّيِّئِ وَشِدَّةِ الْمُتُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ

¹ بونتشيش أمينة، المرجع السابق، 133.

² Le Goff (J), Trucong (n) une histoire du Corps au Moyen Age, LianaTevi, France, 2003.p117

³ فتيحة فليح، المرجع السابق، ص 78.

⁴ أحمد محمد كنعان، المرجع السابق، ص 845.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ لَّا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمُ أُمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهَمِهِمْ بَيْنَهُمْ»¹ أخرجه ابن ماجة والبيهقي .

وعن حديث النبي ﷺ عن الطَّاعُونَ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا»²، كما وردت أحاديث تحت عن الوقاية وتهتم بصحة الإنسان لقوله ﷺ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لَقِيمَاتٍ يَقْمَنَ صَلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَتُلْتُ لِطَعَامِهِ، وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ»³

كل هذه الأحاديث جاءت للدلالة على أن الأمراض وتفشيها في جماعة أو طائفة ما جاء كنتيجة للفساد وظهور الفواحش فيهم، فهي نوع من أنواع العقوبات التي يسلطها الله سبحانه وتعالى على عباده؛ إذا كثرت فيهم المعاصي وعم الفساد.

لذا، فإن أسباب الأمراض التي انتشرت في بلاد المغرب الإسلامي متعددة، منها ما تسببه العوامل الطبيعية من كوارث مختلفة الجفاف-الحرارة-الجراد-الفيضانات-الرطوبة المفرطة، وينجم عن هذه الكوارث مجاعات وأوبئة، أو من فساد الهواء والماء، فتحدث والأمراض ويكون انتشارها بصورة سريعة، وللإنسان دور بارز في حدوث الأمراض وتفشيها مثل الاحتكار أو الحروب والمعارك أو الحصار التي تؤدي كذلك إلى المجاعات

¹ محمد زكريا بن محمد بن يحيى الكاندهلوي، أواجز المسالك إلى موطأ مالك، تح: أيمن صالح شعبان، بيروت، دار الكتاب العلمية، ص 484.

² البخاري، المصدر السابق، ج7، ص129، رقم 5728.

³ إسماعيل محمد عبد الهادي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس فما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تصحيح: محمد عبد العزيز الخالدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ج 1، ط 1971م، ص 187.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

وحدوث الأوبئة، ويستطيع الإنسان أن يعرض نفسه للمرض وذلك بإرهاق جسمه فيسهل من تسلل المرض إليه، أو يكون بأن تعم الفاحشة والمناكر فيرسل الله عليهم عقاباً يكون بأحد الطوائع من الأوبئة التي تصيب المجتمع والفئة التي فشت فيها الفاحشة.

ثانياً: الخريطة المرضية لبلاد المغرب بين القرنين 5-7هـ/11-13م

نتيجة لعدة أسباب وعوامل حدث المرض وانتشر الوباء في بلاد المغرب فكان للإنسان دور في ظهورها كما كان للطبيعة وعدم توازنها يد في وقوعها، فظهرت أمراض مختلفة وانتشرت في البلاد، وكان لوجودها وانتشارها أثر في حياة إنسان العصر الوسيط، فما هي أبرز هذه الأمراض، وأماكن انتشارها في بلاد المغرب خلال الفترة المدروسة؟

يمكن تقسيم الأمراض إلى قسمين فالأول ما كان انتشاره في أفراد وغير عام، أما القسم الثاني الذي يخص بالأمراض الوبائية والتي انتشرت في عموم الناس بفعل العدوى أو عوامل أخرى.

1. الأمراض العامة في بلاد المغرب

1.1. الأمراض والعلل الجسمانية

لا شك أن أثر المجاعات والأوبئة والأمراض كان أشدّ وقعاً في صفوف طبقة العامة والضعفاء، فالفئات الغنية كانت تمتلك عادة من مخزون الأغذية ما تستطيع به مقاومة الشدة، أو لديها الإمكانية للشراء والذهب للأطباء ومحاولة العلاج، أما الفقراء فعانوا من سوء التغذية والأمراض فلم يكن لديهم الاحتياطات التي تجعلهم يجتازون حتى

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

الفترات القصيرة من التعرض للأمراض، أو نقص طارئ في المواد الغذائية، فكانوا يتساقطون واحد تلو الآخر¹.

ولقد حاولت بعض الدراسات أن تحصي الأمراض التي ظهرت في بلاد المغرب خلال فترة معينة حسب المادة التاريخية، فجمع أحد الباحثين حوالي 200 حالة مرضية²، وهي عينة قليلة العدد ومن الصعب أن تعبر على كل بلاد المغرب فكبر المساحة واختلاف الأسباب يؤديان إلى ظهور الكثير من الأمراض، ومن جملة أنواع الأمراض التي ظهرت في بلاد المغرب مايلي:

-مرض العيون:

ظهر في بلاد المغرب مرض العيون لكن لقلّة المادة المصدرية لا يمكننا حصر أماكن تواجده، كما توجد إشارة عن تواجد هذا المرض في سجلماسة فأهلها يأكلون الكلاب والجرذون... وقلما يوجد من أهلها صحيح العينين بل أكثرهم عمش³، أمّا ما ذكره الوزان عن نوميديا ويقصد بلاد النخيل أنهم يفقدون أسنانهم، ويضعف بصرهم كثيرا⁴، ويفسر سقوط الأسنان أنّه راجع لأكل التمر كثيرا، وضعف البصر نتيجة لكون هذه البلاد تعصف بها الرياح الشرقية التي تحمل الرمال والغبار فتتأذى منها العيون وتفسد⁵، ومن الذين كف بصرهم، ابن زكريا يحيى بن محمد بن عبد الرحمان التادلي ت (576هـ/1179م)⁶، رغم أن الوزان بعيد عن زمن الدراسة إلا أنه يكن الاستدلال به في مثل هذه الوقائع لأن طبيعة البلاد التي تحدث عنها والمناخ لم يطرأ عليهما التغير.

¹ جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصر المرابطين والموحدين)، الإسكندرية دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1: 2018م ص377.

² محمد حقي، المرجع السابق، ص 11.

³ الإدريسي، المصدر السابق، ص 61.

⁴ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 82.

⁵ نفسه، ص، 83.

⁶ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 182.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

-داء الإفرنج (الزهري)

لم تمدنا المصادر بمعلومات دقيقة حول هذا الداء إلا ما قدمه الحسن الوزان حوله وأن دخوله كان في فترات لاحقة من دراستنا، فلا يمكن إثباته أو نفي ظهوره في البلاد، والمعروف أن هذا المرض له أوجاع وقروح كان منشراً في بلاد البربر ولا يكاد يسلم منه أحد إلا القليل¹، كما أن هذا الداء لم يكن معروف عند أهل البوادي وجبال الأطلس ولا يوجد بتاتا عند الأعراب ولا في بلاد النخيل ولا في ليبيا، وأصله من بلاد الإفرنج لما طرد الدون فيرديناند² ملك إسبانيا اليهود إلى بلاد المغرب فظهر فيها هذا الداء الذي حمله عدد كثير من يهود إسبانيا، وكان لعدد من المغاربة اتصال جنسي مع نساء اليهود وهكذا انتشر هذا الداء³.

-القرع :

ويسمى كذلك بالسعفة، وهو قروح في الرأس متصلة يذهب معها الشعر⁴، وتكون هذا القرع في رؤوس الأطفال الصغار والنساء البالغات فيصعب الاستشفاء منه إلا بمشقة عظيمة⁵.

¹ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 84.

² فرديناند الكاثوليكي : ولد في أوراغون سنة 855هـ/1452م أبين خوان الأولن ملك أوراغون عام 883هـ/1479م بعد زوجه من إيزابيلا بعشر سنوات وصار ملكين لأوراغون وقشتالة، وقاد الحرب ضد المسلمين الغرناطين حتى سقوطها عام 897هـ/1492م. ينظر: جمال يحيوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492هـ/1610م، دار هومة، (د، ط)، 2004، ص 33.

³ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 84.

⁴ محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، (د، ت)، ص 334.

⁵ الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص 83.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

-الفالج (الشلل):

ويرتبط الفالج أكثر بآخر العمر وكبر السن، ومن الذين توفوا بهذا المرض أبو جعفر بن هارون التراجالي¹ بخدر أصابه في مراكش²، وكان الملوك يستعملون "معجون العود الهندي" الذي كان يبرئ الشيوخ والمفلوجين³.

-الصداع والصرع:

الصداع كان يصيب الكثير من الناس دون حمى في بعض الأحيان⁴، كما أن الخليفة الموحي أبا عبد الله الناصر توفي بسكتة بسبب إصابته من ورم في الدماغ⁵، أما الصرع فهو عبارة عن خلل يصيب الدماغ وإن لم يعالج في الوقت المناسب أصبح جنوناً⁶.

-ضعف الذاكرة والخلط:

وهي من الأمراض التي لازمت الشيوخ، ومن الذين أصابهم هذا المرض عبد الله بن عيسى بن محمد التادلي المكناسي ت 600هـ - 1203م⁷، وأحمد بن أبي عبد الله بن عمر القيسي السبتي ت 637هـ/1239م¹.

¹ أبو جعفر بن هارون التراجالي : من أعيان أهل إشبيلية وكان محققاً للعلوم الحكيمة معتبياً بكتب أرسطوطاليس وغيره من الحكماء المتقدمين فاضلاً في صناعة الطب، متميزاً فيها حسن المعالجة حمود الطريقة وخدم لأبي يعقوب والد المنصور. ينظر: ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د، ط)، (د، ت)، ص 530.

² ابن أبي أصبغة، المصدر نفسه، ج3، ص 122.

³ ابن زهر، الأغذية، المصدر السابق، ص 93.

⁴ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 83.

⁵ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 403.

⁶ ابن زهر، التيسير، المصدر السابق، ص 83.

⁷ عبد الله بن عيسى بن محمد التادلي: أصله من تادلا وكان بفاس روي عن أبي عتاب وأبي بحر الأسدي وأجاز له، وهو من روي عنهما بمغرب الدعوة، ودخل الأندلس فلقب ابن العربي وابن بشكوال، استوطن مكناسة وولي قضاء

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

-أمراض المعدة:

وكان المغاربة يسمونها جهلاً أمراض القلب، ويصاب الكثير منهم بأوجاع حادة في أمعائهم وذلك بسبب الماء البارد الذي يشربونه، كما يكثر ألم النساء (بوزلوم) بسبب الجلوس على الأرض وهم لا يلبسون أي نوع من أنواع السراويل²، ومن الذين مات بسبب داء البطن أبو الطيب³ أحمد بن الحسين الفاسي ت (578هـ/1182م)⁴.

وعلى إثر تلك الأمراض التي ظهرت في بلاد المغرب يذكر ابن رشد أن أهالي مراكش أضعف الناس حتى أراد البعض منهم أن ينتقلوا في وضوئهم من مسح الرأس إلى المسح على العمامة، وفي الطهور من الغسل إلى التيمم⁵، كما يعتبر داء الهلاس من أمراض المعدة الذي تمتع فيه العضلة عن هضم الطعام فينتج عنه ألم وعسر في البلع⁶.

-داء العضال:

وهو كل مرض مزمن لا يبرأ منه صاحبه مدى الحياة إلا بمعجزة ربانية، فمن بين أعراضه، أن المريض لا ينطق ولا يبصر ولا يستطيع الحراك، فهو شبه غائب عن الحياة⁷.

بسطة. ينظر: أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهراحة، طرابلس، دار الكتاب، ط2، 2000، ص 214.

¹ محمد حقي، المرجع السابق، ص 21.

² الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 83.

³ أبو الطيب أحمد بن الحسين الفاسي: من أعيان شعراء المغرب الراسخين في الأدب، كان شعره مدون بالثغر الأعلى بمدينة سرقسطة، استوطن مدينة فاس وولي أحكام القضاء بها توفي شهيدا من داي البطن سنة 578هـ/1182م. ينظر: ابن دحية الكلبي، المطرب من أشعار أهل المغرب، بيروت، دار العلم للجميع، (د، ط)، 1374هـ/1955م، ص 41

⁴ ابن دحية الكلبي، المصدر نفسه، ص 45.

⁵ ابن رشد الجد أبو الوليد محمد، فتاوي ابن رشد، المختار بن طاهر التاليلي، 1407هـ/1987م، ج3، ص 106.

⁶ ابن زهر، التيسير، المصدر السابق، ص 200.

⁷ سمية مزدور، المرجع السابق، ص 141

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

-داء النقرس:

أو ما يعرف بداء الملوك، والذي كان انتشاره بصورة قليلة، وقد أصيب به بعض الرؤساء المصابين ممن اعتادوا شرب الخمر وأكل الدجاج وغيره من الأطعمة الشهية¹، ويبدأ أمر هذا المرض بألم يصيب القدمين، ويمنع من الحركة².

-مرض الزرب: أو ما يعرف بالإسهال الشديد من أشد أمراض البطن خطورة وفتكاً بالناس مهما اختلفت أعمارهم وأجناسهم؛ وقد مرض به المقري أبو عبد الله محمد بن محمد القرموني التلمساني بسبب إفراطه بشرب نوع من اليتوع المسمى بحب القبيل³.

-الحميات والطحال:

الحميات من الحمى قيل سميت لما فيها من الحرارة المفرطة⁴، وكان انتشارها بخاصة في أودغشت فلا يكاد يخلوا من إحدى العلتين أحد منهم⁵.

-مرض الخرائيق:

من أعراضه ضيق التنفس وبقاء الفم مفتوحاً وصعوبة الابتلاع وجحوظ العينين وخروج اللسان، وإذا اشتد الوجع تفتتح الرقبة والوجه، ويحدث هذا من كثرة التقلبات الجوية، وشدة البرودة⁶.

في عهد الزيزين والحمادين رصدت دراسة لمخطوط محمد بن علي ابن باديس الصنهاجي خلال القرن 6هـ/ 12م في مؤلفه المعنون " المنافع البينة وما يصلح في

¹ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 83.

² محمد حقي، المرجع السابق، ص21.

³ سمية مزدور، المرجع السابق، ص 142

⁴ الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 354.

⁵ البكري، المصدر السابق، ص 158.

⁶ عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، الجزائر، موفم للنشر، (د، ط)، 2002م، ص 245.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

الأربعة أزمنة¹، مجموعة من الأمراض كانت منتشرة في إقليم الدولة الصنهاجية، على العموم ما ذكر فيه هو مجموعة من الأمراض المختلفة، كانت منتشرة في بلاد المغرب، كما ذكر طرق علاجها خلال تلك الفترة.

الأمراض	وسيلة العلاج	الورقة
القرع	بصل الخنزير، الزيت، كبريت، الصابون، زرنخ وزيت الرند (نبات)، وزيت الضرو (نبات)، ودقيق الشعير.	28، 35ظ
الخراج	الخولاني المكي، الشب اليماني، الزيت، زيت الخروع	28و
الحكة	أوراق الدفلة، زيت الرنق الفضي	28و، 30ظ
داء الثعلبة	مخ الذئب، شحم الذئب	29ظ
الجذام	مرارة القنفذ والإهليلج	29ظ
الحصبة	مرارة القنفذ	29ظ
الجرب	مرارة القنفذ	29ظ
الشقيقة	دماغ البوم، دهن البنفسج وتعليق شعر إنسان والشونيز، الفلفل، الثوم، العسل.	30و، 48ظ
الحزازة	زيت الحنظل، زيت الكتان	29ظ
الزكام	الكمون الأبيض، زريعة الكرفس، فصوص البيض	30و، 74و

¹شخوم سعدي، المنافع البينة وما يصلح في الأربعة أزمنة لمحمد بن علي بن باديس الصنهاجي، عصور جديدة، العدد 18، سنة 1436هـ/2015م، ص، ص 109، 110.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

أورام الرأس	الفربيون، الأفتيمون، المردنخوش، الزعفران	31ظ
الصداع	رقية بحسب الأيام	31ظ
الأرق	تميمة	34ظ
الخفقان	البسباس، حلتيت والثوم، العسل	34ظ، 45و
الحمى	اللبان، وجناح الديك، والرقية بالقرآن	35و
الارتعاش	اللبان	35و
الصرع	لحم ابن عرس، تعليق أعراض بعض الحيوانات	35و، 45ظ
النخار	دماغ الفرس (نبات)	35و
الكلف	اليرون، ودم الأرنب	39و
النمش	ورية الجمل	39و
البهق	ماء البصل مع الخل	39و
البرص	ماء البصل والخل	39و
الخرانيق	الخطاف أو الخصاف	44و
الأورام	عصارة العلقم، الزيت، مرارة الثوم	44و
السعال	ورق الكرم وشجرة العدس، العسل ولبن الإبل، لبن المعز ودجاجة بالجين الطري	45ظ، 47ظ
البواسير	القلقطان، الغافت، قشور الرومان، الصبر، الخل	46ظ

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

هذه عينة من الأمراض التي كانت منتشرة خلال فترة القرن 4 و 5 الهجريين، وكان الغرض الاستعانة بهذه الدراسة لمحاولة إحصاء أنواع الأمراض في تلك الفترة، كما يمكن أن تعمم خلال فترة الدراسة، وكذلك في كامل أنحاء بلاد المغرب الإسلامي لأن جلها معروف ويصيب الكثير من الناس إلى غاية الآن.

كما ترصد بعض الدراسات عدد من الأمراض التي كانت في المغرب من القرن الثاني للهجرة إلى التاسع للهجرة، وتم جمع حالات مرضية تهم أفراداً¹، لكن من الصعب أن يتم التوصل إلى جل الحالات المرضية التي ظهرت في تلك الفترة، وذلك لكبر المساحة وتكتم المادة المصدرية عن ذكرها، والجدول التالي يبين عدد من الحالات التي سجلت خلال ق5هـ/11م إلى ق7هـ/13م لكن يبقى هذا العدد أقل مما هو عليه في الواقع. ويمكن الاستئناس بهذا الإحصاء لمعرفة منحنى الحالات المرضية ومحاولة إعطاء تفسير لها

الرقم الترتيبي	الأمراض/ الزمان	ق 5هـ/11م	ق6هـ/12م	ق7هـ/13م	المجموع
01	أمراض العيون	22	13	07	42
02	الفالج	06	10	05	21
03	الاختلال الذهني	06	02	04	12
04	الدمل	–	02	02	04
05	النقرس	–	01	02	03

¹ محمد حقي، المرجع السابق، ص 11.

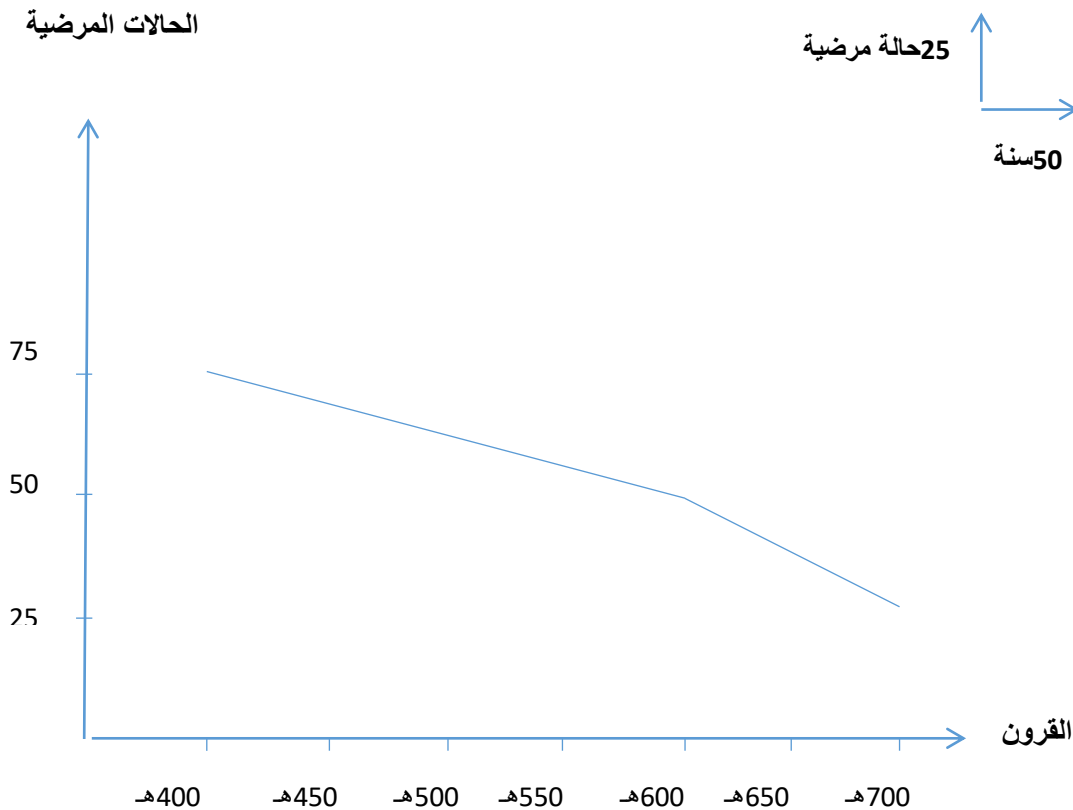
الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

05	-	02	03	الصمم	06
03	01	02	-	داء البطن	07
03	-	02	01	القرع	08
03	-	03	-	الجذام	09
01	-	01	-	الإسهال	10
02	-	-	02	الذبحة	11
01	-	-	01	الإستسقا	12
01	-	-	01	الجنري	14
03	-	-	03	داء النسمة	15
02	-	01	01	السعال	16
02	-	02	-	الصرع	17
01	01	-	-	صداع الرأس	18
01	01	-	-	الحصى	19
02	-	01	01	البرص	20
01	-	-	01	الجرب	21
01	-	-	01	حب القرع	22
01	-	01	-	الجنون	23
01	-	01	-	الذبول	24
01	-	01	-	الفواق	25
01	-	01	-	الشوصة	26
01	01	-	-	اضطراب الدورة	27

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق 5-7هـ/11-13م

المجموع	الدموية			
119	49	46	24	119

ومن خلال مجموع الأمراض المختلفة في القرون الثلاثة وعدد الحالات المرضية المسجلة يمكن إنشاء المنحنى البياني التالي:



الملاحظ من المنحنى البياني الخاص بعدد الحالات المرضية لمختلف الأمراض خلال ق 5هـ/11م وإلى غاية ق 7هـ/13م، أن عددها في تناقص من ق 5هـ/11م إلى 7هـ/13م، لكن نقص المادة المصدرية كانت تشكل عائقاً في ذكر جل الأمراض التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي، وكذلك شكل تكبر المساحة وشساعتها دور آخر في عدم إعطاء إحصاء دقيق للحالات المرضية والوبائية، لذا فالمنحنى البياني يمكن الاستئناس به في فهم واقع المرض في تلك الفترة.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

ومن خلال المنحنى يمكن إدراج فرضية التطور الطبّي في بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة، وكذلك يمكن أن يكون نقص الحالات المرضية راجعاً إلى استتباب الأمور، فقد كانت في منطقة المغرب الأقصى وأجزاء من الأوسط تعرف قلاقل وفوضى، ثمّ بظهور المرابطين قضت على تلك الفوضى وأحكمت السيطرة على البلاد كما ساهمت في تطوير الصنّاعة الطيّبة، أمّا الصراع الذي كان عقب ظهور الموحدّين، وما نتج عنه من مشاكل صحّيّة لعامة المجتمع فقد كان ظرفياً، ثمّ بتربعهم على ملك بلاد المغرب ظهر جلياً نقص الحالات المرضية ويرجع كذلك إلى زيادة تطور الطبّ والوقاية الطيّبة.

2.1. الأمراض النفسيّة

يمكن القول إن المرض النفسي قد ظهر في بلاد المغرب الإسلامي كغيره من الأمراض وبدوره أثر على صحة الإنسان وبدنه، وقد يكون هذا المرض بفعل عوامل مختلفة.

فاعامل الخوف له عواقب وخيمة خاصّة من الموت، ويكون سبب ذلك هو الحروب والفتن المتكررة خلال تلك الفترة الوسيطة ذلك أن المتصور للموت الخائف منه، يموت مثلاً في كل تصويرة موتة، فتجتمع عليه من تصوره له مدة طويلة موتات كثيرة¹، لكن ليس بالضرورة أن الخوف يملك كل الأفراد فإنّ <<العاقل لا يغتم البتة>>²، ولا يتأثر بالخوف بل يوفر لنفسه ما يطرد عنه هذا الخوف، لكن إذا كان وقع الأنباء عظيماً فقد يولد الهم والغم ويؤثر على صحة الإنسان فقد كان <<مهلك على بن يوسف بن تاشفين بمراكش سنة سبع وثلاثين بعدما بلغته أخبار أمرضته وأورثته همّاً وغماً أثر في جسمه

¹ أبو بكر الرازي، الطب الروحاني، تق: عبد اللطيف العيد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (د، ط)، 1978م، ص 122.

² نفسه، ص 123.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

فالتزم الفراش¹، فرغم مكانة علي بن يوسف وحكمته، أثر عليه سقوط أجزاء من مكاسب الدولة المرابطية، ونجد هذه الحادثة تتكرر لمن هو أكثر حنكة ودهاء، فمهدي الموحدين كانت وفاته عقب خسارة الموحدين في معركة البحيرة² 524هـ/ 973م، فلا يستبعد أن الخسارة كانت سبباً في تدهور صحته إلى أن توفي من هذه السنة³.

ومن الأمراض النفسية التي أوجدت مرض الأعصاب الذي يظهر بحالة خاصة عند الأطفال لكنهم يشفون منه كلما تقدمت سنهم، ويصاب به كثير من النساء لا سيما في بلاد البربر⁴، ويعمل الغضب على خلق مشاكل لصحة الإنسان فالإفراط فيه يضر بالغضب أكثر مما يضر بالمغضوب⁵، ومن الجوانب التي تضر بالإنسان هو الغم فهو يكدر النفس والعقل والجسد ولا علاج له إلا بقطع مواد الغموم⁶، كما أن لذوي الرئاسة وطالبوها أضرار نفسية صحيّة وذلك لأن الرئاسة لما فيها من عناء وخطر وجهد في المحافظة عليها، وخوف من ضياعها وغماً عند فقدانها⁷.

من الأمراض النفسية والعقلية التي ظهرت بالمغرب والأندلس؛ كالإعاقات التي مست كل الفئات الاجتماعية من رجال ونساء وأطفال، وتتعلق بداء الصرع والجنون، والنسيان، والهذيان، وذهاب العقل، والروعنة، والكوابيس، والوسواس،

¹ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 101.

² عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 91.

³ ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج4، ص84.

⁴ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 85.

⁵ أبي بكر الرازي، المصدر السابق، ص 28.

⁶ نفسه، ص 27.

⁷ أبي بكر الرازي، المصدر نفسه، ص 27.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق 5-7هـ/11-13م

والتخيل والخرف، والغباء، والغفلة، وقلة الفهم، والتخليط، والبله¹، وفي تلك الفترة كان هناك من يعتقد أن هذه الأمراض النفسانية هي مس من الشيطان².

2-الأمراض الوبائية في بلاد المغرب.

ذكر الوزان أن الظاهرة الوبائية في بلاد المغرب تتكرر وفق زمن معين فقال: يظهر >>الوباء في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات أو خمس عشر أو خمس وعشرون سنة<<³، ومن الأوبئة الواقعة في بلاد المغرب مايلي:

1.2.الأوبئة الواقعة في بلاد المغرب الإسلامي من خلال المصادر التاريخية.

1.1.2.الطواعين في بلاد المغرب.

قد بينا الفرق بين الوباء والطاعون عموماً، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً، وكذا الأمراض العامة أعم من الطاعون، والطواعين خرجات، وقروح وأورام⁴، ومن الطواعين التي ضربت بلاد المغرب مايلي:

- طاعون إفريقية عام 543هـ/1147م. في هذا الطاعون كان الشتاء مريعاً واضطر الناس إلى مغادرة البلاد والقرى إلى صقلية وأكل بعضهم بعضاً وكثر الموت في الناس⁵.

-طاعون سنة 571هـ/ 1176م. الذي نزل بمراكش ولم يعهد مثله من قبل وقد انتهى عدد الأموات في اليوم مائة إلى مائة وتسعون شخصاً وأكثر من ذلك، حتى إن

¹ سعيد بن حمادة، الصحة العقلية والنفسية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، دراسات وأبحاث، العدد 03، ص 63.

² فخري الدباغ، السلوك والإنسان الحقيقة والخيال، مصر، مجلة العربي، الكتاب 12، 1976م، ص 6.

³ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 68.

⁴ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، المصدر السابق، ص 91

⁵ الهادي روجي، المرجع السابق، ص 416.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

الناس لا يستطيعوا حملهم إلى الجامع للصلاة عليهم¹، وقد أشارت إليه الكثير من المصادر وإلى خطورته، فقد ذكره ابن أبي زرع الفاسي (الطّاعون الشديد)²، وقد دام هذا الطّاعون سنة كاملة، كما مات عدد من أسرة الخلافة من أبناء الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، أمّا من كان في دورهم وقصورهم من الخدم والعبيد فقد مات في كل يوم ثلاثون شخصاً حتى فني أكثرهم³، ونتيجة لانتشار هذا الوباء لجأ الناس إلى حمل بطاقات فيها بيانات عنهم⁴.

2.1.2. الأوبئة الواقعة في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين 5-7هـ/11-13م

قد دأبت المصادر على ذكر الوباء الواقع بالمفهوم العام ولم تحدد نوعه إلا في نماذج قليلة مثل ما ذكر عن مرض الجذام الذي اعتبر من أهم الأوبئة بعد الطّاعون، فهو مرض يؤدي إلى تساقط لحم جسد الإنسان⁵، وهو يعرف بالعلّة الكبرى⁶، وهو علّة تنشأ من انتشار السوداء في البدن كله، فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها، وإنما سمي به لتجذم الأصابع وتقطعها⁷، ومن خواص هذا المرض أنّه إذا استحکم اعتاص علاجه، وما لم يستحکم فإنّ علاجه ممكن⁸، وقد انتشر هذا المرض في جميع أنحاء بلاد المغرب، وكان المغاربة يعزلون من يصاب به، فقد أقام المجنومون في مناطق بعيدة عن السكّان ويذكر ابن أبي زرع أنّ المجنومين خصصت لهم بفاس (حارة خارج المدينة)⁹، وذلك لسرعة

¹ ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص، ص 135، 136.

² ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 267.

³ ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، قسم الموحدين، ص 136.

⁴ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص 267.

⁵ الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص 56.

⁶ ابن زهر، التيسير، المصدر السابق، ص 348.

⁷ الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 354.

⁸ ابن زهر، المصدر نفسه، ص 236.

⁹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص 41.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

انتشار العدوة بين عامّة الناس، أمّا سجلّ ماسة فكان أكثر مجذومياً من الكنافين¹، ويبدو أن هذا المرض كان متفشياً بكثرة في العهد المرابطي، وعليه فقد عملت الدولة على التكفل بهم فخصصت لهم أماكن، كما نالت هذه الفئة عطف العامة عليهم²، وذكر أن الوالي أبا يعقوب بن يوسف المبتلى³ أصيب بهذا المرض وتوفي به سنة (593هـ/ 1167م)⁴ وكذلك الأمير الموحي محمد⁵ بن عبد المؤمن ت (588هـ/ 1162م)⁶.

- وباء سنة 588هـ/ 1192م. وكان من أسباب ظهور هذا الوباء هي الحرب التي كانت بين بنو غانية والموحدين، وقد ظهر هذا الوباء في بجاية بعدما نقص الغذاء، وازداد الجوع، فكان <<الوباء يزيد حتى عم الموتان>>⁷، فظهر هذا الوباء كنتيجة حتمية للظروف التي آلت إليها بجاية في ذلك العهد.

- وباء سنة 610هـ/ 1213م. وظهر هذا الوباء متزامناً مع الضعف الذي عقب موقعة العقاب لدولة الموحدين ففي هذه السنة <<كان الوباء بالمغرب والأندلس>>⁸، وهذا مظهر من مظاهر بداية الضعف الذي بدأ في كيان الدولة الموحدية في المغرب والأندلس.

- وباء سنة 630هـ/ 1232م. وكان هذا الوباء بعد الوضع الذي آلت إليه الدولة الموحدية حيث كثرت الفتن وانتشرت الفوضى في البلاد ويؤكد هذا القول ما ذهب إليه

¹ البكري، المصدر السابق، ص 148.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 207.

³ أبو يعقوب يوسف المبتلى: تلميذ الشيخ أبي عصفور كان بحارة الجزماء وبها مات عام 593هـ/ 1197م ودفن خارج باب أغمات وحظر الناس لجنازته، وكان كبير الشأن فاضلاً، سقط بعض جسده في بعض الأوقات. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 312.

⁴ ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 312.

⁵ محمد بن عبد المؤمن بن علي الكومي ولي العهد من طرف أبيه عبد المؤمن وأمر بذكره في الخطبة بعده، وفي 558هـ/ 1163م عزل من ولاية العهد لما ظهر لعبد المؤمن من العجز عن القيام بأمر الخلافة. ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص، ص 194، 202.

⁶ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 386.

⁷ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 181.

⁸ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص 272.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق 5-7هـ/ 11-13م

ابن خلدون حول ما يصيب الدولة في أواخرها¹ من انهيار وضعف، ففي هذه السنة <<خلت بلاد المغرب وكثر فيها الوباء>>²، فقد خلت البلاد من عدم الزرع ثم الاحتكار وكثرت الجباية.

-وباء سنة 635هـ/1237م. وازدادت حدة الوباء في هذه الفترة العvisية من تاريخ الدولة الموحدية وفيها <<اشتد الغلاء والوباء>>³، وكانت نتائج هذا الوباء كارثية على المجتمع بحيث <<أكل الناس بعضهم بعضاً>>⁴، ووصل الموت إلى أرقام قياسية فقد كان <<يدفن في الحفرة الواحدة المائة من الناس>>⁵، وربما يكون هذا الرقم مبالغ فيه لكن المقصود منه هو كثرة الموت نتيجة الوباء.

-وباء سنة 656هـ/1258م. ظهر هذا الوباء في إفريقية وانتشر بين سكّانها، وكانت هذه السنة متوافقة مع غزو المغول وإسقاطهم لبغداد عاصمة الخلافة العباسية، هذا ما جعل بعض المصادر تربط ظهور الوباء وانتقاله لبلاد إفريقية نتيجة كثرة القتل الذي شهدته عاصمة الخلافة⁶.

-وباء عام 693هـ/1293م. ولقد جعلت المصادر التاريخية أنه أخطر وباء فقد دام عاماً كاملاً وامتد إلى خارج البلاد، ففي هذه السنة (ظهر الوباء الشديد في المغرب وإفريقية ومصر)⁷، ونتيجة لشدة الوباء على الناس فقد (هلك فيها خلق كثير)⁸.

¹ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 499.

²ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 276

³ نفسه، ص 362.

⁴ نفسه، ص 263.

⁵ نفسه، ص 263.

⁶ أبو العباس أحمد بن علي الخطيب ابن قنفذ القسنطيني ت810هـ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، 1968م، ص 121.

⁷ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص 539.

⁸ نفسه، ص 540.

الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م

ومن بين الأوبئة التي ظهرت في بلاد المغرب ولم تحدد لها نوعها المصادر كما لم تعط اسمها، نجد لمارمول كربخال رغم تأخره عن فترة الدراسة إلا أنه يمدنا بنوع من الأمراض الوبائية التي تحدث بفعل (أمطار يوليوز وغشت)¹ التي تكون غزيرة وبدون انقطاع مسببة (عدت أمراض خصوصاً الحمى القلاعية)²، فهي من جملة الأمراض الوبائية التي عرفها المغاربة بسبب تذبذب المناخ.

ظهرت الأمراض في بلاد المغرب بفعل عدة عوامل إما طبيعية أو بشرية، وكان لحدوثها وظهورها تفسير من الجانبين الديني والعلمي، ومن الأمراض التي ظهرت في البلاد ما يعد من الأوبئة التي اجتاحت أماكن وقوعها وقضت على عدد معتبر من السكان، وقد وصفت هذه الأمراض الوبائية بأنها تحدث كل عشرة سنوات، والنوع الموالي من الأمراض ما كان مألوفاً وسارياً في مختلف المجتمعات، أما النوع التالي منها ما كان بسبب الأعراض النفسية، فقد كان موجوداً لكن لم يكن له تفسيرات بالمعنى الذي وصل إليه الطب الحديث، كما يمكن القول أن الأمراض التي تم الإشارة إليها ليست هي كل ما ظهر في بلاد المغرب الإسلامي خلال تلك الفترة فهناك أمراض ذكرتها المصادر التاريخية بعد الفترة المدروسة مثل مرض الزهري، لكن لا يستبعد أن تكون قد وجدت خلال تلك الفترة.

¹ لمارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، الرباط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (د، ط)، 1404هـ/

1984م، ص 32

² نفسه، ص 32.

الفصل الثّاني: الخدمات الطّبيّة لمعالجة الأمراض والأوبئة

أولاً: التعاملات الطّبيّة وصناعة الأدوية.

- 1- التعاملات الطّبيّة.
- 2- صناعة الأدوية في بلاد المغرب.

ثانياً: طرق وأماكن العلاج في بلاد المغرب.

- 1- طرق العلاج.
- 2- أماكن العلاج.

أولاً: التعاملات الطبيّة وصناعة الأدوية

تعتبر فترة القرن 5-7هـ / 11-13م، مرحلة هامة في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، فقد حدث أن استقرت الأمور السياسيّة، خاصّة في المغرب الأقصى إذا ما استثنينا المغرب الأدنى وأجزاء من المغرب الأوسط، من جراء الهجرات الهلالية، وحدث أن ضمت الأندلس إلى حكم الملمثيين في العاصمة مراكش، وبعد مجيء الموحدّين توحدت كامل بلاد المغرب بما في ذلك الأندلس، وما لبث أن ازدهرت الحياة العلميّة في البلاد، واهتم المغاربة بالجوانب الحضارية المختلفة، والتي شكّل الطبّ فيها محوراً هاماً، فظهر بذلك أطباء وصيادلة، وحتى المتصوّفة وأفراد من العامّة امتهنوا جانب من جوانب العلاج بمفهومهم الخاص، ثمّ وجدت أماكن لتلقّي العلاج، فما هو حضور الطبّ بمفهومه العلميّ والشعبي في بلاد المغرب؟ ومن هم أهم الأطباء والصيادلة الذين امتهنوا هذه الصنّاعة؟ ثمّ ماهي أهم مراكز لتلقّي العلاج في البلاد؟

1. التعاملات الطبيّة

1.1. الطبّ العلميّ

1.1.1. لمحة حول الأحوال الطبيّة قبيل القرن 5هـ / 11م.

تجدر الإشارة إلى أن مهنة الطبّ كانت شائعة في بلاد المغرب الإسلامي قبل خضوع البلاد للعباسيين. فقد كان عدد من علماء الدين ورجال الجيش يتعاطون شيئاً من التطبيب المكتسب من التجربة والتقليد الموروث، وكان يطلق على كل واحد من هؤلاء اسم (فقيه البدن)¹، ولعل عدداً من هؤلاء المتطبيين كانوا يرافقون الجيش ويداونون المرضى والجرحى، وكانت لهم خبرة بالفصد والحجامة والكي وجبر العظام المكسورة بما

¹ فقيه البدن: ظهر هذا المصطلح في إفريقية، حيث كان في البيمارستانات يباشر العلاج فيها من الفقهاء الذين لهم خبرة بالطب. أيمن السيد عبد اللطيف، الحياة الثقافيّة في المغرب في عهد الدّولة الزييرية، دمشق، مكتبة الثقافة الدينيّة، (د، ط)، (د، ت)، ص 199.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

تعودوا عليه من قديم الزمان¹، وقد كان لأهل المدن انتفاعاً كبيراً من الطبّ والأطباء ومن طرق العلاج والتداوي، حيث أن علم الطبّ صناعة ضرورية في المدن لا تستدعيها إلا الحضارة².

كما بدأ الاهتمام بالعلوم الطبيّة في بلاد المغرب منذ أوائل القرن 2هـ/8م، وبالتحديد عندما تولى أمير إفريقية والي الخلافة العباسية-المهالبة³-حيث أن أول طبيب ظهر في البلاد هو السرياني يوحنا بن ماسويه المسيحي⁴ الذي قدم إلى القيروان في صحبة الأمير يزيد بن حاتم المهلبي⁵ حوالي سنة (155هـ/722م) وبأشر عمله في خدمة الأمير العباسي⁶.

ولقد تأثرت بلاد المغرب في المجال الطبّي بما كان يجري في بغداد وذلك لاعتماد بني الأغلب على محاكاة ما يجري في بغداد، فما من علم يظهر في الدولة العباسية إلا كان بنو الأغلب سباقين لاقتنائه ووضع أسسه⁷، ويظهر جلياً عندما أحضروا إسحاق بن

¹التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع للهجرة العاشر ميلادي، بيروت، المدار الإسلامي، ط1، 2003، ص 489.

² ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، 228.

³ المهالبة: كانت دولة المهالبة في إفريقية ثلاثة وعشرون سنة آخر أمرائها الفضل بن روح بن حاتم الذي تولى سنة 177هـ/793م ولم يمكث في حكمه إلا سنة. ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 88..

⁴ يوحنا بن ماسويه: كان طبيباً ذكياً فاضلاً عارفاً بصناعة الطب، وله تصانيف مشهورة وكان مبعثاً حظياً عند الملوك والأمراء، وكان مسيحي المذهب سريانياً قلده الرشيد العباسي ترجمة الكتب القديمة، وخدم هارون والأمين والمأمون وبقي على ذلك أيام المتوكل من مؤلفاته: كتاب البرهان، كتاب البصيرة، كتاب الفصد والحجامة وغيرها. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص-ص 246-255.

⁵ يزيد بن حاتم المهلبي: كان يكنى أبا خالد، ولاه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور العباسي وكان كثير الشبه بجده أبي المهلب ابن أبي صفرة في حروبه وكرمه ويقال أنه انتهى ولده إلى ثلاثمائة ولد من الذكور والبنات. ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 78.

⁶التليسي، المرجع نفسه، ص 489.

⁷نفسه، ص 490.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

عمران الإسرائيلي¹، وبذلك اعتبر المؤسس الأول للمدرسة الطبيّة في العهد الأغلب² وفي حدود الإمارة الأغلبية أقام الأغلبة في كل مدينة بيمارستان للمصابين بالأمراض التي تحتاج وقتاً طويلاً لشفائها، والتي يخشى انتشارها بين العامة³، وخلال فترة القرن الرابع للهجرة كان المغاربة قد اطلعوا على كتب أبقرات وجالينوس وديسقوريدس، وعملوا على ترجمتها فاستفادوا منها ثم انتقدوها وأضافوا إليها⁴، كما ابتكروا أدوات طبية هامة تستخدم في المجال الطبي⁵.

2.1.1. التطور الطبي في بلاد المغرب خلال ق 5-7هـ/11-13م

وقد كان الأطباء في أول عهد الدولة الإسلامية يكتفون بممارسة التطبيب بقراءة الطب على أيدي أي طبيب مشهور في عصر من العصور حتى إذا تكونت له القدرة على مزاوله المهنة بادر دون قيد أو شرط⁶، لكن في سنة 319هـ/ 931م في خلافة المقتدر بالله العباسي⁷ مات أحد الرجال نتيجة التشخيص الخطأ، مما جعل الخليفة يصدر أمراً

¹ إسحاق بن عمران: دخل القيروان في دولة زيادة الله بن الأغلب وبه ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة فيه، ويعرف باسم ساعة. ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد شيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1985م، ص، ص 84، 85، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 478.

² العكاوي رحاب لخضر، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، بيروت، دار المناهل، (د،ط) 2000، ص 245.

³ النليسي، المرجع السابق، ص 490.

⁴ نفسه، ص 506.

⁵ ينظر: الملحق رقم 02، 03.

⁶ فروح عمر، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، مطبعة دار العلم للملايين، ط3، 1980، ص 74.

⁷ كان الأطباء في أول عهد الدولة الإسلامية تكتفي بقراءة الطب على أي طبيب من النابهين في عصره، حتى إذا أنس من نفسه القدرة على مزاوله الصنعة باشرها بدون قيد أو شرط، وأن أول من نظم صناعة التطبيب وقيدها بنظام خاص هو الخليفة العباسي المقتدر بالله الذي تولى الخلافة سنة 295هـ وفرض على من يريد مزاوله التطبيب تأدية امتحان للحصول على إجازة تخول له هذا الحق. ينظر: عيسى بيك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، بيروت، دار الرائد العربي، ط 2، 1401هـ/ 1981م، ص، ص 41، 42.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

باختيار كل من يريد ممارسة التطبيب الحصول على إجازة لممارسة الطب¹، فاعتمد هذا الأمر في كامل البلاد الإسلامية.

وكان للطب العلمي المأخوذ من الكتب اليونانية القديمة حضور قوي في بلاد المغرب والأندلس، وذلك راجع لعدة عوامل، منها التطور العلمي الذي أثبت من خلاله العلماء المسلمين أنهم أهل حضارة، كما لم يقتصر هذا العلم على المسلمين فقط، بل كان من أهل الذمة من يتعاطى هذه الصنعة مثل فئة اليهود، وعلى العموم فقد ساهم الأطباء المغاربة أو الأندلسيون الذين قدموا إلى البلاد في تقديم خدمات طبية وتطوير هذا المجال في البلاد.

كما ظهر في كل البلاد المغاربية أطباء قاموا بالاعتناء بهذه الصنعة وراجت الظاهرة الطبيّة فيها، وقد شهدت قلعة بني حماد تطوراً حضارياً في كل المجالات العلميّة، ومنها الطبّ والصيدلّة، طيلة أكثر من قرن ونصف من 398هـ-545هـ/ 1007-1169م²، ولم تقتصر مهنة الطبّ على المسلمين فقط، ففي بجاية امتهن هذه الحرفة فئة من اليهود، الذين كانوا موجودين بقلعة بني حماد، خصوصاً بعد دخول الهلالين للقيروان فكان اليهود تجاراً وأطباء³.

وتحدث الغبريني عن الطبّ في بجاية لكن بنبرة حادة فقد هاجم أشباه الأطباء الذين يزاولون هذه الصنعة بدون معرفة بقوله: <هذه الصنّاعة هي أشدّ الصنّائع ضياعاً في بلادنا لأنّه يعترضها الغث والسمين ولا يقع بينهما التميّز إلا عند القليل من الناس>⁴ يعني من هذا القول أن صناعة الطبّ في بجاية لم تخضع للمراقبة وشروط من يتولى هذه الحرفة في كل الأحيان، فظهر بذلك أشباه الأطباء الذين يريدون الربح من وراء

¹ بن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 222.

² رشيد بورويبة، الدّولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الجزائر، وزارة الثقافة، (د، ط)، 2007م، ص 150.

³ نفسه، ص 160.

⁴ الغبريني، المصدر السابق، ص 76.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

امتهان عملية التطبيب، ثم يذكر كذلك عن الأطباء <حوامًا عوامهم ومن يعد منهم ... فعندما يسأل يجيب بغير علم، ولقد رأيت من كان مبخوتاً في الطبّ يعالج المرضى فتخفى عليه الشكاية فيعالجها بالحرار تارة وبالبارد تارة أخرى بحيث ينظر فإنّ نجح فيها أحدهما استمر عليه>¹. ويستشف من هذا أن هناك من هم محسوبون على فئة الأطباء ويقومون بعملية التطبيب والمعالجة بدون علم، فإنّ برئ المريض كان محض صدفة، ودائماً ما يكون هذا التصرف والتقصص للمهنة الطبيّة قصد ربح المال.

وربما كانت الظروف الساسية غير ملائمة في بجاية، فقد كانت أواخر القرن الخامس للهجري، تعاني من اضطراب في الأمور الأمنية، التي كانت بسبب الحروب الواقعة بين الحماديين، وبني هلال، وزناتة، والصراع الذي كان بين بني هلال داخل البلاد والإيطاليين والصقليين من جهة الساحل²، وهذا ما أثر على عموم الحياة بما فيها جانب التطور الطبيّ.

كما استوجبت تبعية مدن الأندلس لدولة المرابطين والموحدين في مراكز أن يكثر العلماء والأطباء التنقل بين الأندلس والمغرب، تبعاً لأوامر حكام الدولتين، وأن يشاركوا في تطوير المعارف الطبيّة والفلسفية في البلدين³. فبلاد الأندلس عرفت بتطورها في فنون العلوم فتحقيق الأنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميّز. فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم، يجهد أن يتميّز بصنعه، ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالية على الناس... والعلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فإنّ لها خطأ عظيماً عند

¹ الغبريني، المصدر السابق، ص، ص 75، 76.

² رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 161.

³ العكاوي رحاب خضر، المرجع السابق، ص 305.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

خواصهم¹. وكان الطبّ من بين العلوم التي راجت في البلاد الأندلسيّة، وشكلت محورا هاما لتعاطي مثلي هذه العلوم .

وفي فترة المرابطين والموحّدين أولوا اهتماما كبيراً بالطبّ، وقاموا بتشجيع القائمين عليه. فالمغاربة في عهد المرابطين كانوا على صلة بالعلم والعلماء، وأوضح ذلك صاحب المعجب ذلك بقوله : <فإنّ قطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحولة، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدري دولتهم>²، بعد ما تم ضم مدن الأندلس إلى سيطرة المرابطين، فأصبحت الهجرة إلى دار أمير المسلمين بالحضرة مراكش، والتي كانت تشكل عاصمة البلاد بما فيها الأندلس، كما تم تنظيم مهنة الطبّ، واتخذوا التدابير الوقائية من الأمراض والأوبئة³، أمّا في العهد الموحي فقد كان للطب صولة وجولة في وقد اهتبل به الموحدون وبخاصّة يوسف المنصور اهتبالاً فائقاً، وكان الطبّ يدرس على عهدهم بالمغرب،⁴ فوق اعتنائهم بالطبّ الخاص بهم، اعتنوا كذلك بشؤون الرعية⁵.

وقد نظم الموحدون حرفة الطبّ حفاظاً على صحة الناس عامّة وأبعدوا المشعوذين والمدجلين والمدعين للطب غير المؤهلين له، وكان للأطباء رئيس يعينه الخليفة، يراقبهم وينظر في أعمالهم، ويأذن لهم بالممارسة ويستقبل شكاوي العامّة⁶، كما قرب الموحدون الأطباء إلى مجالسهم وكانت هذه المجالس مطبوعة بطابع النظام حتى في ترتيب الجلوس

¹المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، 1388هـ/ 1968م، ص ص: 221، 220.

² عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 104.

³جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين 448هـ/ 1269م دراسة سياسية وحضارية، الإسكندرية، دار الوفاء (د، ط) 2001م، ص 302.

⁴ محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط2، 1397هـ/ 1977م، ص 123.

⁵ نفسه، ص 88.

⁶حسن جلاب، مراكش مباحث في التاريخ والحضارة، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، (د، ط)، (د، ت)، ص 92

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

فكان يجلس إلى جانب الخليفة خطيبه وقاضي الجماعة، ورئيس الأطباء، وأكبر علماء الحضرة، ثم باقي الأعلام الحاضرين على اختلاف مراتبهم¹، وقد كان الخليفة عبد المؤمن عارفاً بأقدار الناس مكرماً لأعيانهم، وأهل البيوتات منهم، عالماً بمقادير العلماء ينزل الناس على قدري منازلهم ورتبهم²، وطلب الخليفة من الطبيب أبو مروان ابن زهر أن يؤلف له الترياق السبعيني واختصره عشاريّاً وسباعيّاً، كما طلب الخليفة المنصور من الفيلسوف والطبيب ابن رشد أن يثبت له على طريق البرهان الطبّي ما قاله الأطباء في المواضع التي يستعمل فيها الترياق وما ضمنوه من أفعاله³.

أمّا الخليفة الموحي أبو يعقوب يوسف فقد قرب الأطباء إليه وكانت لهم مكانة هامة في الدولة، فقد كان أبو بكر بن الطفيل ت (581هـ/ 1185م)، وزيراً ومن أهل الحذق بصناعة الطبّ والنظر في الجراحات، وكذلك الوزير عبد الملك بن قاسم القرطبي ت (590هـ/ 1194م)، من أهل التبريز في صناعة الطبّ، استدعاه أمير المؤمنين للطبيب وسكنى مراكش سنة (578هـ/ 1182م)، ثمّ ولاه القضاء هو وابن رشد الحفيد، ومنهم الوزير أبو بكر بن زهر ت (595هـ/ 1199م)، وانتقل مع أهله إلى مراكش سنة (578هـ/ 1182م)، ثمّ اختص بالمنصور، وكان من أهل المعرفة بالطبّ والأدب والمجالسة⁴.

ويعرف الخليفة المنصور الموحي باهتمامه لحال الرعية، خاصّة في الجانب الصحي، فقد فرق حصوات الترياق على مختلف ممثلي أحياء مدينة مراكش لتوزيعها على السكّان وأوصاهم قبل أن يسلموها للمرضى، أن تجرب على الحيوانات للتداوي من

¹ محمد المنوني المرجع السابق، ص، ص 39، 40.

² ابن السّمّاك العالمي، المصدر السابق، ص 114.

³ الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص 77.

⁴ ابن زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 207.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

لسع العقارب¹. والخلفاء الموحدين لم يهتموا بالطب الخاص على حساب الطب العام²، كما وجد بيت خاص للأشربة والمعاجين الطبيّة للخلفاء الموحدين، وهو يندرج من مظاهر تنظيم الطبّ في ذلك العهد³.

أما خلال الفترة الحفصية، فمن مظاهر التطور الطبّي، هو استعانة ملك صقلية دانجوا الأول بأطباء الدولة الحفصية، حيث أرسل إلى المستنصر الحفصي يطالبه بطبيب لمعالجته، وذلك خلال القرن 7هـ/13م. كما أن الملك الصقلي، قد اقتنى في سنة (673هـ/ 1278م) من سلطان تونس نسخة من كتاب الرازي⁴، وذلك للاستعانة به في المجال الطبّي. لقد استمر التطور الطبّي في هذا العهد مدة طويلة نظراً بالخصوص لمصلحته الاجتماعية، فقد وجد عدد من الأطباء المشهورين في كل من بجاية وقسنطينة، وكان تشخيص الأمراض يعتمد في أغلب الأحيان على الطريقة التقليدية القديمة وتمثلها في تحليل البول، حيث كان العلاج من الأمراض الدخلية بالالتجاء إلى بعض العمليات الجراحية البسيطة⁵.

وبالانتقال إلى الفترة الزيانية، فإنّ الدولة كانت قليلة الاهتمام بالأمراض، رغم أهميتها وتأثيرها على صحة الإنسان ونمو السكّان والاقتصاد وال عمران⁶، لكن على العموم حاضرة تلمسان درست في مساجدها ومدارسها وفي بيمارستاناتها العلوم الطبيّة من طرف

¹الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص، ص 71، 72.

²محمد المنوني، المرجع السابق، ص 92.

³نفسه، ص 128.

⁴روباربرنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى القرن 15م، تر: حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م، ص 289.

⁵نفسه، ص 292.

⁶عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 243.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

كبار الأطباء والعلماء. وقد تعددت مصادر العلوم بخزائن تلمسان ومكتباتها في الطب والصيدلة والعلوم الطبيّة والبيطرة وعلم النبات¹.

كما تقدم طب الأمراض النسائية والتوليد في بلاد المغرب والأندلس، خاصّة في الفترة الزيانية، كما اكتشفوا دواء ينفع أوردة الرحم ويفتح سدد الأرحام عند النساء اللاتي يلدن، واعتنوا بالطفل وبإبعاده وخاصّة في السنوات الأولى للدولة الزيانية، وعالجوا الحصبة والجذري والربو، وعرفوا علاج الأرق والخوف للطفل ومرض الرمد الذي يتعرض له الصبيان والكبار².

3.1.1. دور فئة اليهود في المجال الطبي

أما بالنسبة للدور الذي لعبه اليهود في الميدان الصحي فمعظم المصادر تشير إلى اشتغالهم بالطب، حيث قصدتهم الرعاية باستمرار لمهارتهم الطبيّة. فأبو الحسن يهوذا (السموأل)³، اشتغل بتأليف كتب في العقيدة، وقدم خدمات للمرضى الذين كانوا يتزاحمون عليه كل جمعة⁴، ولم يتورع بعض الفقهاء كالأمام الماوردي (ت532هـ/1138م) عن الاتصال بأحد الأطباء اليهود قصد المعالجة، ومن خلال تتبع السيرة الذاتية للسموأل يتضح أنّه من تمكن من اختراع بعض الأدوية، كما ذاع صيت بعض الأطباء اليهود مثل أبي الفضل حسداي بن يوسف⁵، ورغم دعوة بعض الفقهاء

¹ عبد العزيز الفيلاي، المرجع السابق، ص248.

² نفسه، ص، ص245، 246

³ السموأل أبو الحسن يهوذا: هو يحيى بن العباس المغربي كان فاضلاً في العلوم الرياضية عالماً بصناعة الطب كان يهودياً ثم أسلم، صنف كتب في إظهار معائب اليهود وكذب دعاويهم في التوراة وموضع الدليل على تبديلها توفي سنة 57هـ/1175م. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص471.

⁴ القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص110

⁵ أبو الفضل حسداي بن يوسف: من أهل شرف اليهود بالأندلس -أولاد موسى عليه السلام- عني بالعلوم على مراتبها، وأحكم علم لسان العرب كان له نظر في الطب، وكان في سنة 450هـ وهو في الشبيبة. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص500.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

المتشددین إلى عدم إفساح المجال أمام الأطباء اليهود لمزاولة مهنتهم، ورغم ذلك احتلوا مكانة هامة في بلاط الأمير علي بن يوسف، كالطبيب سلمون أبي يعقوب، وحسن بن كفوا، فضلا عن ابن قنمال¹ الذي ذكره ابن قزمان في أزجاله²، مما يعكس هيمنة اليهود في المجال الصحي³.

4.1.1. نماذج من المعالجات الطبيّة العلميّة:

المرض	طرق العلاج	المصدر
الطّاعون الرئوي	الفصد باستفراغ البدن وإستعمال أدوية مركبة	ابن خاتمة، تحصيل القاصد، ص182
الطّاعون الإنتمائي	استفراغ البدن بالفصد واستعمال أدوية وأشربة	ابن خاتمة، المصدر نفسه، ص 182.
الجذام	الفصد واستعمال أدوية مركبة	ابن زهر، كتاب الأغذية ص18.
الجذري والحصبة	الفصد وأدوية مركبة	ابن زهر، التيسير، ص

¹ ابن قنمال : من أهل سرقسة طبيب يهودي مشهور متصل بالمرابطين. ينظر: أبو بكر ابن قزمان 555هـ/1160م، ديوان ابن قزمان، تح فيديريكو كورنتي، نق: محمود علي مكي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة المكتبة العربية، (د، ط)، (د، ت)، ص 360.

² قال ابن قزمان:

قال لي لما رأى شغل البال ونحول الجسد.

يا أبو بكر لا غنى أن تعمل....مأعمل كل أحد.

أي عرف يهودا بأخبارك..... هو طبيب البلد.

وأنا ندرى من هو المعجون....والشراب والطبيب.

ينظر: ابن قزمان، المصدر نفسه، ص، ص 231، 232.

³ القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 110.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

462		
التليسي، المرجع السابق، ص 496.	استطاع الأطباء المغاربة التحكم في وقف نزيف الدم من الجروح برش المساحيق المعقمة التي استخلصت من بعض النباتات واستعملوا الضمادات واللفافات فوق الجروح	نزيف الدم
بنعبد الله، تطور الطب والصيدلة بالمغرب، ص 71.	تعالج بالعمليات الجراحية	القروح

5.1.1. أجره الطبيب:

إن الحديث عن أجره الطبيب يمكن أن يوضح العلاقة بين الأطباء وبقية العامة، فالطبيب هو العامل بالصناعة الطبيّة، والتي من خلالها يكسب أجراً منه، لكن هل كان العامة على مقدرة وكفاية لدفع الأجرة؟ وكيف تعامل الأطباء مع الفقراء والمساكين؟

إن عمل الطبيب يشكل خدمة هامة لصحة الإنسان، وهذا العمل يتطلب أجره، لكن في بعض الأحيان لا يستطيع الفقراء والمساكين تسديدها، وتشير المادة التاريخية إلى أنه من الأطباء من كان يراعي الظروف المادية للفقراء والمساكين ويعالجونهم مجاناً¹، وقد سبقهم في إفريقية الطبيب ابن الجزار القيرواني¹ الذي كان يبحث

¹ نور الدين زرهوني، الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، 2006م، ص 62، حسن جلاب، المرجع السابق، ص 92.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

عن التخفيف عن الفقراء والمساكين ويقول في ذلك: <حرأيت عند ذلك أن أجمع لمحبي الطب... من العلل وأسبابها ودلائلها وطرق مداواتها بالأدوية التي يسهل وجودها بأخف مؤونة وأيسر كلفة فيسهل عند ذلك علاج العوام على الأطباء من أهل الفقر والمسكنة بهذه الأدوية>²، ولقد جرت العادة في العهود السابقة-بني الأغلب-أن الأمراء كانوا يزورون أماكن الدمنة للتصدق على المصابين النزلاء، واستمرت في عهد العبيدين وخلفائهم الزيريين ولم تنقطع تلك العادة إلا بعد الزحف الهلالي في منتصف القرن الخامس للهجرة³، في حين أن الأطباء كانوا لا يتقاضون أجراً من المريض إلا بعد أن يشفى تماماً⁴.

وتذكر المادة التاريخية أن أحمد بن يونس الحراني⁵ من أطباء القرن الرابع للهجرة قال عنه ابن جليل <حرأيت له اثنا عشر صبياً صقالبة، طباخين للأشربة، صناعيين للمعجونات بين يديه، وكان قد استأذن أمير المؤمنين المستنصر، أن يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى>⁶، لذا لا يمكن في كل حالة من الأحوال فصل الجانب الإنساني عن شخص الطبيب في تلك الفترة أو حتى الفترات السابقة، فقد تكررت مثل هذه النماذج كثيراً في بلاد المغرب الإسلامي.

¹ ابن جزار القيرواني: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم يعرف بابن الجزار، طبيب ابن طبيب من أهل التطلع والطب حسن الفهم ونيفاً وثمانين سنة ومات بالقيروان. من مؤلفاته: كتاب في علاج الأمراض، كتاب في الأدوية المفردة، كتاب في طب الفقراء والمساكين، كتاب العدة لطول المدة. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 481، 482.

² أبو جعفر أحمد ابن الجزار، طب الفقراء والمساكين، تح: الراضي الجازي وفاروق عمر العسلي، تونس، المجمع التونسي للآداب والعلوم، ط1، 2009م، ص 76.

³ التليسي، المرجع السابق، ص 494.

⁴ نفسه، ص 497.

⁵ أحمد بن يونس الحراني : كان طبيب المستنصر الأموي بالأندلس انصرف إلى الأندلس وسكن مدينة الزهراء كان حليماً ويداوي العين مداواة نفسية كان يواسي بعمة المساكين والضعفاء، ولاه هشام المؤيد خطة السوق ومات بحمى الربع وعلة الإسهال. بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 487.

⁶ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 487.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

لقد شكلت أجرة الطبيب عائقاً منع من تردد الفقراء والمساكين إلى الأطباء، وسبب ارتفاع الأجرة هو أن عدد الأطباء كان قليلاً، وصحة الإنسان لا تقاس بثمن لذا فإنّ الأمراء والسلاطين والخلفاء، قدموا أموالاً معتبرة للأطباء خاصة المهرة منهم، حيث كانوا يحظون بمكانة هامة عندهم، لذا من البديهي أن ترتفع أجرة الطبيب، وبالمقابل كان من الأطباء من عالج الفقراء والمساكين بدون ثمن.

4.1.1. جرد لأهم الأطباء خلال القرنين 5-7هـ / 11-13م

من خلال الجدول¹ يمكن القول أن جل الأطباء المذكورين كانوا في خدمة حكام بلاد المغرب وخاصة الخليفة المنصور، كما أن معظم الأطباء كانوا من الأندلس، وذلك لعدة اعتبارات منها:

1. إن المصادر التاريخية رصدت عدداً كبيراً من الأطباء الذين هم في خدمة حكام بلاد المغرب، وهذا الرصد كان مرتبط بتاريخ الحكام، وأهم أعمالهم والمقربين إليهم من العلماء والأطباء والوزراء وغيرهم، فساعد ذلك على التعريف بالأطباء.

2. كذلك إن كرم وسخاء الحكام على الأطباء معروف، فالأمر ليس مجرد أعطيات دون مقابل بل كانت صحة هؤلاء بين أيدي الأطباء، وكثيراً ما نجد كلمة أن الطبيب كان (مكيناً أو حظياً) عند الحكام فقد تم تقريبهم إلى البلاد واصطفائهم من بين المقربين إليهم، والتقرب من الحاكم له عدة مزايا من بينها الوجاهة وكسب المال.

3. ويظهر لنا هذا الجدول أن الأطباء لم يكونوا متخصصين في مجال معين فقد اكتفت المصادر بتعميم المعرفة الطبيّة للأطباء كالقول: أن الطبيب كان ماهراً أو معتنياً أو من المشاركين بصناعة الطب، وغيرها من العبارات التي مفادها أن الأطباء غير متخصصين في علاج أمراضٍ دون أخرى.

¹ ينظر: الملحق رقم 01 (جدول لأهم أطباء القرنين 5 و7هـ / 11و13م)

4. كذلك من الملاحظ أن فترة حكم الخليفة الموحي المنصور تميّزت بتقريبه للكثير من الأطباء دون غيره من الحكّام طيلة الفترة. وتطور الطبّ تطوراً ملحوظاً، فمن مظاهره وجود صيدلة خاصّة بالخليفة عرفت بخزانة الأشربة كان يشرف عليها الطبيب يحيى بن قاسم الإشيلي، وبوفاته خلفه ابنه¹، وقد ذهب إلى أكثر من ذلك، حيث بنى أكبر بيمارستان في بلاد المغرب الإسلامي، والذي تعددت مهامه في علاج الأمراض، ويمكن تفسير ذلك إلى الرخاء الذي كان في فترة حكمه هذا من جهة، والأمر الآخر هو المرض الذي أقعد المنصور والذي كاد أن يؤدي بحياته مما جعله يذوق ألم المرض فولد له روح الاعتناء بالصّحة العامّة ومحاربة الأمراض.

5. أمّا فيما يخص كثرة الأطباء الأندلسيّين مقارنة بالمغاربة في بلاط الحكّام فهذا دليل على أن بلاد الأندلس كانت مزدهرة بالعلوم، وبخاصّة صناعة الطبّ نتيجة التراكمات العلميّة التي مرت بها الأندلس في الفترات السابقة.

2.1. طب الصلحاء

ارتبط ظهور التّصوّف في منشئه بمخاطبة العامّة والتّقرب إليهم، فقد تركت هذه العلاقة بصمات واضحة على مختلف جوانب الحياة، وكان الطبّ من بين الجوانب التي وثقت العلاقة بين فئة العامّة ورجال التّصوّف، واستعمل المتصوّفة طرقاً مختلفة في معالجة مرضاهم تراوحت بين الجانب الروحي والجانب المادي، فمنها الكرامة والبركة والدعاء لشفاء المرضى، ومنها اللمس أو الريق أو استعمال الأعشاب والعقاقير.

كما يمكن الالتفات إلى نقطة هامة تشير إليها المادّة التاريخيّة ألا وهي تمسك العامّة بطب الأولياء، ويمكن أن تُطرح بذلك عدة تساؤلات ومنها: ماهي طرق العلاج عند المتصوّفة؟ ثمّ ما مدى نجاعة طب المتصوّفة؟

¹ الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص 78.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

لقد شكلت الأمراض هاجساً لدى المجتمع المغربي، ولم يجدوا وسيلة للتخفيف منها إلا عن طريق المتصوفة والسبل التي يغلب عليها الطابع الغيبي¹، وهذا من الأسباب التي جعلت البعض من العامة يتصلون بالصلحاء وأصحاب الكرامات، وقد بدأ نشاط المتصوفة الطبي مع القرن 6هـ/12م، واستمر في التوسع والتزايد حتى نهاية العصر الوسيط²، وكثيراً ما تروي كتب المناقب طبيعة المعاملة التي حظي بها العامة من طرف المتصوفة، وقد عرف عن المتصوفة بمساعداتهم لفئة العامة بما يستطيعوا خاصة في الجانب الصحي، ويذكر ابن قنفذ بعض المتصوفة بقوله: <ورأيت منهم بفاس وهو حي ألا بها ولي الله الفقيه الزاهد الورع أبا عبد الله محمد الجناتي³... فكان يبادر إلى خدمة الغريب المريض ويسعى في أمره>⁴.

1.2.1. طرق مداواة عند المتصوفة

أ- الصدقة والدعاء والرقية

ومن نماذج وطرق المداواة لدى المتصوفة ما اشتهر به الشيخ أبو العباس السبتي⁵ الذي كان يعالج الأمراض، وحل المشاكل بالصدقة، فكل مريض استجد به يأمره بالصدقة ثم يشفى من مرضه⁶، وقد كانت من عادة العامة أن يتوجهوا إلى الصلحاء إما للتطبيب أو للدعاء للمرضي لكي يتم الشفاء على أيديهم، ويذكر ابن الزيات أن أبا محمد بن عبد الله بن يخلف الصابوري قال: مرضت لنا صبية، فحملناها إلى أبي يعزى ليدعو لها فدعا

¹ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص، ص 214، 215.

² محمد حقي، المرجع السابق، ص 79.

³ عبد الله محمد الجناتي: من فاس الفقيه الزاهد الورع من أهل العلم والصلاح والزهد، وكان الصلاح يطعمونهم الفقهاء بيرونه والعامة ترمقه وتشير إليه. ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقيير، تح، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات الجامعة للبحث العلمي، الرباط، كلية الآداب، 1965م، ص 76.

⁴ ابن قنفذ القسنطيني، المصدر نفسه، ص 76.

⁵ أبو العباس السبتي: هو أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي ولد بسبته عام 524هـ/1130م نزل مراكش وبها مات عام 601هـ/1205م. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 452.

⁶ محمد حقي، المرجع نفسه، ص 78.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

لها¹، ولم يقتصر استتجاد العامة بالصّلحاء في مجال الشفاء من الأمراض بل فاقه إلى مختلف الكوارث الطّبيّة، ويذكر التادلي عن أبي محمد عبد الغفور² عندما ذهب إلى أغمات فقال: فمررنا بقوم مجتمعين على قتل الجراد فقاموا إلى أبي محمد وشكوا إليه ما نزل بهم من الجراد، فقال لهم: لعل الله يصرفه عنكم حتى لا تعلموا هل غاص في الأرض أم صعد في السماء، فدعا لهم وانصرفنا، فرجعت من أغمات في اليوم الثاني، فمررت بؤلك القوم فقالوا له أقرأ سلامنا على الفقه أبي محمد وأعلمه أن الله تعالى قد أراحنا من الجراد³. فالجراد كان من الكوارث التي تؤدي إلى الجوع وانتشار الأمراض، وهناك نماذج متعددة في وقوف المتصوّفة مع العامة للحد إما من الجوع أو المعالجة والتداوي، ولقد كان المصامدة يزورون وجاج بن زلو اللمطي⁴ من أهل السّوس الأقصى ويتبركون بدعائه، وإذا أصابهم القحط استسقوا به⁵.

ومن نماذج المداوة عند المتصوّفة، ما يخبر به صاحب المستفاد عن عبد الله بن معلي⁶، أنّه كان له صاحب يسمى بحجاج فضربته سكين في عينه الواحدة، وكان الحكيم ابن عمار يعالجها فقال له الحكيم ابن عمار: لا تسرف في علاج عينك فقد فسدت ولا تنتفع بها، قال حجّاج: فإنّ صرفت عنه وأنا باكٍ على فقد عيني، فلما قربت من مسجد ابن محمود وهو بالقرب من حانوت ابن عمار لقيت عبد الله بن معلي، فسألني عن

¹ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 400.

² أبو محمد عبد الغفور ابن يوسف الأيلاني من أهل تاكثرت من بلاد أيلانم ومات بأغمات وريكة سنة 586هـ. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 253.

³ نفسه، ص 253

⁴ وجاج بن زلو اللمطي: من أهل السّوس الأقصى رحل إلى القيروان فأخذ عن أبي عمران الفاسي ثم عاد إلى السّوس فبنى دار سماها "دار المرابطين" لطلبة العلم وقراء القرآن وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه وإذا أصابهم قحط استسقوا به. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 89.

⁵ نفسه، ص 89.

⁶ أبو محمد عبد الله بن معلي من أهل الفضل والعفاف متقبضاً عن الناس صاحب كرامات ومكاشفات. ينظر: أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح: محمد الشريف، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، 2002م، ص 72.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

حالي، فأعلمته بما ذكر الحكيم ابن عمار فقال لي: اطلع بنا إلى المسجد حتى ننظر عينك فأخذ بعيني وفتحها ونظر إليها ورقاها ودعا لي... فلما جن الليل قال لي أهلي: أرني نر عينك ففتحتها فأبصرت البيت وأبصرت أهلي¹.

ب-اللمس والمسح والريق:

ومن المتصوِّفة من كان يعتمد على اللمس والريق². كما يتحدث ابن قنفذ عن الولي أبو الحسن علي بن أيوب³ عندما لجأ إليه رجل يشكو من وجع في بطنه يصيح منه، فمسح بيده المباركة وحرك شفثيه فذهب ألمه بقدر الله تعالى⁴، ولقد سلك أولياء المغرب الإسلامي أسلوب العلاج بالرقى للمرضى وعالجوا الصرع من الجن والعين. وتعددت استعمالات الرقية، فنجد البعض يستعين بها عند حدوث الأمراض الوبائية والمزمنة⁵.

ويوجد نموذج آخر لتفوق طب المتصوِّفة ما ذكره التادلي عن صديق أبي مدين شعيب⁶ المدعو أبو لقمان يزرجان ابن يعقوب الأسود⁷ ت (570هـ/1175م) أنه كان يعالج الصرع، كما يذكر عن عبد الله بن عيسى بن صقر قال: كنت في شببتي تصيني غاشية...فحملتني-أمه-إلى أبي لقمان... فقالت له أمّا الأطباء فقد عجزوا ولم يبق إلا طب الله تعالى، فمسح بيده على رأسي فما أصابني الصرع من حينئذٍ إلى الآن⁸، ومن

¹ أبو عبد الله التميمي، المصدر السابق، ص، ص 74، 75.

² ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 296.

³ أبو الحسن علي بن أيوب: من مدينة سلا وهو الخطيب الصالح والوالي الشهير المعلم لكتاب الله . ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 83.

⁴ نفسه، ص 84.

⁵ بختة خليلي، الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (1315م) واقعه وأثاره، رسالة دكتوراه، جامعة اسطنبولي معسكر، 2016م، ص 278.

⁶ أبو مدين شعيب ابن الحسن الأنصاري أصله من حصن قطنانية من عمل إشبيلية ثم نزل بجاية أقام بها إلى أن أمر بإشخاصه إلى حضرة مراکش عام 594هـ. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 319.

⁷ أبو لقمان بن يزرجان ابن يعقوب الأسود : من أهل مدينة تاقيطت من عمل مراکش كان صديقاً لأبي شعيب توفي 570هـ/1175م. ينظر: ابن زيات التادلي، المصدر نفسه، ص 252.

⁸ ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص، ص 233، 234.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

العامّة من وجدوا في طب المتصوّفة ملاذاً آمناً للتخلص من بعض الأمراض خاصّة المستعصية منها.

ومن أخبار الصالحين في المداواة ما ذكر عن الشيخ الصالح أبي تميم عبد الرحمان الهزميري¹ قال: أعجب ما رأيت من أخبار الصالحين أني مشيت بأختي حين ظهر البرص بها في الوجه إلى مدينة فاس ليعالجها الأطباء... فلم ينفع الدواء، فرحت بها وقصدت زيارة أبي تميم فلما دخلت عليه قال لي ما سويت عندك شيئاً حتى تركتني وذهبت إلى الأطباء... فجاءته أختي وسلمت عليه وقعدت وجعل يحدثنا ويمسح بريقه البرص المرة بعد المرة فغلبنى النوم وأنا جالس انتبهت فجذته مستنداً يذكر ونظرت إلى وجه أختي فإذا هو قد ذهب البرص منه²، كما تبين هذه الواقعة عن عجز أحد الأطباء في المعالجة وبالمقابل استطاع المتصوّفة معالجة المرض.

لكن لا يمكن الجزم في كل الأحوال بتلك النماذج، فقد ظهر في بلاد المغرب نوع من التنافس بين الأطباء والمتصوّفة في المجال الطبي، وقد سعت الكرامة إلى تشويه الطبّ الدنيوي فصورته عاجزاً، وأن كثيراً منهم بعدما يؤسوا من الاستشفاء عند الأطباء اتجهوا إلى الأولياء فبرأوا من أمراضهم المزمنة بدون أي مقابل ماعدا (الفتوح)³، ومن أمثلة التنافس بين الأولياء والأطباء في هذا المجال، فالأطباء كانوا ينكرون على الأولياء تدخلهم في هذا الميدان، بينما سعى الأولياء إلى إبراز قدراتهم على المعالجة خاصة للأمراض المزمنة⁴.

¹ أبو تميم عبد الرحمان الهزميري: من أصحاب أبي مدين شعيب كان حافظاً للمسائل وقبره قريب من مكناسة، ويقال له في التشوف: أبو تميم عبد الواحد الأسود تلميذ أبي يعزي، بنى مسجداً في مكناسة ولما مات دفن في رقبه. ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 267، ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 31.

² ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 31.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصر المرابطين والموحدين مساهمة في دراسة الفكر الاجتماعي للبلدان المتوسطية، مكناس، كلية الآداب، ص، ص 112، 114.

⁴ الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص 75.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

وقد اتبع الشيخ أبو يعزى¹ في المعالجة عدة طرق أحدثت الكثير من النقد له على الرغم من أن ولايته عند جماعة من الفقهاء المجاورين له، حيث ذهبوا إلى أبي مدين شعيب وقالوا: ولكن نشاهده يلمس بيده صدور النساء وبطنهن ويتقل عليهن فيبرأن ونرى أن لمسهن حرام فإنّ نحن تكلمنا في هذا هلكنّا وإن سكنتا تحيرنا، فقلت لهم: أرأيتم لو أن بنت أحدكم أو أخته أصابها داءٌ لا يطلع عليه إلا الزوج ولم يجد من يعانيه إلا طبيب يهودي أو نصراني ألستم تجيزون ذلك².

لكن الشيخ أبو يعزى جعل معالجته مثل معالجة باقي الأطباء، فلا يمكن عنده أن يطعن في كيفية أو طريقة المعالجة التي يتبعها، كما أن الشيخ كان قد استعمل الدفل والريق للعلاج، ومن أمثلة ذلك ما رآه صاحب كتاب المستفاد بقوله: <حورأيت- أبو يعزى- في بيته رجلاً أخذته في وجهه أكلة وذهبت بأحد خديه فسألته عن حاله فقال لي: أنه لما أصابني ما ترى، دللت على الشيخ فأنتيت إليه، ولي عنده مدة يرقيني في غداة كل يوم، ويمضغ ورق الزيتون ويتقل ذلك في موضع العلة، فلقد توقفت زيادة العلة>>³، ويقول التادلي عن أبي يعزى ويحكى عنه رضي الله عنه قال مررت في بعض سياحتي بالسواحل وإذا بجارية وهي تستغيث من وجع عينها فمسحتها وذهبت فسمعتها تقول من مسح على عيني وقد استراحتا؟⁴، اشتهر الشيخ أبي يعزى كثيراً بعلاجه لمختلف الأمراض وبطرق مختلفة فقد استخدم المسح باليد والدفل والرقى .

ويذكر ابن قنفذ قول أبو عبد الله التاودي حول عمل الشيخ أبو يعزى قال: حضرت عند أبي على يعزى وجيء له برجل قعد عن الحركة، فما زال يتقل عليه حتى

¹ أبو يعزى: قال قوم أنه من هزميرة غيروجان وقيل من بني صبيح من هكسورة وقد أناف على مائة سنة نحو الثلاثين دفن بجبل إيروجان عام 572هـ / 1177م وكان قطب عصره وأعجوبة دهره 1146م حبس في صومعة الجامع أيام ثم خلي سبيله. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص، ص 214، 215.

² ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 23.

³ أبو عبد الله التميمي، المصدر السابق، ص 39.

⁴ أحمد التادلي الصومعي، المصدر السابق، ص 138.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

قام¹، لقد حاول الطبّ الصّوفي أن يقوم مقام الطبّ العلميّ أو يفوقه، ويقول صاحب المستفاد حول الشيخ أبو يعزى وصليت معه يوماً صلاة الفجر في مسجده... فلما خرج من باب المسجد، إذا بامرأة بإزاء باب المسجد قد صرعاها الجن وهي تتخبط فقال لها بكلام... فقامت وليس بها ألم وغطت وجهها حياءً من الناس²، كما أنّه استعمل أوراق الدفلى التي كان يقوم بمضغها ثمّ يضعها على مكان الألم³، وقام بمعالجة ضرير وذلك بإرسال برقعة من برنوسه وأمره بحرقها والاكتحال برمدها⁴، ويظهر الشيخ أبو يعزى في صورة الصيدليّ فقد قال صاحب المستفاد <وكان وصل معه بأقراص مطبوخة في دقيق البلوط... فطلبت له من تلك الأقراص، فأعطاني قرصاً واحداً... فكان ذلك القرص ترياق، فكل من أخذه وجع أو حمى أعطيته منه فيأكلها، فما هو أن يحصل بجوفه فيعافيه الله تعالى من ذلك الألم>⁵، وهذا النموذج من الاستشفاء ثبتت نجاعته عند عامة الناس.

ج- ظاهرة الاستشفاء بالصّلحاء وقبورهم

ذهب العامة إلى أكثر من الاستشفاء بالصّلحاء وهم على قيد الحياة، فقد كان الناس يتبركون ويستشفون بتراب الأولياء، حيث ذهب الناس إلى قبري أبو محمد مع الله بن يحيى بن يجاتن الزنات⁶ من حومة بلاد تادلا، وهو من أهل العلم والعمل ت536هـ/1142م⁷، وكذلك أبو حفص عمر ابن ميكيّسوط الدغدوغي¹

¹ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 29.

² أبي عبد الله التميمي، المصدر السابق، ص، ص 35، 36.

³ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 301.

⁴ نفسه، ص 277.

⁵ أبي عبد الله التميمي، المصدر السابق، ص، ص 35، 36.

⁶ أبو محمد مع الله بن يحيى بن يجاتن الزنات من أهل العلم والعمل توفي عام 536هـ/1142م يشفى الناس بقبره وكان صاحب كرامات. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص، ص 132، 133.

⁷ نفسه، ص 132.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

ت(546هـ/1152م) وهو من كبار الأولياء واستشفوا بتراب قبورهم² وهو من أعمال دكالة، كما اعتمد المتصوفة على الرقي بالحناء وكتابة التمانم والحروز أو القراءة على المريض -القرآن- وهي أشياء يستخدمها الطب الشعبي³، ونقل الناس تراب الشيخ أبي يعزى وتراب الشيخ أبي غالب النيسابوري للاستشفاء من الأمراض والقروح⁴، وهذا قصد التبرك بهم ويعد دليلاً قاطعاً على مدى تأثير العامة بالأولياء وبطبهم، كما أن ظاهرة الاستشفاء أو التبرك بتراب قبور الأولياء أحدثت جدلاً كبيراً⁵، لكن يبقى الجانب الصحي هو الأساس في مدى الشفاء من الأمراض.

ويرجع الوزان سبب انتشار الوباء وعدم القدرة عليه، هو ظاهرة التمسح فقط بالتراب فقال: <يظهر في بلاد المغرب كل عشر سنوات أو خمسة عشر وعشرين سنة، ولكن عندما يأتي يذهب بالعديد من الناس، لأنه لا يهتم به أحد ولا يستعمل الدواء باستثناء التمسح بالتراب>⁶، إن استخدام التراب ومحاولة مداواة به له أثر على الحياة الصحيّة، فلربما كان الاعتقاد السائد هو أن تراب الأولياء أحسن للعلاج من الذهاب للأطباء، أو كانت الحاجة المادية سبباً في جعل الناس يقصدون هذا العمل الذي في نظرهم غير مكلف مادياً، ولربما كان هناك من يشفى من مرضه بسبب التبرك بالقبور أو

¹ أبو حفص ابن عمر بن مكيسوط الدغدوغي: من كبار الأولياء يشفى الناس بتراب قبره توفي في حدود سنة 540هـ/1146م، ودفن بمسجده الذي بناه بتافرينت من بلد دغدوغ من دكالة. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 141.

² ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 141.

³ محمد حقي، المرجع السابق، ص 76.

⁴ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 140.

⁵ التبرك: قال فيه الونشريسي (جائز مادام الناس يتبركون بتراب قبور العلماء والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب سيدي حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان، قلت هذا من القبيل ما جرى عليه عمل العوام في نقل تراب الشيخ أبي يعزى وتراب ضريح ابن غالب النيسابوري). ينظر: المعيار، ج1، ص 330.

⁶ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 85.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

أخذ التراب والاستشفاء به؛ وفي هذه الحالة يكون هذا الشفاء من المرض راجع للعامل النفسي الذي له دور أساسي في عملية مداواة.

لهذا فإنّ عملية التطبيب عند المتصوّفة وباستخدام طرق متعددة كالدعاء والريق واللمس التي كانت في الغالب محل إعجاب وذهول عند العامة فقد استطاعوا في عدة مواضع معالجة أمراض مستعصية، لكن يمكن أن تكون القناعة بالوالي وبكراماته سبباً أولاً في بداية الشفاء والارتياح النفسي، كما تبقى تلك الأمراض التي استعصت على الأطباء واستطاع المتصوّفة علاجها؛ فهذا يمكن أن تكون إما لمعرفة أنواع الأعشاب والعقاقير أو لبركة الدعاء والكرامة.

3.1. الطبّ الشعبي

إنّ أغلب الأطباء الشعبيين يتكونون من الشيوخ والمسنين، ويضاف إليهم بعض الحرفيين والحلاقين أو الحجامين الذين يمارسون وظائف متعددة كالحلاقة، وطب الأسنان، والفصد، وعلاج الجروح، البيطرة، وتبقى فطنة المعالج وحدسه القوي هو الفيصل¹، كما ذكر ابن خلدون في ذلك أن للبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض إلا أنّه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج²، التطبيب عند أهل البادية لم يكن يعتمد على الطبّ العلمي بل على ما تعلمونه من التجارب السابقة، والمعتقدات الشعبية التي يستعمل فيها الأعشاب والعقاقير بصورة

¹ محمد حقي، المرجع السابق، ص، ص 64، 65.

² ابن خلدون، العبر، ج1، المصدر السابق، ص 651.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

كبيرة، كما أن المسلمين أخذوا فن العقاقير عن الكتب القديمة لديقوريدس وجالينوس¹، وبقيت متداولة في المجتمع.

ومن بعض الطرق العلاجية الشعبية والتي تستعمل فيها الأعشاب والحيوانات مايلي:

المواد المستعملة	طرق العلاج	المصدر
حب الزنم (يستخرج من نبات جبلي)	مفيد للأمراض التناسلية والجنسية	عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 246.
حب العروس	شراب يعالج الصداع ووجع الأسنان	عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 246.
حسوانشا	عند اشتداد الزكام السعال	عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 246.
استعمال لحوم النعام	هي باردة يابسة وشحومها نافعة للصمم تقطيراً، ومن سائر الأوجاع	الإدريسي، المصدر السابق، ص 70.
استعمال الترياق	علاج حالات التسمم	بولقطيب حسين، المرجع السابق، ص 77.
مسحوق السرطانات البحرية	لعلاج عضة الكلب	بولقطيب حسين، المرجع السابق، ص 77.

¹ عبد الفتاح مصطفى السيد غنيمه، تاريخ الطب حتى نهاية الحضارة الإسلامية وأثره في الحضارة الأوربية، نق: شحاتة مصطفى أحمد، الإسكندرية، (د، ط)، ص 08.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

الكحل الأسود	ينفع العين للإكحال ويقوى أعصابها ويمنع عنها الكثير من الآفات والأوجاع، وينفع من حرق النار، ويقطع النزف	ضياء الدين بن عبد الله بن أحمد المالقي ابن البيطار، الجامع المفردات الأدوية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1991م، ص 183.
النبق(ثمر السدر شجرة من الفصيلة السدرية قليلة الارتفاع أغصانها ملس بيضاء وثمرتها حلوة تأكل)	لمداواة الإسهال الشديد الذي يعرف بمرض الزرب	ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 133.

يمكن اعتبار ما يستعمله الناس في تخطي أو الحد من الأمراض أو حتى في التجميل طباً شعبياً فأهل سجماسة كانوا يستعملون الكلاب والجرذون ويسمونه بلسان البربر أفزيم... في السمن وخصب البدن¹، لذلك أهل البلاد هم في نهاية السمنة، لكن يعانون من مرض العينين وأكثرهم عمش، كما أن أهل المغرب الأقصى وبلاد لمتونة يستعملون حجر البهت الموجود بسواحل من المغرب الأقصى حيث بحر الظلمات وهذا الحجر عندهم في عقد الألسنة على زعم قولهم²، كما توجد عدة أحجار استعملوها للعلاجات الطبيّة وعلقت تلك الأحجار عل الثدي الموجعة فتبرأ، ومنها أحجار تعلق للولادة فتسهل ذلك³.

¹ الإدريسي، المصدر السابق، ص 61

² نفسه، ص 104

³ نفسه، ص 105.

2. صناعة الأدوية في بلاد المغرب.

1.2. الصناعة الصيدلانية

1.1.2. التعريف اللغوي والاصطلاحي

أ- **التعريف اللغوي:** كلمة الصيدلاني (جندلاني)، وكلمة (جندن) أو صندل تدل على أفواه الطيب العطر أو ينسبون الكلمة إلى (الصندل)، وفي كلا الحالتين فهي تدل على الشخص الذي يجمع الأعشاب النافعة للتطبيب.

ب- التعريف الاصطلاحي:

يذكر البيروني أن الصيدلي هو المحترف بجمع الأدوية على أحمد صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة أو مركبة على أفضل التركيب التي خلدها مبرز أهل الطب¹، والصيدلة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها وخط المركبات في الأدوية واستخراج الأجود منها². كما تعتبر فناً علمياً يبحث في أصول الأدوية سواء كانت نباتية أو حيوانية أو معدنية، من حيث تركيبها وتحضيرها ومعرفة خواصها الطبيعية وتأثيرها الطبي وكيفية استحضار الأدوية المركبة منها³.

ج- الفرق بين الدواء والصيدلة (الأقربانين):

وهناك فرق بين الدواء والصيدلة فالدواء يقابله في الصيدلة كلمة عقار وجمعه عقاقير، وكلمة عقار مشتقة من الكلمة الآرامية العبرية (عقار) معناها أصول النبات، ثم اشتقت ودلت على جميع أجزاء الأعشاب المستعملة للعلاج ثم ضمت الأدوية الحيوانية

¹ شحاته قنواطي، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والوسيط، بيروت، دار أوراق الشرقية، ط1، 1417هـ/

1996م، ص 12

² محمد حسين كامل، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، منتدى سور أزيكية، (د، م)، (د، ط)، ص 270.

³ شحاته قنواطي، المرجع نفسه، ص 11.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

والمعدنية¹، كما أن أصل الأدوية ثلاث نباتية، وحيوانية، ومعدنية وهي تمثل المفردات الأصول²، وتصنف الأدوية إلى مفردة ومركبة: فالمفردة ما كانت من أصل واحد واستعملت كما هي من غير مزج مع دواء أو مادة أخرى، أما المركبة، فهي التي تصنع من عدة أصناف مثل الترياق³.

أما كلمة أقرباذين فهي يونانية الأصل، ومعناها الأصل ومعناها التركيب أي تركيب الأدوية⁴ المفردة وقوانينها، وهناك محاولات أخرى لتحليل أصل الكلمة فيرى أن الأصل اليوناني هو AkrbciaDiaita أي النظام الدقيق للغذاء، وكذلك يرى معنى الشطر الأول أقرباذين مشتق من الفعل Kerao بمعنى مزج⁵.

2.1.2. علاقة الطب بالصيدلة

إن صلة العرب بعلم الأدوية كانت معرفة قديمة تعود إلى معرفة الإنسان بالعقارات النباتية التي يعالج بها نفسه، ولكنها معرفة بسيطة لم تتوسع إلا بعد اقترانها بالمعرفة الطبية، وقد ورث المسلمون هذه الحرفة عن سبقتهم، وأضافوا إليها عقاير جديدة للعلاج لم تكن معروفة عندهم من قبل مثل الكافور والتمر الهندي، وعرفوا مصادر جديدة للأدوية لأنهم عاشوا في أقاليم فيها من النباتات والحيوانات ما لم تكن تعرفه المصادر الإغريقية، ومن المصادر الصيدلة هو ديوسقوريدس الذي ترجم كتابه (المادة الطبية) إلى اللغة العربية في القرن الثالث للهجرة، كما ترجم كتاب آخر (كتاب الحشائش)، وأصبح المصدر الأساس لمن يعمل في مجال العقاقير، كما عرف المسلمون رسالة جالينوس في

¹ شحاتة قناتي، المرجع السابق، ص، ص 12، 13.

² ابن زهر، التيسير، المصدر السابق، ص 333

³ جعفر يابوش وغازي الشمري، المرجع السابق، ص 260.

⁴ رمضان الصياغ، العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوربية، الإسكندرية، دار الوفاء، (د، ط)، 1998م، ص 216.

⁵ شحاتة قناتي، المرجع نفسه، ص، ص 13، 14.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

العقاقير، وغيرهم من المؤلفات اليونانية التي ترجمت إلى العربية، بحيث وضعت تلك المؤلفات الأساس الذي قام عليه علم العقاقير الإسلامي كمدرسة مستقلة¹.

وقد كان الطبيب هو الصيدلاني إلا أن قلة فضلوا الصيدلة والتحضير الدوائي عن الطب، حتى نهاية ق3هـ/9م وكان كل طبيب في العالم الإسلامي هو نفسه صيدلياً، حيث كانت الصيدلة في بداية أمرها متصلة اتصالاً وثيقاً بالطب، وكان الطبيب يحضر بنفسه الأدوية ثم أخذت شيئاً فشيئاً تتفصل عنه²، فلما كثرت العقاقير وتعددت أصنافها تفرعت مهنة الطب إلى قسمين الطب والصيدلة³، وأصبح كل علم مستقل عن الآخر وأول من أطلق عليه اسم صيدلاني هو أبو قريش عيسى⁴ الصيدلاني فأصبح متداولاً⁵.

3.1.2. أماكن الصناعة الصيدلانية

وتجدر الإشارة إلى أنه قبل القرن الخامس للهجرة كان الطبيب يتكفل بصناعة الأدوية، ثم أصبح أغلب الأطباء يعتمدون على صيادلة يتخذون دكاكين لهم في الأسواق لصناعة وبيع الأدوية، بناء على وصفة يحملها المريض من طبيبه⁶، أما اهتمام المغاربة بالصيدلة، فكان خلال القرن الرابع للهجرة كما ذكرنا لعلاقته الوثيقة بالطب إذ أنه لا بد لكل مريض يتم تشخيصه، من علاج مناسب ليحصل الشفاء، ومن ثم كان معظم الأطباء صيادلة. فابن الجزار كان قد خصص في داره مكاناً لصرف الأدوية للمرضى، فالصيدلة

¹ بشار جبار الجابر، علم الصيدلة في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مجلد 7، عدد3، سنة 2012، ص 403.

² شحاتة قنواطي، المرجع السابق، ص 12

³ عبد الفتاح مصطفى السيد غنيمه، المرجع السابق، ص 8.

⁴ أبو قريش عيسى الصيدلاني: كان صيدلانياً يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة المهدي العباسي، وكان ديناً صالحاً في نفسه، قربه المهدي إلى القصر وكناه أبا قريش أي أبا العرب، فصار أبا قريش نظير جرجس بن جبرائيل. ينظر: بن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص، ص 215، 216.

⁵ رمضان الصياغ، المرجع السابق، ص 218.

⁶ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ج3، ص 104.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

هي بيت الصرف والعيادة بيت الوصف¹، يذكر ابن جليل أنه كان قد وضع على باب داره سقيفة أقعد فيها غلاماً له يسمى رشيق، وضع بين يديه جميع المعلومات والأشربة والأدوية فإذا رأى القوارير بالغداة أمر للجواز إلى الغلام وأخذ الأدوية منه².

كما وجدت ظاهرة في بلاد المغرب الإسلامي تخص حرفة الصيدلة، فقد انتشرت أسواق كثيرة للعطارين والعشابين في كل مدينة وقرية من البلاد مثلها مثل أسواق الخضر واللحوم، وكانت مهنة المحتسب تتضمن الإشراف على بائعي الأعشاب والعطور الطبية ومراقبتهم مراقبة دقيقة لضمان الدقة والجودة³، لكن بالمقابل فقد حاول ابن عبدون محاربة العشابين بقوله لا يبيع الشراب ولا المعجون ولا يركب الدواء إلا الحكيم الماهر، ولا يشتري ذلك من عطار فإنهم حرصاء على أخذ الثمن بلا علم، فيفسدون الفتوة، ويقتلون الأعداء لأنهم يركبون أدوية مخالفة للعمل⁴، ويحدد ابن زهر كيفية صناعة الدواء بقوله: <وقد يكون في الدواء قوتان وثلاث وأكثر متضادات ويقدر الطبيب أن يزيل أيها شاء، ويترك أيها أحب فإن لم يقدر على هذا ولا عرفه فهو من عامة الناس>⁵، وحرفة صناعة الأدوية ليست بالعمل اليسير بل يجب إتقانها وفق علم مسبق، وابن زهر جعل من لا يستطيع المزج والتحكم بين متضادات الدواء ليس بالطبيب، لكن هل كل الأطباء يعلمون هذه الصنعة من الأدوية، لا شك أن ابن زهر يقصد بذلك الصيادلة المختصين، وقد يكونوا هم أنفسهم من أطباء، وفن الصيدلة في العهد الموحي كان له ازدهار، وكان موظفاً بمستشفى مراكز وبلاطات الخلفاء عدد من الصيادلة⁶.

¹التليسي، المرجع السابق، ص 512.

² ابن جليل، المصدر السابق، ص 30.

³التليسي، المرجع السابق، ص 516.

⁴إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع، الذهنيات، الأولياء، لبنان، دار الطليعة، ط1، 1993م، ص 102.

⁵ ابن زهر، المصدر السابق، ص 322.

⁶ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 123.

2.2. دور الأعشاب والعقاقير

إنّ الكثير من الأسر الفقيرة والمحتاجة ألجأتهم الضرورة المادية والاعتقاد الجازم في نجاعة الطبّ الشعبي، ففضلوا الاستشفاء بالأعشاب والعقاقير¹ فضلاً عن اللجوء إلى أمور أخرى، وتحظى الأعشاب والنباتات الطبيّة بمكانة هامة لدى المتطبّبين فاستخدامها لا يقتصر على الطبّ التقليدي بل هي أيضاً مصدر أدوية للطب العلمي².

وعلى الرغم من كثرة النباتات الطبيّة، والتي يوجد بعضها في مناطق دون أخرى فإنّ توفرها أصبح أمراً ميسوراً إذا أصبحت تنقل من مكان إلى آخر شأنه شأن السلع الأخرى³، وكان يصعب على أصحاب الحسبة الكشف عن تلاعب بائعي الأعشاب والعقارين أما مركبات المعاجين والأشربة فصعبة الكشف عنها بعيدة الاستخراج بالجملة فلا يكاد أن يوجد من يستوفي النسخ من أهل الجد فيها والطبّ بها فكيف الذين يصنعونها للغير ولاسيما الذين يبسطون بالرحاب وأفواه الطّرق ومجتمعات العوام فأولئك لا خلاف لهم ولا يبيعون إلا الأيمان الحانثة⁴، ثمّ إنّ العطارين والصيدالة هؤلاء قوم شغلهم أوسع الأشغال، وأمورهم مختلفة الأحوال والكشف عنهم صعب المرام ... وليسوا من أهلها ولا من ذوي الخبرة بها⁵. والمقصود هم الفئة الدخيلة عن هذه الحرفة والذين قصدهم الربح والتجارة، فكانوا يغشون الحناء بورق الرمان وسقوطه مع ورق الخبازي وبأوراق السدر وبأوراق القنب، والفلفل بالكرسنة المدبرة، والزنجبيل بالموجود شبيهاً له⁶، وهذه بعض نماذج الغش والتلاعب لهذه الفئة.

¹ إبراهيم القدري بوتشيش، المرجع السابق، ص 102.

² محمد حقي، المرجع السابق، ص، ص 65، 66.

³ التليسي، المرجع السابق، ص 518.

⁴ السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد ت 631هـ / 1234م، في آداب الحسبة، نشر: ليفي بروفينسال وجيم

كولان، باريس، المطبعة الدّولية، 1931م، ص 44

⁵ نفسه، ص 41.

⁶ السقطي، المصدر السابق، ص 41.

1.2.2. نماذج استعمال الأعشاب والعقاقير:

وقد استندت العلاجات الطبيّة أساساً على الأدوية النباتية واللقاح والفصد¹، ومن نماذج استخدامات الأعشاب ما كان يستعمل لعلاج سم العقارب نبات الفوليون² التي كانت موجودة بالقلعة فيذكر الإدريسي أن >>أهل القلعة كانوا يتحرزون منها ويحصنون من ضررها ويشربون لها نبات الفوليون الحراني<<³، وكانوا يزعمون أن شاربها لا يصاب بشيء من ألم العقارب، كذلك استعمل المغاربة أنواع كثيرة من الأعشاب قصد التداوي ومنها ما كان مشهوراً بإكليل الجبل أو الشيح أو الحلحال وهو من أنواع الشيحاحات كان يعرف عند العامة بفاس آزر وله ثمر صلب، وقد استعمل للطمث والبول، ومحلل للرياح، ومفتح لسدد الكبد والطحال، مقوً للثة، ومن خواصه أنه يصبر لحم الميت ويمنع من إسراع النتن والتعفن إليه⁴.

ومن العقاقير والأعشاب التي استخدمت للعلاج ما كان مصدرها السفوفات فهو يأخذ من النافع وحبّة حلاوة وعود السّوس المجرود والصعتر ونوار الحلحال والأملج، من كل واحد أوقية، ومن السكر مثل الجميع، تدق الأدوية وتتخل وتضاف إلى السكر، ويستعمل منه عند النوم. منافع: لمن أراد أن ينقي دماغه ويخفف رثته من رطوبات البلغم⁵.

¹ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 246.

² نبات الفوليون: لفظ يوناني يذكره أهل البادية أليون وبالبربرية كموتان يستعمل في الترياق والمعاجين وهونبات صغير يشبه ورق الشيح وله رائحة طيبة ولونها يميل إلى البياض يوجد في الجبال. ينظر: الإشبيلي أبو الخير، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح: محمد العربي الخطابي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1995، ج1، ص 142.

³ الإدريسي، المصدر السابق، ص 255

⁴ أبو القاسم محمد إبراهيم الغساني الوزير، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تح: محمد العربي الخطابي، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1، 1410هـ/ 1980م، ص 16

⁵ مجهول، أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تح: أبو العزم عبد الغني، مؤسسة الغني للنشر، (د، ط)، 2010م، ص 240.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

وكانوا يستعملون رب السفرجل حيث يطبخ جيداً حتى يأتي في قوام العسل ويرفع من استطلاق البطن الحادث من الصفراء، ويقطع العطش والقيء الصفراوي إن شاء¹.

كما استخدم شراب التفاح فقد كان يطبخ فيما يغمره الماء حتى يتهرأ وتخرج قوته، ثم يصفى ويؤخذ صفوه، ويضاف إلى رطل من السكر.

العمود القماري تأخذ أوقية منه وتهشم وتجعل في صرة ويطبخ حتى يأتي في قوام الأشربة، الشربة منه أوقية بأوقيتين من الماء الدافئ من منفعه: يقوي القلب ويفرح².

وقد استخدم شراب التمر الهندي، بحيث يؤخذ من التمر الهندي رطل، ثم يمرس في خمسة أرطال من الماء، ثم يرمى بثقله ويضاف صفوه إلى رطل من السكر، ويطبخ الجميع حتى يصير في قوام الأشربة. الشربة منه أوقيتان بثلاثة أواق من الماء البارد، من منفعه: يعالج الصفراء ويخرجها بالإسهال، ويقطع القيء والعطش، وينبه شهوة الطعام، ويذهب بمرارة الطعام في الفم³.

واستعمل نبات الياسمين ويطلق عليه بالفارسية ياسمان. ويغرس هذا النبات في البساتين. وميزة هذا النبات، أنه حار يابس جيد لأصحاب البلغم، نافع من رطوبات البلغم المالح، ويبقي من الصداع العارض ومن البلغم اللزج، وهو ينفع إذا دق رطباً ويابساً، وينفع مسحوقه عندما تضمد به الجراح، وكذلك يمكن الدهن بالياسمين وهذا الدهن حار لطيف ينفع من وجع الكلى إذا أصابها البرد، وينفع من الفالج والارتعاش وجميع الأمراض الباردة، وخاصة تقوية الأعضاء الباطنية.

¹ نفسه ، ص 214.

² مجهول، المصدر السابق، ص 234

³ نفسه، 233

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

وهناك نوع آخر من الياسمين وهو الياسمين البرّي ويسمى عند عرب اليمن المرْعَفُ وبالبربرية انزوا وزعم الأطباء أنّه إذا وضع شيء منه على الجسم قرحه، وهو حار يابس، وشم ورقه وزهره ينفع من الزكام، وهو ينفع من الربو¹.

كما استعمل العزب وهو شجر عظيم مثل شجر التفاح، وهو من نبات جبال الغرب، وهو بارد يابس وهو إذا جفف وسحق وشرب منه نفع من الإسهال المزمن، وإذا ضمد بورقه نفع من الأورام الحارة².

ونبات اليفجار، ويسمى مفرحة القلب، وهو نبات شبه ورقه ورق البلوط، وهو حار يابس، وإذا شرب ورقه نفع من لسع العقرب وعضة الكلب، وهو صالح للنساء لإدرار الطمث، وإذا أكل على الريق ينفع المعدة الباردة المزاج، كما ينفع من ضعف القلب، وينفع من الصداع ومن أورام العين³.

ثانياً: طرق وأماكن العلاج في بلاد المغرب.

1. طرق العلاج

¹ أبو حنيفة، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية بالرباط، ضمن مجموع 938،

² الشريف الإدريسي، الجامع لصفات أشات النباتات، مخطوط بالمكتبة السلمانية باسطنبول، رقم 3610، ورقة 38أ

³ نفسه، ورقة 38ب

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

لقد اعتمد المغاربة على طرق عدة للعلاج من الأمراض والأوبئة، ويمكن القول أنه ليس كل من امتهن حرفة الصنّاعة الطبيّة بطبيب علمي عارف بأصول الطبّ المأخوذة من الطبّ اليوناني القديم، بل هناك من انتهج طرق تقليدية مأخوذة من التجربة العادية للعلاج من الأمراض والأوبئة¹.

1.1. الوقاية

لقد حث الدين الإسلامي كثيراً عن سبل الوقاية والأخذ بالحيلة والحذر، وأوضحت أحاديث الرسول -ﷺ- أساليب الوقاية عندما يحل الوباء أو يكون المرض المعدي حيث أرشد إلى ضرورة عزل المصاب عن غيره من الأشخاص الأصحاء وعدم اختلاطه بهم ليتم حصر المرض وعدم انتشاره، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُورِدُ الْمُمْرِضُ عَلَى الْمُصِحِّ»²، كما دعا الإسلام إلى طهارة الأعضاء المختلفة من الجسم واهتم الأعضاء التي تكثر فيها الأمراض ففي طهارة الفم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ عَلَى أُمِّتِي - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»³، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ»⁴، كما أن الحذر والتحرز من الأوبئة وارد في الأثر الإسلامي، فقد حدث أثناء خروج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بلاد الشام فلقبه أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه رضي الله عنهم وأخبروه أن الوباء وقع في

¹ لإدريسي، المصدر السابق، ورقة 39أ

² ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج2، ص 1171، رقم 3541

³ الإمام مسلم بن الحاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت 261هـ/875م، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج1، 220، رقم 252.

⁴ البخاري، المصدر السابق، ج7، ص 160، رقم 5889.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

الشام. فاختلفوا، وأذن عمر رضي الله عنه في الناس : أني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. فقال: أبو عبيدة بن الجراح: يا أمير المؤمنين؛ أفرارا من قدر الله تعالى؟ ! قال: لو غيرك قالها يا أبو عبيدة ؛ نعم: نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى، أرأيت: لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان: إحداهما خصبة، والأخرى جدبة؛ ألتست إن رعيتهما الخصبة: رعيتهما بقدر الله تعالى؛ وإن رعيتهما الجدبة رعيتهما بقدر الله؟¹

لقد أولى الأطباء اهتماما بالغا بحفظ الصّحة، وأن حفظها عندهم أجل من معالجة المريض، لأن الصّحة في الأصحاء موجودة وفي المريض معدومة²، فابن زهر يقول في ذلك: وأبدأ في ذلك إن شاء الله بما يحفظ الصّحة³، لقد جعل الوقاية وحفظ الصّحة هي البداية الرئيسية في العلاج والتخلص من خطر الأمراض. والتراث الإسلامي يعطي اهتماما بليغاً للوقاية والحفاظ على الصّحة، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال >>من ابتداء غذاءه بالملح أذهب عنه كل دائه، ومن أكل إحدى وعشرين زبيبة كل يوم لم ير في جوفه شيئا يكرهه، واللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب، ولحم البقر داء ولبنها دواء، وسمنها شفاء، والشحم يخرج مثله من الداء<<⁴، وهذا نموذج بسيط لفوائد الطعام على صحة الإنسان، والأمثلة في هذا الصدد كثيرة.

من طرق الوقاية المتبعة في بلاد المغرب هو العزل. فقد أوضحت قبله الأحاديث النبوية بالأساليب المتبعة عند إصابة الأشخاص بمرضٍ أو وباءٍ معين قاتل، حيث يتم عزل الأصحاء وعدم اختلاطهم بالمرضى وذلك ليتم منع انتشار المرض، فقال رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى

¹ ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ص 34.

² زكية بن ناصر القعود، أساليب العلاج عند الأطباء المسلمين، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة بن غازي، العدد 38، 2017م، ص 04.

³ ابن زهر، المصدر السابق، ص 50.

⁴ ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ت 463هـ / 1020م، بهجة المجالس وأنس الجالس، تح: محمد موسى الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، ص 147.

مُصِحٌّ»¹ وكذلك في حالة الطاعون فقد حثت أحاديث كثيرة على الوقاية منه لقول رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»².

وكان العلاج يعتمد على الغذاء والحمية أولاً، ثم الدواء، ثم العلاج باليد³، وكان لابن حجر قول يتداخل في مفهوم الوقاية فقال (التداوي بالأدعية أنجع من التداوي بالعقاقير)⁴، ويمكن القول إن الجانب الروحي له علاقة وثيقة مع بدن الإنسان، خاصة إذا كان الدعاء عند وجود الصّحة والعافية، قبل حدوث الأمراض والأوبئة.

ويقول ابن خلدون عن الصّحة وصلاح البدن >> «أن الجوع أصلح للبدن من إكثار الأغذية بكل وجه لما قدر عليه، أو على الإقلال منها، وإن له أثراً في الأجسام والعقول في صفائها وصلاحتها»⁵. فالجوع في نظره يعود الإنسان على التحمل والصبر، فإذا كانت الشدة استطاع أن يتحمل أكثر، كما يشير إلى أن >> «الفاقرين للحبوب الأدم من أهل القفار أحسن حالاً في جسومهم وأخلاقهم من أهل التلول والمنغمسين في العيش، فألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن، وأخلاقهم أبعد من الانحراف وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات»⁶، وفي هذا الصدد ذكر الملتزمين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب فيما بين بلاد البربر والسودان وهؤلاء يفقدون الحبوب والأدم، أمّا أغذيتهم فهي اللحوم والألبان، وهنا يجعل ابن خلدون أن الاعتماد على اللحوم والألبان أفضل من الحبوب والأدم لصحة الإنسان

¹ الإمام البخاري، المصدر السابق، ج7، ص 138، رقم 5771.

² نفسه، ج9، ص26، رقم 6973

³ زكية بن ناصر القعود، المرجع السابق، 08.

⁴ ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص 170.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 199.

⁶ نفسه، ص 196.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

وصفاء بدنه، كما ذهب إلى أبعد من ذلك حيث ذكر أن الغذاء يؤثر حتى على أخلاق الإنسان وصفاء الأذهان.

وتتضح الأمور الوقائية عند المغاربة من خلال معيشتهم وطريقتهم في اختيار أزيائهم مثل الثياب الصوفية البيضاء التي ترافق الصحة في البلاد الحارة، إضافة إلى ارتداء الأثواب الفضفاضة التي تسهل تسرب الهواء الضروري لتنفس الجلد، كما ارتدوا ملابس ثلاثم الفصول الأربعة¹، أمّا عامل النظافة فكان من الأساسيات في الجانب الوقائي. وقد عكف المغاربة على بناء الحمامات² في كل المدن والقرى، فقد ذكر البكري أن عد الحمامات في مدينة القيروان وحدها بلغ أربعين حماماً³، أمّا فاس فقد تحدث ابن أبي زرع على وجود حمامات كثيرة فقال: >>فلا يزال الماء الساخن والبارد متوفراً بها في الشتاء والصيف فهي بسبب ذلك منيعة على الدين والطهارة والصلاة والتنظيف>>⁴. ونصت بعض المصادر عن الطرق الوقائية لاستعمال الحمام، ونقلنا عن صاحب كتاب "الماء والإنسان في الأندلس" وتلخيصاً لما ورد عن ابن نصر الشيرازي، وابن خلدون، وابن الخطيب أن لا يدخل المرء الحمام في يوم شديد الحر، فإنه ييبس البدن، ولا في يوم شديد البرد والريح، فإنه لا يأمن من النزلات عند الخروج منه، ولا يدخله عند امتلاء المعدة، فإنه يولد السدود والحمى، ولا على جوع فإن ه ييبس البدن ويشعل حرارت ويولد حمى، ولا بأثر جماع، ولا سهر ولا تعب، وليكن في دخول الحمام على خلاء المعدة ووفرة القوة ونشاط النفس، واعتدال النهار وصحته⁵ وكذلك من بين الحمامات هناك الطبيّعية التي عرف

¹التليسي، المرجع السابق، ص 498.

² ينظر: الملحق رقم 06.

³البكري، المصدر السابق، ص 678

⁴ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 44

⁵ بن حمادة سعيد، الماء والإنسان في الأندلس، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، (د، ت)، ص 23

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

عليها مداواة بعض الأمراض كحمام مدينة ميلة ففيها عين تعرف بعين الحمى يرش بها عن المريض فيبراً ببركتها وشدة بردها¹.

أمّا الوقاية من انتشار الأوبئة فهو بإصلاح الهواء، وذلك بأن يتقدم الإنسان فيصلح من مزاج الهواء بما أمكنه بحرق خشب الطرفاء فإن دخانها يصلح كثيراً من فسادها وأن يبخر قدامه بالسندروس، ثم يرش أمام منزله كله بالقيطران وأن يكثر من شم رائحة الطيوب فلها خاصية في مقاومة الوباء²، كما استعملت التبaxter في ذلك العهد لقتل الجراثيم³، وهذه من بين التدابير التي اتخذها الأطباء ومن بينهم ابن زهر في محاولة الوقاية من انتشار الأمراض والأوبئة ومحاولة الحد منها.

يساهم التمتع الجغرافي للسكان في التأثير على صحة الإنسان، لذا فإن اختيار المناطق الجيدة للسكن والعيش، يرجع بالفائدة والوقاية من الأمراض، وعدم تمكن الأوبئة من الانتشار في هذه الأماكن التي يتم اختيارها بعناية. ويدلنا الوزن عن الأكثر تعميراً في البلاد هم سكان الجبال، فقد يعمر الناس في جميع مدن بلاد البربر وقراها من خمسة وستين إلى سبعين عاماً، ويعيش قليل منهم أكثر من ذلك، غير أنه يوجد في الجبال من يبلغ مائة سنة أو يجاوزها⁴، كما عرف عن سكان الجبال بطول العمر مقارنة بسكان المدن>>...أمّا أهل ليبيا فيعيشون أقل من سكان المناطق السابقة. غير أنهم يبقون أقوىاء سالمين إلى أن يبلغوا الستين سنة أو نحوها<<⁵، سكان المدن أقل تعميراً من الذين يعيشون في الجبال، نتيجة توفر المؤن في الجبال على عكس المدن التي تخضع لنظام معين ويضيف بقوله:>>ورأيت أعجب من ذلك في الأطلس شيوخا في هذه السن

¹ الحميري المصدر السابق، ص 569.

² ابن زهر، كتاب الأغذية، المصدر السابق، ص 143.

³ راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1430هـ/ 2009م، ص 75.

⁴ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 81

⁵ نفسه، ص، ص 82، 83.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

يشاركون في الحروب ويصارعون الشبان وكثيرا ما ينتصرون¹، يدلّ على ذلك أن أهل الجبال أكثر قوة من أهل المدن، وكذلك من يعمر طويلا حسب الوزن هم سكّان <نوميديا أي بلاد النخيل لكن يفقدون أسنانهم، ويضعف بصرهم>²، ويرجع سقوط أسنانهم إلى كثرة أكل التمر، أمّا ضعف البصر فيرجع إلى كثرة العواصف التي تضرب المنطقة.

وكذلك بجبال المصامدة يتحدث الإدريسي عن إحدى الطّرق التي كان يستعملها السكّان بقصد التزيين والوقاية، وهو استعمال زهور نوع من الأشجار يسمى بالبربرية أرفانّ ، وهذه الأشجار تشبه شجر الأجاص ولها ثمر يشبه بثمر العيون ... يخرج منه زهر كثير صافي اللون ... نساء المصامدة تدهن رؤوسهن به على المشط فتحسن شعورهم وبذلك تطول وتتكسر³.

ومن الوقاية هو اختيار الأهوية والمساكن الصحيّة الذي لابد منه، ذكر ابن زهر ذلك بقوله: <أفضل البلاد ما ارتفع من الأرض وعلا، ولم يكن ليحجبه من جانب الشمال جبال، وكانت من حواليه الكروم، وكان ساحليا، وأمّا البيوت فإنّ الذي يستقبل الشمال مصحاً، والذي يستقبل الجنوب كثير الأمراض>⁴. إن اختيار مواقع المساكن يرجع بالصّحة على السكّان وذلك راجع إلى حركة الهواء فتوجد بعض المناطق التي تنتشر فيها الأمراض والأوبئة بسرعة، وذلك راجع لصعوبة حركة الهواء ووجود الحواجز الجبلية وغيرها.

¹ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 82.

² نفسه، ص 82.

³ الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 65.

⁴ ابن زهر، الأغذية، المصدر السابق، ص 132.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

أمّا طرق تشييد العمائر في بلاد المغرب الإسلامي، فلم يغفل المهندسون المعماريون المسلمون عن طرق التشييد إتباعاً للآية الكريمة بشأن موقع الجنة بالربوة¹ لقوله تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصَيِّهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة (265).

ويمكن الإشارة كذلك إلى أن إحداث المدن والأمصار القرى والديار عند الملوك الماضية كانوا يأخذون بآراء الحكماء في ذلك، فالحكماء اختاروا أفضل ناحية في البلاد، وأفضل مكان في الناحية، وأعلى منزل في المكان من السواحل والجبال مهيب الشمال لأنها تفيد صحة أبدان أهلها وحسن أمزجتها احترازوا من الآجام والجزائر أعماق الأرض فإنّ ها تورث كرباً وهرماً².

إن الموقع المرتفع من سطح الأرض له أهمية بالغة خاصة على الجانب الصحي، ونقلًا عن صاحب كتاب التراث الجغرافي الإسلامي، يرى ابن الفقيه الهمداني في موضع المدن وأثر ذلك على الأحوال الصحيّة لأهلها، فقال: >> كل مدينة موضوعة في جهة الشرق فهي أشدّ اعتدالاً وأقلّ أسقاماً لأن الشمس تصفي تلك المياه التي تجري فيها، والمدن الموضوعة بالغرب يكثر أمراض أهلها لأن مياههم كدرة متغيرة وهواءهم غليظ... والمدن الموضوعة على جهة الجنوب تكون مياهها حارة كدرة متغيرة مالحة وأبدان أهلها تكون رطبة لينة، والمدن الموضوعة جهة الشمال... أهلها أقوياء أشداء <<³. إن الموقع الأنسب للعمارة ما كان على الجبال والأماكن

¹بوقاعدة البشير، التأثير الحضاري الأندلسي على فن العمارة الإسلامية بالجزائر " الحقائق والمنتزهات أنموذجاً"، دراسات تراثية، العدد 1، المجلد 7، ص 191.

² زكريا محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، (د، ط)، (د، ت)، ص 8

³ محمد محمود محمودين، التراث الجغرافي الإسلامي، السعودية، دار العلوم للطباعة والنشر، ط3، 1419هـ/ 1999م، ص 300.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

التي تتواجد في مهبط الصبا، لأن فيه صلاح البدن نتيجة سرعة طلوع الشمس وضوئها على ساكنها.

في بلاد المغرب وخاصة خلال القرن 5هـ / 11م كانت قد تأسست عواصم ومدن البلاد، وقد اتبع في تأسيسها كل الاحترازاات خاصة العسكرية والصحية ويؤكد ذلك قول ابن خلدون: >>اعلم أن المدن قرار تتخذها الأمم عند حصول الترف، أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها ... وما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة، من الأمراض فالحواء إذا كان راكداً خبيثاً أو مجاوراً للمياه الفاسدة، أسرع إليها العفن>>¹

أما من نماذج الوقاية الغذائية والتي كان يحرص عليها الأطباء ويدونونها لكي ينتفع بها الناس، ويتحصنون بها من الأمراض التي كانت منتشرة على عهدهم.

المصدر	الوقاية	الغذاء
ابن زهر، الأغذية، ص 90	أنه لما كان الهضم في الشتاء أقوى وجب أن تكون كمية الغذاء أكثر، ولما كان أبرد وأرطب وجب أن تكون الأغذية أحر وأيبس	نوعية وكمية الغذاء
ابن زهر، الأغذية، ص-ص 10-143.	أفضل الأخباز خبز الحنطة الذي يطبخ في التتور، وبعد الذي يطبخ في الفرن، وأجود أخباز ما أكثر فيه من الماء حين يعجن. أحسن الغذاء عند حدوث الوباء هو الشعير.	الأخباز

¹ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 210.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

اللحوم	أكثر ما يستعملها الناس لحوم الغنم وهي حارة رطبة أفضلها ما ليس بالصغير ولا بالمسن	ابن زهر، الأغذية، ص 21.
الألبان	أفضل الألبان لبن المعز حين يطلب إذا شرب على الصوم ويغذي البدن، حتى أنهم زعموا أنه يسمن المسلولين	ابن زهر، الأغذية، ص 30.
الفواكه	التفاح من أنفع الأشياء إذا شم يقوي القلب والدماغ، وينفع المذبولين.	ابن زهر، الأغذية، ص 46.

2.1. الطّرق العلميّة والتقليدية الشعبية في العلاج

خلال فترة 4هـ/10م أطنب الطّبيب ابن الجزار في طرق المداواة في كتابه طب الفقراء والمساكين، وقد اعتمد هذا الكتاب في الفترات التي تلت القرن الرابع للهجرة من أجل التداوي به من الأمراض، وقد ذكر عدداً كثيفاً من المواد العلاجية، ومن الوصفات التي كان يذكرها نوعين: فنوع له أساس أقرباذيني، ونوع أساسه المعتقدات الشعبية¹، إن طرق العلاج والتداوي في بلاد المغرب كانت تسير وفق هذين النوعين المذكورين.

¹ أبو جعفر أحمد بن الجزار، طب الفقراء والمساكين، تح: الراضي الجازة وفاروق عمر العسلي، تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ص 56، 57.

وفي نهاية القرن 5هـ/11م بدأ يظهر نوع جديد من أماكن العلاج ويقصد بها دكاكين الأسواق، وكانت بين بيع الأعشاب وإعداد الأدوية والمشارب، حتى أنه اتخذ البعض دكاكين في الشوارع والأسواق لنفس الغرض¹، كما اعتاد الناس على التوجه إلى كل من يشاع عنه الدراية في الأمور العلاجية المختلفة ومنها:

2.1.1. السحر

استعمل المغاربة التداوي بالأعشاب والحمامات والكي وفي بعض الأحيان السحر والشعوذة²، وكان حمل التمايم الوقائية بإفريقية مقبولا من الجميع ومنتشرا على نطاق واسع بينما كان الناس يستتكرون حمل التعاويذ والطلاسم السحرية، وقد كان الاعتقاد في نجاعة السحر يؤدي إلى تدخل القضاة من حين لآخر لردع الظاهرة³، ويعد السحر من بين الطرق التي كان الناس يعتمدون عليها في طرق العلاج لأن غياب التفسيرات العلمية للمرض وأسبابه يرجع الكثير من الناس إلى التفسيرات المتصلة بالسحر والقوى فوق طبيعية، ويتمثل السحر في الاعتقاد بأن القوى فوق طبيعية يمكن التحكم فيها لتحقيق العلاج، وقد قسم السحر إلى سحر منتج، وسحر وقائي، وسحر مدمر (الإصابة بالمرض)⁴.

وكانت هناك معالجة خاصة للأمراض الغامضة التي يصعب مداواتها، فعندما يشعر الإنسان بضعفه ويؤمن بوجود قوى خفية تسيطر عليه فيحاول بكل الوسائل أن يستعطفها مما يجعله يتجه للسحر والشعوذة⁵، ومن بين الأمراض التي يعتقد ارتباطها

¹ محمد حقي، المرجع السابق، ص 33.

² العكاوي رحاب لخضر، المرجع السابق، ص 10.

³ صوفية السحيري بن حثيرة، الجسد والمجتمع دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات على الجسد، بيروت، دار محمد علي للنشر، ط1، 2008م، ص 298.

⁴ لطرش أمينة، الأعشاب الطبية ممارسات وتصورات مقارنة أنثروبولوجية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2011، 2012م، ص 60.

⁵ شحاتة قنواتي، المرجع السابق، ص 17.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

بالسحر حالات الضّعف العقلي، والجنون، والصرع، والمزاج الحزين، والسحر من المعتقدات القديمة السائدة في مختلف المجتمعات فالعرب قديماً كانوا يعتقدون أن المجنون رجل صرخته جنية، والمجنونة امرأة صرعاها جنني، وعلاج هذه الأمراض يكون بالطلاسم والشعوذة¹، كما كان للسحرة دراية بالأعشاب والعقاقير فكانوا يستعملونها في وصفات علاجية مفيدة للجسم مأخوذة من الأعشاب والتوابل²، يمكن الإشارة إلى أن نجاح بعض أنواع الدواء أو الطلاسم يرجع لفعله النفسي أكثر من فعله الكيميائي أو الطبيعي³.

كما حظي الساحر بمكانة مرموقة في بلاد المغرب على عهد المرابطين فلا يخالفه أحد، وكان الظن إذا خالفه أحد أو عصاه فتصب عليه صائبة في ماله أو بدنه⁴، إلا أن ظاهرة الإيمان بالخوارق والأمور الفوق طبيعية لم تكن في الدولة المرابطية بالكثرة التي صاحبت قيام الدولة الموحدية⁵، وطرق علاج السحرة أنهم يستعملون بعض الشعائر ويحملون بعض الأحجية⁶، وقد انتشرت بإفريقية بعض الممارسات الطبيّة والغيبية السحرية والتي تعود الناس وحتى السلاطين على استعمالها للمداواة⁷، لكن كثيراً ما كان السحرة يخفون في تنبؤاتهم الخاصّة بالأمراض والأوبئة فأشاعة أن سلطان المهدية علي بن يحيى بن تميم أنه سيموت فيما بعد مضي عشرة أيّام من شهر رمضان سنة 511هـ / 1117م، غير أنه تمكن في تلك الفترة من طرد

¹ لطرش أمينة، المرجع السابق، ص 60.

² مزبور سمية، المرجع السابق، ص، صر 184، 185.

³ قنر كورل، طبائع الناس وطرق التعامل معهم (تطبيق علم النفس في مكان العمل وفي الأسرة)، تر: عمار قسيس، دمشق، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2014م، ص 186.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 85

⁵ حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1980م، ص 480

⁶ شحاتة قناتي، المرجع السابق، ص 17

⁷ صوفية السحيري بن حثيرة، المرجع السابق، ص 297.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

النورمان من جزيرة جربة، فكانت مناسبة لبعض الأدباء أن يشنوا حملة واسعة على مدعي الاطلاع على الغيب¹

لقد تعدت الاستعانة بالسحر إلى مختلف المنافع التي يحتاجها الإنسان، ومن بين هذه السلوكيات ما أورده الطغري وأبو الخير تحت عنوان "في علاج الزرع وما يطرح الآفة عنه" أن الفلاح إن أخذ جلد ذئب وصنع منه غربالاً، وثقب ثلاثين ثقباً، وغربلت به الزرايع سلمها الله تعالى من الآفات.²

لقد قصد الكثير من الناس أصحاب السحر والشعوذة للعلاج عندهم خاصة لمن كان يعاني من أمراض مستعصية، وكان للسحرة حضور واضح في المجتمع بحيث اعتقد الكثير من الناس أنهم فئة لها خبرة ومعرفة في الأمور الغيبية والأمور التي لها علاقة بالعالم الآخر، وقد كان الظن أن سبب الأمراض هو لسحر موجود أوجني سكن الجسم.

2.1.2. المعالجات الطبيّة

استغلت الطبيعة في معالجة الأمراض والأوبئة فكانت: الحمامات³ الطبيّة والأعشاب والعقاقير النفعية وكذلك الحيوانات، فإلى جانب معرفة الأطباء بالتشريح كانت معالجتهم باستخدام الوسائل الطبيّة فيلجؤون مثلاً إلى الاستشفاء بالحمية والغذاء فإن لم يتيسر الشفاء، لجأوا إلى المعالجة بالأدوية المفردة، فالأدوية

¹ عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية، المرجع السابق، ص، ص 104، 105

² نفسه، ص 147.

³ الحمامات: ظهرت الحمامات بالشرق في القرن 1هـ/7م مع الأمويين وقد نشرها بعدهم العباسيون ببلاد المغرب وشاعت بإسبانيا، وظهر الحمام كنموذج للعالمية الإسلامية. ينظر: Le Goff (J), Trucong (n), Ibid. p117

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

المركبة،¹ ومن طرق العلاج الطبيعى هو الاغتسال في نهر فاس من فضائل ماء هذا النهر أنه يفتت الحصى ويذهب الصنان لمن اغتسل به وداوم على شربه².

يذكر الإدريسي أن المرضى وأصحاب العاهات المختلفة كانوا يترددون على شواطئ بحر الظلمات لالتقاط أحجار كثيرة ذات ألوان شتى وصفات مختلفات يتنافسون في أثمانها ويذكرون أنها تتصرف في أنواع العلاجات الطبيّة³، ومن الأماكن الطبيّة التي قصدها الناس في بلاد المغرب قصد العلاج هي الحمامات فهي متمركزة في معظم البلاد، ففي سجلماسة، توجد بها حمامات لكنها حسب البكري رية البنا غير محكمة العمل⁴ لكن من دخل سجلماسة من مرضى الجذام تتوقف علته.

3.1.2. العلاج بالكلي

يعتبر العلاج بالكلي من لطرق التي كان التداول عليها منذ القدم، وفي الموروث الإسلامي نجد أن الكلي شكل نقطة اختلاف بين الفقهاء في إباحته أو تحريمه أو القول بأنه مكروه.

قال النووي <<ما أحب أن اكنوى>> إشارة إلى تأخير العلاج بالكلي حتى يضطر إليه لما فيه من استعجال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكلي⁵، وقد ترجم الطحاوي في شرح معاني الآثار: (باب الكلي هل هو مكروه أم لا؟) فقد ذكر فيه أولاً الآثار الدالة على المنع، ثم قال: فذهب قوم إلى أن الكلي مكروه، وأنه لا يجوز لأحد أن يفعله على حال من الأحوال، واحتجوا في ذلك بهذه الآثار، وخالفهم في ذلك آخرون فقالوا: لا

¹ العكاوي رحاب خضر، المرجع السابق، ص 328.

² ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 35.

³ الإدريسي، المصدر السابق، ص 16.

⁴ البكري، المصدر السابق، ص 148.

⁵ الكاندهلوي محمد زكريا بن محمد بن يحيى، أوجز المسالك إلى موطأ مالك، تح: أيمن صالح شعبان، بيروت، در الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت)، ص 450.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

بأس بالكي لما علاجه الكي، ثم أخرج رويات الإباحة، ثم قال ففي هذا الآثار إباحة للداء المذكور فيها¹.

أمّا عند ابن القيم الجوزية فقد قال أن الأحاديث التي تضمنت الكي أربع أنواع، أحدها: فعله. والثاني: عدم محبته له، والثالث: الثناء على من تركه، والرابع: النهي عنه، ولا تعارض بينهما بحمد الله تعالى، فإن فعله يدلّ على جوازه، وعدم محبته له لا يدلّ على المنع منه، وأمّا الثناء على من تركه، فيدلّ على أن تركه أولى وأفضل، وأمّا النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكرهية، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه، بل يفعل خوفاً من حدوث الداء².

وقد استعمل الكي في بلاد المغرب الإسلامي للمعالجة من الأمراض وربما كان الإفراط في طريقة استخدامه في بعض الأحيان، فقد كانت نازلة في حكم من اشترى أمة فاطلع بعد موتها على كي بها، عندما ابتاع رجل أمة وتبرأ إليه بائعها بمجموعة من الأمراض فيها، ثم لبثت خمسة أشهر وماتت وعند تغسيلها اكتشفوا كي فاحشاً ولم يكن من ضمن العيوب التي ذكرها البائع، فأجاب القاضي عند وقوف النقاة على أن الكي كان فيها قبيل البيع فعليه أن يرجع له بما نقص من ثمنها³.

ومن المواضع التي كان الكي يستخدم فيها عادة الرأس حيث ينفع الكي من غلبة الرطوبة بالبرودة على الدماغ اللتين هما سبب الصداع، وكثرة النزلات من الرأس إلى

¹ الكاندهلوي، المصدر السابق، ص 451.

² ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت)، ج3، ص 114.

³ المعيار، المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 1401هـ/1501م، ج6، 246، 247.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

ناحية العينين والأذنين، ووجع الأسنان، وأجاع الحلق، بالجملة لكل مرض يعرض من البرودة، كالفالج والصداع ونحوها من الأمراض¹.

4.1.2. القوابل والتوليد:

لقد كان للقابلات حضور في مختلف المجتمعات الإنسانية، وتحمل المادّة التاريخية نماذج للقوابل وطرق الاستفادة من خدماتها، كما تعدد هذه الخدمات من الجانب الصحي إلى الجوانب القضائية والاجتماعية.

القابلة في اللغة: هي المرأة التي تساعد الوالدة وتتلقى الولد، وجمع قابلة قوابل.²

ويذكر ابن خلدون التوليد على أنّها صنعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه من الرفق في استخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك، وهي مختصة بالنساء في غالب الأمر، وتسمى القائمة على ذلك بالقابلة إستعير فيها معنى الإعطاء والقبول كأن النفساء تعطيها الجنين وكأنّها تقبله³.

يعتبر عمل القابلة نشاط يقابله أجر، وربما كان هذا الأجر مرتفعا فقد قيل في أمثال التي كانت متداولة (ارفع حرك يا مهجة لقابل. حتى يرخص القوابل)⁴، كما قد اختلف الفقهاء في هذه الأجر ومن المسؤول عن دفعه الزوج أم الزوجة؟ فقالت الحنفية: ان أجرتها على من استأجرها، فإنّ جاءت من غير استئجار فيتحمل الزوج الأجرة لأنّها مؤونة من مؤن الجماع، أمّا عند المالكية فتلاث أقوال في ذلك:

أحدها: أجرتها على الزوج سواء كانت في عصمته أو مطلقة.

الثاني: أجرتها على الزوجة.

¹ جابر بن سالم القحطان، الطب البديل مكمل للطب الحديث، الرياض، العبيكان للنشر، (د، ط)، (د، ت)، ص 395.

² مجمع اللغة العربية، المصدر السابق، ص 489.

³ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 111

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 34.

الثالث: أجرتها على الزوج أن كانت المنفعة للولد¹.

أمّا النساء التي يحقّ لهنّ السجن ولزم الاستعانة بالقابلة فيكون للقاضي أن يعين قابلة خيرة ويجعل لها أجره من بيت مال المسلمين لقاء عملها².

لقد كان للقابلة دور هام في مجتمع بلاد المغرب؛ بالإضافة إلى كونها تساهم في الجانب الصحي فلها دور آخر تمثل في الجانب القضائي، فقد اتفق الفقهاء على شهادة القوابل فيما لا يطلع عليه إلا النساء³، فيذكر الونشريسي نازلة سئل بها أبو القاسم أحمد بن قاضي ت(960هـ/1025م) عن رجل تزوج بكرا وطلب من أمها البناء عليها، إذا هي بكر في حجرها فامتعت له ولقي البنت فحتملها لداره مكرهة وخلا بها ثم ادعى أنه ألّفها غير عذراء، وأنكرته هي في ذلك وادعت أنه لم يمسه هو ولا غيره وأنها باقية عذراء. فكتب القاضي بإنكارها رسماً وقدم إمرأتين من القوابل للنظر إليها فشهدت عنده أنها غير عذراء، فأمر القاضي حينئذٍ أم الزوجة برد ما قبضت لابنتها من الصداق⁴.

وكذلك تم الاستعانة بالقابلة في مسألة الأمة التي تعم أنّها أسقطت من سيدها فقد سأل عن الأمة التي زعمت على أنّها أسقطت من سيدها وأنه أراد بيعها وقال: لم تسقط مني ولا أعلم إن كانت أسقطت من غيري وزعم أنه كان يطاءً، لكن كان يتحفظ وينزل خارجاً، وشهدت قابتان أن الجارية أسقطت عند مولاهما وشهدت ثالثة بأنها رأيت السقط، فقبلت شهادتهن وأعذر إليه⁵.

¹ الموسوعة الفقهية، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1415هـ/1995م، ج32، ص، ص 240، 241.

² ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة والمحتسب، تح: ليفني بروفينسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، (د،ط)، 1955م، ص 19.

³ الموسوعة الفقهية، المرجع نفسه، ص 214.

⁴ أحمد بن قاضي، المعيار، ج 3، ص، ص 32، 33.

⁵ بقي بن مخلد وأخرون، المعيار، ج9، ص 213.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

وكذلك تم الاستعانة بالقابلة في النازلة التي ادعى الزوج بأن في زوجته برص وقال والدها إن بها لمعات في جسدها لا يدري ماهي، فقال والظاهر من المذهب أن النساء ينظرن إلى الجسم ويخبرن عنه¹.

لقد تعدد دور القابلة في بلاد المغرب الإسلامي إلى مجالات أخرى فقد استعانة بها القضاء في معرفة بعض الأمور التي تخص النساء، والتي لا يقدر للرجل الإطلاع عليها كما كان لها أجر في هذا العمل، ولقد اقترن دورها بخرافات، وذكر عن يوسف بن تاشفين، وكذلك عبد الحق بن محيو المريني جد سلاطين بني مرين أن النساء الحوامل بمراكش إذا اعتسرت عليهن الولادة يأخذن سراويله ويجعلنها في أرجلهن فيلدن من حينهن من بركته²، وهذا القول كان عن الشخصيتين المذكورتين.

2. أماكن العلاج

لقد تعددت أماكن العلاج والمداواة في بلاد المغرب الإسلامي على حسب تعدد طبقات المجتمع، فطبقة الحكّام والسلاطين كانت لهم مصحات خاصة بهم، وللعامّة كذلك للتداوي والعلاج، كما أن فترة القرن 5-7هـ / 11-13م شهدت تغييراً في الملامح السياسيّة للبلاد، لكن رغم هذا التغير، إلا أنه ظل الاهتمام بالجانب الصحي والوقائي وترجم ذلك في استحداث مستشفيات (بیمارستانات)، وتم تنظيمها والشاهد في المصادر أنه من بیمارستانات المغرب من اشتهر وعرف بكبره وتنظيمه من كل الجوانب، فما هي أماكن العلاج التي كان يتداوى فيها المغاربة؟ وما هي أهم بیمارستانات التي أنشئت في البلاد؟ ثم ماهي تنظيماتها ودورها العلاجي؟

¹ المعيار، ج3، ص، ص 177، 178.

² ابن الأحمر إسماعيل، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصورة للطباعة والوراقة، (د، ط)، 1972، ص 30.

1.2. المنازل ومصحات القصور

تعتبر المنازل من أهم الأماكن التي كانت تقام فيها عمليات العلاج والتداوي، وقد كان عدد كبير من الأطباء البعيدين على القصور يقومون بمعالجة الناس في أماكن تواجدهم مثل المنازل، ففي القرن 5هـ/ 11م كان ابن الخياط¹ ت (437هـ/ 1044م) مقصوداً في بيته للعلاج²، أمّا بقية الأطباء كانوا يقومون بخدمة الأمراء والملوك، لذا اهتم الأمراء بإنشاء أماكن علاج داخل قصورهم، وكما ذكرنا سابقاً أن الخليفة المنصور الموحدي (580هـ-594هـ/ 1185-1199م) أنشأ خزانة للأشربة وعين عليها أبا يحيى بن القاسم الإشبيلي³ ومن بعده ابنه⁴، كما كان ليوسف بن فتوح العشاب⁵ ت 562هـ-1239م دكان لبيع الأعشاب⁶، وكذلك الطبيب أحمد بن محمد بن مفرج الإشبيلي ابن الرومية⁷ ت (637هـ/ 1239م) فقد كان له (دكان لبيع الحشائش الطبيّة والنقع بها)⁸.

¹ ابن الخياط: هو أبو بكر يحيى بن أحمد ويعرف بابن الخياط كان أحد تلاميذة ابن القاسم مسلمة بن أحمد، اعتنى بصناعة الطب، وكان دقيق العلاج توفي بطليطلة سنة 446هـ/ 1054م. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 497.

² أبي حسن علي ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، (د، ط) 1979، ج1، ص 438.

³ أبا يحيى بن قاسم الإشبيلي: كان فاضلاً في صناعة الطب خبيراً بقوى الأدوية المفردة والمركبة، كان صاحب خزانة الأشربة التي يأخذها الخليفة المنصور، توفي في مراكش في دولة المستنصر. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 534.

⁴ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 180.

⁵ يوسف بن فتوح العشاب : هو أبو الحاج الأندلسي المربي العشاب سمع على ابن بسكرة وخلف بن الإمام، وكان ذكياً فاضلاً، ولي الشورى ببلده ثم حج ونزل مدينة فاس وكان له معرفة بالنباتات 561 أو 562هـ. ينظر: الذهبي أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت 748هـ/ 1347م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح مصطفى عبد القادر عطاء، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت)، ج1، ص 742.

⁶ ابن القاضي، المصدر السابق، ص 75.

⁷ أحمد بن محمد بن مفرج الإشبيلي ابن الرومية هو العباس النباتي من أهل إشبيلية أتقن علم النبات ومعرفة أشخاص الأدوية وصل سنة 613هـ/ 1216م إلى الديار المصرية وعاین النبات الذي لا ينمو في بلاد المغرب له كتاب تفسير أسماء الأدوية ديسقوريدس ومقالة في تركيب الأدوية. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 537.

⁸ ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، ص 513.

2.2. البيمارستانات

بفتح الراء وسكون السين وهي كلمة فارسية معربة تدل لفظها على أنها كلمة مكونة من جزئيين (بیمار) وتعني مريض و(ستان) وتعني مكان ودار فهي دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت تسمى مارستان¹.

ولقد كانت البيمارستانات منقسمة إلى قسمين منفصلين عن بعضهما قسم للذكور وقسم للإناث، وكل قسم مجهز بما يحتاجه من آلة وعدة وخدم فراشين من الرجال والنساء، يوجد في كل قسم عدة قاعات للعلاج لمختلف الأمراض وهذه القاعات: قاعة لعلاج الأمراض الباطنية²، وقاعة للجراحة وقاعة للكحالة وقاعة للتجهيز، ولكل قسم رئيس وللبيمارستان كذلك رئيس يسمى ساعور البيمارستان³.

1.2.2. أنواع البيمارستانات

هم نوعان: ثابت ومحمول متنقل، فالثابت وهو الذي كان بناءه مشيد ذو معالم محددة ووجد في مختلف البلدان الإسلامية، وكان كثير الوجود في كثير من بلدان العالم الإسلامي والمحمول هو الذي ينتقل من مكان إلى آخر بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها وكذا الحروب⁴، وقد كان هذا النوع معروفاً لدى الخلفاء والملوك وهو مجهز بجميع ما يلزم المرضى والمداواة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة⁵، كما أشار ابن أبي أصيبعة على أن البيمارستانات كانت كما هو معروف للتطبيب وكذلك التعليم، وكانت تهيأ أماكن خاصة للطلبة الذين يتعلمون ويتلقون علوم

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ج 13، ص 79. أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، القاهرة، (د، ط)، 1963م مجلد1، ص 413. عيسى بيك، المرجع السابق، ص 04.

² ينظر: الملحق رقم 07.

³ محمد المنوني، المرجع السابق، ص، ص 131، 132.

⁴ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 221.

⁵ عيسى بيك، المرجع السابق، ص 11.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

الطب¹ فقد كان عبارة عن مدرسة طبية فيها أساتذة كبار وطلاب من مختلف الأصقاع والأقطار ومكتبات عامرة²، كما كان للبيمارستان ناظر ينظر أو يشرف على إدارته وكان النظر عليه محدوداً من الوظائف الديوانية العظيمة³.

أمّا عن أول المستشفيات نشأة في الإسلام، وهي المستشفيات الحربية المتنقلة؛ إلى أن جاء الوليد بن عبد الملك⁴ الأموي فاتخذ للمجذومين وغيرهم من ذوي العاهات داراً خاصة، ثمّ تتابع الأمر حتى عمت حواضر الإسلام من سمرقند⁵ إلى فاس إلى غرناطة بالمنشأة الخيرية⁶.

كما يبدو أن الموحدّين هم أول من اهتموا إلى إنشاء البيمارستانات العظيمة التي ضاهت ببيمارستانات المشرق⁷، رغم أنّه كان في القيروان ببيمارستان هو الأول من نوعه في إفريقية أنشئ في مكان يدعى (الدمنة) فأصبح اسم المستشفى بالدمنة، وظل المستشفى قائماً حتى خراب القيروان من جراء الزحفة الهلالية منتصف القرن 5هـ/11م⁸، والدمنة في القيروان والمغرب الأدنى هي مماثلة للبيمارستانات في المشرق من حيث الإدارة والهندسة وتوفير الأطباء العاملين والتجهيز⁹، وكانت مصاريف الدمنة تسدد من خلال

¹ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 155

² أحمد إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار القيرواني، الطب في المعدة وأمراضها ومداواتها، تح: سلمان قطابة، الجزائر، دار الرشيد للنشر، (د، ط)، 1980م، ص 43.

³ عيسى بيك، المرجع السابق، ص 22.

⁴ الوليد بن عبد الملك بن مروان 47-96هـ/667-715م: أبو العباس من ملوك الدولة الأموية في الشام ولي بعد وفاة أبيه سنة 76هـ/695م من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 121.

⁵ سمرقندك مدينة من خراسان ويقال أن شمر ابن إفريقش عبر أرض الصغد حتى وصل إليها فهدمها ثم ابتناها ويقال أنّها بنيت أيام الإسكندر المقدوني وتولى ذلك شمر فليل شمرقند وعربت فليل سمرقند. ينظر: الحميري، المصدر السابق، 322.

⁶ عيسى بيك، المرجع نفسه، ص 15.

⁷ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 346.

⁸ ابن الجزار، المصدر السابق، ص 42

⁹ السامرائي كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، سورية، دار النضال، (د، ط)، ج1، 584.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

الأموال والعطايا التي يتبرع بها الوجهاء والأغنياء من أهل البر والإحسان أودوي المرضى¹، كما زودت الدمنة بعدد من الممرضات اللائي يسهرن على راحة لمرضى ويمنعن الزوار من الاتصال بهم إلا بطرق منظمة²..

وكذلك في بجاية، قام أهلها بإنشاء بيمارستان مجهز تجهيزاً جيداً، وأحضروا له الأطباء، وحافظوا على الصحة العامة³. أمّا في العهد الحفصي، فيذكر الوزان أنها تحتوي على حمامات وفنادق ومارستانات وكلها صروح مشيدة حسنة البناء⁴، فقد كانت كل هذه الصروح تشيد لغرض الصحة.

ولما وصل المرينيون إلى السلطة توسعت حركة بناء المارستانات وصارت مدن كثيرة تحتضن مؤسسات من هذا النوع ومنها: فاس، مكناس، مراكش، وتازا، وآسفي وفي هذا العهد صار البيمارستان الرئيسي في العدو المغربية هو بيمارستان فاس باب الفرج⁵.

وفي العهد الزياني، كان البيمارستان يستقبل الغرباء ويستضيفهم لمدة ثلاثة أيام وكان يداوي الحيوانات الجريحة كما يتكفل بغسل أموات الغرباء وكفنهم ودفنهم، والظاهر أن المستشفى كان يعالج الناس باستخدام الموسيقى، فقد كان له وقف برسم الموسيقى للذين كانوا يزورونه، ويقدمون للمرضى ونزلائه نغمات موسيقية خاصة⁶.

¹ نقلا عن ما كتبه المحقق في كتاب ابن الجزار، المصدر السابق، ص 43

² التليسي، المرجع السابق، ص 493.

³ محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1430هـ/2009م، ص 191.

⁴ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 50.

⁵ محمد حقي، المرجع السابق، ص 37

⁶ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 247.

2.2.2. نظام العلاج في البيمارستان

كان في البيمارستان طريقتان للعلاج: علاج خارجي أي أن المريض يتناول الدواء من البيمارستان ثم ينصرف ليتعاطاه في منزله، وعلاج داخلي حيث يقيم المريض في البيمارستان وله قسم خاص وقاعة خاصة بمرضه حتى يشفى¹، كما كان في البيمارستانات صيدلية تسمى (شراخاناه) ولها رئيس يسمى شيخ صيدلي البيمارستان².

2.3.2. أهم بيمارستانات بلاد المغرب خلال ق 5-7هـ / 11م-13م

لقد اهتم أمراء وسلاطين بلاد المغرب الإسلامي بإنشاء أماكن للعلاج ورغم أن المستشفيات ظهرت في العهد الأغلبي وأطلق عليها اسم الدمنة إلا أن أعظم مارستان كان في العهد الموحي وهو بيمارستان مراکش الذي ووصف بأنه لا يوجد مثله في الدنيا، فقد كان هذا البيمارستان يضاهي أو يفوق مارستانات بلاد المشرق لما يتوفره من خدمات.

أ -بيمارستان مراکش 585هـ/1189م

أسس يعقوب المنصور بيمارستانات للمرض والمجانين في كل من مراکش وشالة والقصر³، كما يذكر المنوني أن بيمارستان شالة والقصر لم يقف على من وصفهما، أما البيمارستان المشهور، هو بيمارستان مراکش الذي كان في ساحة فسيحة في مراکش بأعدل موضع فيها،⁴ وأحاطه بمختلف أنواع الأشجار والأزهار وزوده بما يحتاجه⁵، يقول ابن أبي زرع >حوبنى بيمارستان للمرضى والمجانين، وأجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم، وأجرى الأنفاق على أهل المارستان، والجذما

¹ عيسى بيك، المرجع السابق، ص 31.

² ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج 2 ص 260.

³ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 92

⁴ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 541.

⁵ السامرائي، المرجع السابق، ص 192.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

والعميان وفي جميع عمله¹. كما يذكر الحميري تسمية البيمارستان بدار الفرج وهو أول بيمارستان في المغرب²، ومن المصادر التي أطنبت في وصف هذا المارستان هو صاحب المعجب والذي قال وبني بمدينة مراكش بيمارستان ما أظن أن في الدنيا مثله³

لكن لم يبق بيمارستان مراكش على حاله كما كا أيام الخليفة المنصور فيذكر الحسن الوزان أنه <لم يعد يتواجد فيه طبيب ولا يقدم فيه علاج، وكل ما يحصل عليه المريض هو طعام وسكن، ويعتمد على نفقاته من إحسان أهل المدينة بعد أن باع أحد السلاطين المرينيين أحباسه>⁴، لقد تعرض بيمارستان مراكش في الفترات اللاحقة إلى الكثير من الإهمال وسبب هذا هو عدم اهتمام سلاطين بني مرين إلى هذا الصرح العظيم، ويمكن أن نتساءل لما لم يكن الاعتناء به من طرف السلطة القائمة آنذاك؟ يمكن أن نجيب بحصر السبب في نقطتين:

- النقطة الأولى: إما أن يكون الجانب الاقتصادي سبب في ذلك بحيث أن تمويل البيمارستان أصبح عبئاً على الدولة، لكن يمكن أن يكون التمويل بواسطة الهبات والأعطيات من العامة وأصحاب المال.

- النقطة الثانية فتراجع إلى حساسية العلاقة والحروب التي كانت بين الموحدين المرينيين خاصة أن أواخر الفترة الموحدية كان هناك صراع كبير على السلطة بين أبناء البيت الموحي وهذا ما أدى إلى عدم الاهتمام به فأصبح تدريجياً يفقد رونقه وخصائصه.

¹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص، ص 217، 218.

² الحميري، المصدر السابق، ص 541.

³ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 190.

⁴ الحسن الوزان، المرجع السابق، ص، ص 227، 229.

ب -بیمارستان فاس عام 685هـ / 1285م

أنشئ في فاس بیمارستان¹ خلال فترة السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق² أحد ملوك بني مرين سنة 685هـ / 1285م، وقد كان مأوى للمساكين والغرباء والجدامى والعمي وموقعه بجوار سوق العطارين وسوق الحناء³، ويسمى المكان بسيدي فرج⁴ وقد تولى رئاسة أطبائه سنة 700هـ / 1301م طبيب من بني الأحمر هو فرج الخزرجي، وقد عمل هذا الطبيب على إدخال الموسيقى للمعالجة النفسية.⁵

ج-بیمارستان شالة

من المستشفيات التي أسسها المنصور للمرضى والمجانين إضافة لمستشفى مراکش وأجرى الإنفاق على أهلها هو مارستان شالة والقصر⁶، ويقول الوزان على مستشفى شالة⁷ وأعاد المنصور الموحيدي بناء أسوارها وشيد بها مستشفى فخماً وقصراً⁸، اهتم المنصور الموحيدي على غرار خلفاء البيت الموحيدي بإنشاء أماكن للعلاج، ويظهر ذلك جلياً في تشييد هذه الصروح، وكان مارستان شالة من بينها.

¹ ينظر: الملحق رقم 08.

² يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة المريني الزناتي أبو يوسف السلطان المنصور بالله، بربري كانت له في عهد أخيه (أبي بكر) أمارة بلاد تازا وبطوية وملوية. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 199.

³ الكتاني أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقيروا من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، 2004م، ج1، ص 238.

⁴ عيسى بيبك، المرجع السابق، ص 286.

⁵ العكاوي رحاب لخضر، المرجع السابق، 325.

⁶ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 119.

⁷ شالة: مدينة صغيرة بناها الرومان بالقرب من نهر أبي رقراق على بعد نحو ميلين من البحر وميل واحد من الرباط. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 203.

⁸ الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص 161.

الفصل الثاني: الخدمات الطبية لمعالجة الأمراض والأوبئة

إن سلاطين وأمراء بلاد المغرب لم ينقطع منهم هذا الاهتمام بالبيمارستانات بل كان هناك تشييد لعدة بيمارستانات في الفترات اللاحقة كبيمارستان سلا¹، وكذلك بيمارستان آسفي² الذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب <وبهذه البلدة مدرسة وبيمارستان وعليها مسحة من قبول الله وهوؤها أطيب أهوية البلدان... ومقيم رسم البيمارستان الشيخ الحاج أبو الضياء>³، لقد كان من الواجب على العامة والسلطة تشييد البيمارستانات.

لقد حظي الطب باهتمام الحكّام خلال الفترة المدروسة، و خاصة في العهد الموحي أثناء خلافة المنصور، فقد أدرجت المصادر التاريخية عددا كبيرا من الأطباء سواء المغاربة أو الأندلسيين، كما كان تداول الطب وفق مرجعية كل من امتننه فالمتصوفة كانت لهم طرق مختلفة في التطبيب، اعتمدوا على اللمس والريق والرقية والأعشاب والعقاقير الطبيعية، أما بالنسبة للأطباء الذين اعتمدوا على الجانب العلمي المستمد من الكتب الطبية اليونانية القديمة، فقد كان حضورهم في بلاط الحكّام أكثر من تواجدهم بين العامة، ومن أسباب ذلك هو الأجرة التي كانت في نظر العامة مكلفة، ضف إلى ذلك الإغراءات الموجودة في القصور والمكانة التي يتمتع بها المقربون من الحكّام، لذا فإنّ العامة استنجدوا في مواضع كثيرة بالمتصوفة، ومن مظاهر الاهتمام الطبي في بلاد المغرب هو الصرح الذي بناه المنصور بيمارستان مراكش الذي اعتبر من أهم البيمارستانات في بلاد المغرب والمشرق الإسلامي على حد سواء.

¹ ينظر: الملحق رقم 09.

² آسفي: تقع في أقصى المغرب وهو آخر مرسى تبلغه المراكب من عند الأندلس إلى ناحية القبلة ومن مرسى آسفي إلى مرسى ماست مائة وخمسون ميلاً. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 57.

³ ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الإغتراب، تح: أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، (د، ط)، (د، ت)، ص 72.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامّة في بلاد المغرب الإسلامي.

أولاً: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الجوانب الحضارية في بلاد المغرب

1- انعكاسات الأمراض والأوبئة على الجوانب السياسيّة والاجتماعية.

2- انعكاسات الأمراض والأوبئة على المجال الثقافي والاقتصادي.

ثانياً: تطور الطبّ في بلاد المغرب وأثره على الطبّ في أوروبا.

1- أوضاع الطبّ الأوربي في العصر الوسيط.

2- تأثير العلوم الطبيّة الإسلامية على الطبّ في أوروبا.

أولاً: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الجوانب الحضارية في بلاد المغرب

شكلت الأمراض والأوبئة خطراً حقيقياً على الحياة الحضارية في مجتمع بلاد المغرب، فوجودها كان نتيجة عدة عوامل اضطرارية كالكوارث والحروب والمجاعات، لكن انتشارها كان له وقع خطير في الحياة، فقد أدى إلى بروز ظواهر سلبية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها، كما كانت الدولة الإسلامية في الفترة الوسيطة، تشكل منارة علمية حضارية متطورة ساهم هذا في بروز علماء في مختلف المجالات والطب من أبرزها. فما هي أهم الآثار المترتبة عن الأمراض والأوبئة في المجتمع، وما هي انعكاسات التطور الطبّي على أوربا؟

1. انعكاسات الأمراض والأوبئة على المجال الاجتماعي و السياسي.

1.1. المجال الاجتماعي

للأمراض والأوبئة تأثير على حياة الناس الاجتماعية، فهي تجعلهم يقومون بأعمال تتراوح بين القبول والنفور؛ ويمكن أن تكون لها آثار إيجابية أخرى سلبية، والسبب هو حجم الكارثة الصحيّة التي يصل إليها الإنسان عند انتشارها؛ فالحياة على المحك، ولا يوجد سبيل لاختيار كيفية العيش في مثل هذه الظروف، فنجد الكثير من الناس يلجؤون إلى طرق مختلفة تكفل لهم على الأقل حياة مؤقتة، كما كان للحضور الصوفي في مساعدة المحتاجين من الفقراء والمساكين صورة من صور التكافل الاجتماعي.

1.1.1. الصوفية ومظاهر التكافل الاجتماعي

لقد شكلت كوارث القحط والجوع والغلاء والأمراض مناسبات للفئات الفاعلة في المجتمع، و خاصة العلماء والصّحاء لربط جسور التّكافل، ومد يدّ المساعدة

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

للمنكوبين، كما تتافسوا في الإنفاق لإغاثة المشردين والمرضى وإطعام المتضورين جوعاً¹، ومن الجوانب التي جعلت العامة يقتربون من المتصوفة ما يلي:

أ. ظاهرة الفقر وإيثارها على الغنى

لقد تميّز البعض من الأولياء بفقرهم وأنثروه على الغنى، ويؤكد ذلك قول الباديسي <فجماعة الأولياء يفضلون الفقر عن الغنى>²، وقد كانت طرق عيشهم أكثر بساطة تظهر في لباسهم ومأكلهم، فقد كان الشيخ المتصوف أبو يعزى يفتات من أقراص من دقيق البلوط، وكان يجعل معها أوراق اللبلاب ويطحنها، فما كان يأكل إلا نبات الأرض ولا يشارك الناس في شيء من معاشه³، وقد اختار الأولياء الفقر عن الغنى كأسلوب حياة، فعندما ورث الشيخ المتصوف أبي الحسن بن حرزهم⁴ ميراثاً قدّمه إلى أخيه بقوله: أحضر الشهود لأتصدق عليك بميراثي⁵، ومن صور إيثار الفقر ما تصدق به أبو عمران⁶ فقد كانت له 400 ديناراً وقت المجاعة التي كانت عام (591هـ / 1195م) فقام بتوزيعها كلها على المساكين⁷ وبقي فقيراً، لقد أثر المتصوفة مساعدة المحتاجين والبقاء في

¹ عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 68هـ / 1214م)، المرجع السابق، ص 266

² الباديسي عبد الحق بن إسماعيل، المنزع اللطيف والمقصد الشريف، تح: سعيد إعراب، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1414هـ / 1993م، ص 2

³ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 215.

⁴ أبي الحسن بن حرزهم: هو أبي الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم، من أهل فاس وبها توفي عام 559هـ / 1164م، وكان فقيهاً زاهداً في الدنيا سالكاً في التصوف. ينظر: التادلي، المصدر نفسه، ص 168.

⁵ ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 170.

⁶ أبو عمران موسى بن إسحاق الوريكي المعلم من أهل مراكش ت 592هـ / 1155م، كان من أهل الزهو والركون إلى الدنيا، ثم زهد الدنيا ومتاعها. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص، ص 297، 298.

⁷ ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 298.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

فقر، خاصة أيام الشدة وهذا الشيخ أبو زكريا التادلي¹ كان ذا مالٍ وقام بتفريق جميع ماله على الفقراء والمساكين في مجاعة حلت في مراكش².

لقد اهتم المتصوفة بالفقراء والمساكين وعابري السبيل، فابن قنفذ القسنطيني عندما ذكر الفقيه الورع أبا عبد الله محمد الجنائي³ >> كان يبادر إلى خدمة الغريب المريض ويسعى في أمره <<⁴، هذه المبادرات والمساعدات الفردية من المتصوفة تأسر العامة وتجعلهم يثقون فيهم كل الثقة.

ب. التصديق والإنفاق على الفقراء.

لقد عانى الناس كثيراً من أثر الكوارث التي كانت تصيب البلاد، يقدم ابن العربي صورة مؤلمة عما قاساه العامة، فقد كان بإيلان أغمات في مجاعة 535هـ / 1485م >وقد ضاقت الأرض برحبها عن المساكين، فحشرت إلينا منهم زمر وعمهم الوباء وكنت بدار غربة في حال كربة، فرأيت الذي يلزمني منهم واحدة، أخذت إثنين وكنت أتيهم كل يوم برغيفين<<⁵، وكثيراً ما تشير كتب المناقب إلى العطف والإشفاق من المتصوفة على الفقراء والمساكين؛ فالشيخ أبو داود مزاحم⁶ كان على المحتاجين مشفقاً⁷.

¹ أبوزكريا التادلي: هو أبوزكريا يحيى بن محمد بن عبد الرحمن التادلي من أهل تادلا مات بفاس 576هـ / 1181م، وكان عبداً صالحاً مجاب الدعوة. ينظر: التادلي، المصدر السابق، ص 245.

² موسى بن عيسى المازوني، مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، تح: عبيد بوداود، الجزائر، الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ / 2015م، ص 813.

³ الجنائي: أبا محمد عبد الله محمد الجنائي، ولي الله الفقيه الزاهد الورع ن أهل العلم والصلاح والزهد والورع، وكان دائماً يطالع كتاب "إحياء علوم الدين" توفي سنة 779هـ / 1378م. ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 76.

⁴ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 76

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس عصر المرابطين، المرجع السابق، ص 201.

⁶ أبو مزاحم بن علي بن جعفر بن سليمان بن علي بن أبي عزيز ت 578هـ / 1183م. ينظر: البادي، المصدر نفسه، ص 51

⁷ البادي، المصدر السابق، ص 51.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

أمّا الشيخ الصالح أبو يعزى¹ فقد ذاع صيته في التصدق على الفقراء والمساكين والمسافرين، وكان يطعم الواصلين إليه العسل ولحم الضأن والدجاج²، وكذلك الشيخ المتصوف عمر بن معاذ الصنهاجي، لما أتت مجاعة عام 535هـ / 1140م جمع خلقاً كثيراً من المساكين فكان يقوم بمؤونتهم وينفق عليهم ما يصطاده من الحوت وغيره إلى أن أخصب الناس³، والمتصوفة كانوا يؤثرون الإنفاق على أصحاب الحاجة رغم احتياجهم وفاقتهم فقد أتت امرأة مسكينة إلى زوجة أبي عمران، لكي تطلب منه أن يعطيها من الصدقة التي كان يفرقها على الفقراء، والزوجة لم يكن لديها علم بما يصدقه زوجها على الفقراء والمساكين⁴، لقد دأب المتصوفة على الإنفاق ومساعدة الفقراء والمساكين كما حث الناس و خاصة الأغنياء منهم على الصدقة.

والشيخ أبو يعزى كان يتشدد كثيراً في أمر الصدقة، وعندما حبس المطر، جاء إليه أحد الفلاحين يشكو ذلك قال: <<إنما احتبس لشح الناس فلو تصدقوا لمطروا فقل لأصحابك من الفلاحين تصدقوا، بقدر ما أنفقتم تمطروا>>⁵. ولقد تصدق المتصوفة بكل أشكال المؤن. كما يذكر صاحب المناقب المرزوقية عن عمه لما كانت له مطامير من قمح وفحم، فإذا كان يوم الثلج قام بفتح مطمورة وتصدق بالزرع والفحم والأدم طوال يومه، وكان لا يرجع حتى يفرغ المطمورتين⁶، أمّا الشيخ أبو العباس السبتي رحيم عطوفاً محسناً إلى اليتامى والمساكين والأرام وكان يحض الناس على الصدقات

¹ أبو يعزى يلنور بن ميمون: قال قوم إنه من هزميرة إبروجان، وقيل من بني صبيح هسكورة مات وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين سنة ودفن بجبل إبروجان سنة 572هـ / 1177م وكان قطب عصره. ينظر: ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص، ص 213، 214.

² ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 215

³ نفسه، ص 183.

⁴ نفسه، ص 299.

⁵ نفسه، ص، ص 466، 467.

⁶ بن مرزوق التلمساني ت 781هـ / 1380م، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهراوي، الدار البيضاء، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة، ط1، 1429هـ / 2008م، ص، ص 191، 190.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

فتتثال عليه الصدقات فيفرقها على المساكين وينصرف¹، وكذلك يذكر الفقيه أبو محمد عبد الحق² عن والده عندما كانت بفاس مسغبة وارتفعت الأسعار وكانت عند عبد الحق مؤونة فقال لزوجته: إذا جاء من يسأل لا ترده وادفعي له من ذلك الطعام، وتصدق من كل يوم بما تيسر حتى خرج فصل الشتاء³.

ج. الدعاء عند الكوارث

ومن عوامل تمسك العامة بالمتصوفة، هو اللجوء إليهم زمن المحن وأيام الجفاف، وأنّ هذا التمسك لم يكن محض الصدفة فقد ظهر أن لهم كرامات يختصون بها، فكانوا يقصدونهم للاستسقاء تارة ولرفع الأذى من إحدى الكوارث تارة أخرى، يذكر ابن الزيات عن أبا زكريا لما كان الناس في أشد الحاجة للاستسقاء، وكانت السماء صافية >>فقالوا: يا أبا زكريا استسق لنا فقام أبو زكريا ورمى بقلنسوته عن رأسه إلى الأرض... وقال: يارب هذا الأقرع يسألك الغيث والله ما نزل الناس عن ذلك المكان حتى مطروا مطراً عزيزاً<<⁴، والولي الصالح أبو يعزى ينور الذي يتردد اسمه في الكثير من المواضع التي تربط وتوثق العامة بفئة المتصوفة يذكر صاحب المستفاد أنه لما وصل الجامع قام إليه جميع من في الجامع وشكوا إليه القحط واحتباس المطر، فدعا الله الغيث فنزل المطر⁵.

¹ ابن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 452.

² أبو محمد عبد الحق : هو ابن الشيخ أبو عبد الله محمد بن مليح أقام مسجداً في إصليتين وكان من المجتهدين في العبادة. ينظر: التميمي، المصدر السابق، ص 120

³ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص 121

⁴ ابن الزيات التادلي، المرجع السابق، ص، ص 138، 139.

⁵ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم، المصدر نفسه، ص 33.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

ولم يقتصر استتجاد العامة بالصلحاء في مجال الشفاء من الأمراض بل فاقه إلى مختلف الكوارث الطبيعية، ويذكر التادلي عن أبي محمد عبد الغفور¹ عندما ذهب إلى أغمات وكان الجراد قد عم المنطقة والناس مجتمعين على القضاء عليه، وعندما علموا بأبي محمد ذهبوا إليه وشكوا له ما لحق بهم فقال لهم: <>لعل الله يصرفه عنكم حتى لا تعلموا هل غاص في الأرض أم صعد في السماء، فدعا لهم وانصرفنا، فرجعت من أغمات في اليوم الثاني، فمررت بأولئك القوم فقالوا له أقرأ سلامنا على الفقه أبي محمد وأعلمه ان الله تعالى قد أراحنا من الجراد<>². إن توجه العامة إلى للمتصوفة قصد الدعاء كان بمثابة الاستتجاد الذي يفك الأزمة، كما تظهر صورة أخرى مدى تمسك العامة بالمتصوفة، فقد كان المصامدة يزورون وجاج بن زلو اللمطي من أهل السّوس الأقصى ويتبركون بدعائه وإذا أصابهم القحط استسقوا به³.

هذه بعض العوامل التي جعلت العامة يقصدون المتصوفة ويكونون محل ثقة إلى درجة أن الناس لجأت إليهم بعد الممات وتبركوا بقبورهم، فقد كان الناس يستشفون بتراب أبي محمد بن يحيى بن يجاتن الزنات ت (536هـ/1142م)⁴، وكذلك أبي حفص عمر ابن ميكيّسوط الدغدوغي ت (546هـ/1152م) يستشفى الناس بتراب قبره⁵، وقد بلغ بهم أن نقلوا تراب الشيخ أبي يعزى وتراب الشيخ أبي غالب النيسابوري للاستشفاء من الأمراض والقروح⁶، إن استخدام التراب ومحاولة مداواة به أثر على الحياة الصحيّة لمستعمليه، فلربما كان الاعتقاد السائد هو أن تراب الأولياء أحسن للعلاج من الذهاب

¹ أبو محمد عبد الغفور ابن يوسف الأيلاني من أهل تاكاثر من بلاد أيلانم ومات بأغمات وريكة سنة 586هـ.

ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 253

² ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 253.

³ نفسه، ص 89.

⁴ نفسه، ص 132.

⁵ نفسه، ص 141.

⁶ أبو علي القوري ت (872هـ/1468هـ)، المعيار، ج1، ص 490.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

للأطباء، أو كانت الحاجة المادية سبباً في جعل الناس يقصدون هذا العمل الذي في نظرهم غير مكلف مادياً.

2.1.1. المجتمع وظاهرة التكافل الاجتماعي

يظهر تكافل الناس فيما بينهم زمن المحن والشدائد مدى ارتباطهم بالوازع الديني، فالصدقة والزكاة يحث عليها الإسلام، لذا من الطبيعي أن يميّز المجتمع الإسلامي هذه الصفات، وكثيراً ما تكون هذه الصدقات للمحتاجين والمرضى حتى أنه في الوسط الشعبي والأمثال المأخوذة منه تبين ذلك مثل "يسرق الخوخ ويطعمها للمساكين"¹بالإضافة إلى تأثر الإنسان بما يحدث.

لقد ظهر التكافل بين أطراف المجتمع وقت الكوارث، وعند حدوث المجاعات والأوبئة. فقد قام المحسنون في المغرب والأندلس بمساعدة الفئات المحتاجة من خلال تحبيس عقارات ذات مداخل تلبي حاجات الفقراء والمساكين، وأورد الونشريسي في كتابه الجامع أن الفقيه عبد الله العبدوسي ت(779هـ/1377م) سئل في باب الأحباس أن الناظر في أعيان المساكين وتعينيهم ومقدار ما يستحقونه موكول إلى امانته².

وقد تميّز مستوى معيشة العامة بنوع من الانحطاط، وظهر بون شاسع بين العامة وطبقة الخاصة التي تفننت في شتى أنواع البذخ والإسراف. فمن الطبيعي أن يتأثر العامة بالوضع الاقتصادية السائدة في البلاد، حيث كان يتحسن إبان فترة الرخاء ثم ينحط فترة الأزمات، حتى أن ارتفاع الأسعار وتكاليف المعيشة ظل متواتراً ابتداء من النصف الثاني من القرن 6هـ/12م³، وتظهر الأمثال التي كانت رائجة في المجتمع مدى الاهتمام

¹الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص 471.

² المعيار، ج7، ص، ص 76.

³إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 201.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

بالفئات أصحاب الأمراض والعاهات يقول صاحب أمثال العوام " إن كانت هي صدقة، العمي أولى بها"¹.

كما انتشرت في أوقات الشدة والأوبئة ظواهر تبين مدى حاجة الناس للغذاء، فقد كان العامة يقومون ببيع ممتلكاتهم ورهنها مقابل الغذاء²، ثم كثرت عملية السلفة بين الناس وكانت الإعارة لا تقتصر على المواد الجاهزة للغذاء، فقد تبين أن الإعارة كانت في المنتجات التي لم يحن وقت نضجها، ويورد الونشريسي عن ابن محسود عندما سئل عن الزرع أخضر وفول أخضر يحتاج الناس إلى سلفته فقال: ذلك جائز في وقت الشدة والمجاعة³.

أما خلال الفترة الزيانية، فقد كان الناس في مدينة تلمسان يتميزون بالتضامن الاجتماعي، وإغاثة المسكين ولاسيما عندما تحل سنوات المحن، وكان في مقدمة المحسنين طبقة الفقهاء والمتصوفة والعائلات الميسورة، ومن بين هؤلاء أبو العباس أحمد بن مرزوق⁴، الذي كانت له مطامير من القمح والفحم والزيت، فقد كان يفتحها جميعها أمام الفقراء والمحتاجين⁵، وكذلك كان الولي الصالح أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب⁶ يفضل أن يقدم طعامه وطعام عياله للمساكين والمحتاجين⁷.

¹الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص 41.

²ابن أبي زيد(310هـ/922م)، المعيار، ج6، ص، ص 100.101

³ نفسه، ص 44.

⁴ أبو العباس احمد مرزوق: هو احمد بن محمد بن مرزوق الكفيف ولد العالم ابن مرزوق وابن الإمام الشهير الحفيد ابن مرزوق، كان نجيباً صالحاً من أهل تلمسان وقع اسمه في فهرست ابن غازي ووصفه بالفقيه أبي العباس. ينظر: التمكن، المصدر السابق، ص 137.

⁵عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 255.

⁶ أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي أحد علماء تلمسان ينظر: المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: مريم قاسم الطويل و يوسف على الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت)، ج7، ص 24.

⁷ عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 256.

3.1.1. التسول

ظاهرة التسول من الظواهر السلبية التي تكون في المجتمع نتيجة لعدة أسباب أبرزها الفقر والحاجة، ويمكن أن تتسبب الأمراض والأوبئة في وجودها، ويجدر الإشارة إلى وجود البعض من الفئات الذين يتبعون هذه الظاهرة رغم عدم حاجتهم الكبيرة.

ويتجلى بروز هذه الظاهرة أيام المحن، فكثير من المرضى الذين لا قوت لهم يلجؤون إلى التسول قصد توفير حاجاتهم، فالمرض يكون سبباً في ذلك خاصة إذا كان المريض له عاهة تظهر للعيان فمن خلالها يكون استعطاف الناس والتسول بها، وتفتت هذه الظاهرة حتى أصبح الأصحاء يقومون بها، مما حرك المحتسبين للمطالبة بمنع هذه التصرفات¹، فابن عبد الرؤوف² المحتسب يندد بذلك ويأمر بمنع <<أصحاب الأورام والقروح البشعة، ومن يتعلق مصرأه من جنبه، والذي يظهر أنه مقعد والذين يقرحون أيديهم ويوهمون الناس أن ذلك كله بلاء نزل بهم وهم يكذبون>>³، كلف المحتسبون بمحاربة مثل هذه التصرفات التي استعملها البعض من الناس قصد الاستعطاف وجمع المال دون عناء.

4.1.1. الهجرة

من أسباب الهجرة في المجتمعات المختلفة هو البحث عن أماكن ملائمة للعيش وقد عرف الإنسان الهجرة منذ أن دب على وجه الأرض، وفي بلاد المغرب شكلت الأمراض والأوبئة سبباً هاماً في هذه الظاهرة قصد الهروب من المرض، فقد تخوف المجتمع من المرض المعدي والرسول ﷺ ذكر طرق التعامل من المرض الوبائي المعدي «إِذَا

¹ محمد حقي، المرجع السابق، ص 588.

² ابن عبد الرؤوف المحتسب: هو أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف المحتسب الأندلسي القرطبي توفي في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م. ينظر: السقطي أبي عبد الله محمد المالقي، آداب الحسبة، تح: كولان وليفي بروفينسال، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت)، ص 30.

³ ليفي بروفينسال، ثلاث رسائل في الحسبة، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، (د، ط)، 1955م، ص 113.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا»¹، والهجرة تحدث بشكل كبير عندما تكون عام الشدة وتكون الأمراض فقد هجر الناس في الوباء المفرط الذي كان بالعدوة والأندلس 635هـ/ 1255م، مواطنهم وهرب فيه أكثر أهل البلاد²، والهجرة تكون عندما يشتد حال الناس وتشتد المحن. و يمكن أن يهرب الناس من مناطق عرف فيها أسباب المرض، وعن رحلة الغزال لما وطئ مدينة طريفة بالأندلس واشتكى من هوائها الفاسد خاصة في الليل عندما هبت ريح ينتن ماء واديتها فأيقظ أصحابه وتهيا للسفر قبل الفجر³ تخوفاً من انتشار المرض بين أصحابه.

5.1.1. عيادة المرضى

يمكن الإشارة إلى ظاهرة اجتماعية حث عليها الدين الإسلامي وهي عيادة المرضى، فهي من الواجبات، كما نص عليها الحديث القدسي فالله يحاور الإنسان يوم القيامة، ويلومه على عيادة المريض بقول ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدَّتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»⁴، وفي حَدِيثِي قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو

¹ الإمام البخاري، المصدر السابق، ج7، ص129، رقم 5728.

² ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، 255

³ حددي أحمد، أخبار الأوبئة والأمراض في الرحلات السفرية المغربية، مجلة كنانيش، جامعة محمد الأول، العدد 3،

2001م، ص44.

⁴ الإمام مسلم، المصدر السابق، ج4، ص 1990، رقم 5269.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

عَوَانَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعَوِّدُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِي»¹، إن الدين الإسلامي يحث كثيراً على التكافل الاجتماعي بين الناس خاصة الفئة المحتاجة من المجتمع، وفي القيروان كان كثير من أعيانها وأهلها وعلمائها يتعهدون أهل "الدمنة" خاصة بالمناسبات والمواسم والأعياد، ويرفعون إليهم ما يعوزهم من الملابس لتدفئته ومن الأطعمة².

تعتبر هذه الظاهرة إيجابية في المجتمع، لكن عدم وجودها أو قلتها يعني عزوف الناس عن زيارة بعض المرضى لسبب أو لآخر؛ كالخوف من العدوى أو بسبب رائحة من المرض، فيعد هذا من الجوانب السلبية التي تزيد من التعقيدات النفسية للمريض، مما يجعل عملية الشفاء أكثر صعوبة، خاصة أن الشرع الإسلامي حث عليها، والمعروف أن كل ما يحث عليه ديننا الحنيف إلا وله إيجابيات، ومن لا يأخذ به إلا وله سلبيات.

6.1.1. الطرق الاحترازية

إن ظاهرة الوقاية من انتشار الأمراض خاصة المعدية منها ظهرت بصورة واضحة في المجتمع المغربي، فإلى جانب المراكز الصحية اهتمت دول المغرب والأندلس بتشديد حارات للأمراض المعدية خارج العمران، خاصة أمراض الجرب والجذري والجذام³، باعتبارها أكثر الأمراض انتشاراً في البلاد.

لقد بنيت الحارات خارج المدن ويوضع فيها الجذامي، وكان تلميذ الشيخ أبي يعزى من مكناسة نزل حارة الجذماء التي كانت تقع خارج حضرة مراكش وبها مات سنة

¹الإمام البخاري، المصدر السابق، ج7، 115، رقم 5649

²الدباغ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد ت696هـ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد الأحمد أبو النور ومحمد ماضي، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1388هـ/1968م، ج2، ص 235.

³ عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 295.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

583هـ/1144م¹، وفي عهد الناصر الموحدي عندما جدد صور مدينة فاس سنة 601هـ/1505م وسماه الخوخة²، ويسمىها البكري "باب الكسية"³ كانت حارة المرضا بخارج هذا الباب، وذلك ليكون سكناهم تحت مهب الريح الغربية فتحمل الرياح أبخرتهم ولا يصل إلى المدينة شيء منها، ولما توالى المحن من سنة 619-637هـ/1522-1195م وكانت المجاعة العظمى، فإنّ تقلّ الجذاما من خارج باب الخوخة وسكنوا الكهوف التي هي بخارج المدينة، وأقاموا هناك إلى أن ظهرت الدولة المرينية على المغرب⁴ وعندما زار الوزان ربض فاس وجدهم يعدون المجذومين البرصان الذين تظهر على أجسامهم بقع بيضاء وغيرهم من ذوي الأمراض المزمنة.⁵

ورغم أن طرق العزل تعتبر صحيّة، إلا أنّها تزيد من تأزم الأوضاع خاصّة النفسية لدى المجذومين. ففي عهد يعقوب بن عبد الحق المريني كان المجذومون يقومون بغسل ثيابهم وأوانيهم في نهر المدينة بفاس لقربهم منه فأمر أن ينقلوا إلى الكهوف التي هي بخارج المدينة وذلك سنة 658هـ/1260م⁶، في فتاوى البرزلي سئل القابسي عن دمنة ببعض نواحي مدينة يسكنها أصحاب يتوارثون فيها ويتبايعون أملاكها، وبيع بعض هذه الدمنة موضع يسمى "الأحباس" يسكنه أهل الضرر فربما بنى من به ضرر بيتا بهذا الموضع ويموت ويترك أولاداً أصحاب فيقول أهل الضرر: أخرجوا عنا فإنّ ما هو

¹ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 268.

² ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص، ص 40، 41.

³ البكري، المصدر السابق، ص 116.

⁴ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص 41.

⁵ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 278.

⁶ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص 41.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

للأضرء دون غيرهم¹، من خلال هذا، يتضح أن العدوى غير موجودة، فلو كانت لانتقلت إلى الأولاد.

وفي الأرباض التي يسكنها المجذومون نظام يساير الحياة في تلك الفترة، فمثلا ربض فاس يحتوي على مائتي دار تقريبا، ولهم رئيسهم الديني الذي يجمع داخل الأملاك العديدة الموقوفة عليهم لوجه الله من طرف الأعيان وغيرهم من المحسنين، ويقدم إلى هؤلاء المرضى كل ما هو ضروري لهم بحيث لا يحتاجون إلى شيء².

ومن الطرق الاحترازية التي كانت سائدة زمن الشدائد وانتشار الأمراض والأوبئة، ففي سنة 571هـ/ 1176م لما كان الطاعون الشديد في مراكش وأحوازها، كان العامة لا يخرجون من بيوتهم إلا ويكتب الرجل اسمه ونسبه وموضعه في برأة ويجعلها في جيبه، فإن مات حمل إلى أهله³. فقد كانت نسبة النجاة ضئيلة والموت كان وشيك لكل من كان بمراكش وأحوازها.

7.1.1. ظاهرة الموت

يعتبر الموت من الأمور الحتمية في المجتمعات الإنسانية، وتبقى نسبة ارتفاعه أو انخفاضه مرتبطة بمدى تفشي الأمراض والأوبئة وإمكانية المعالجة منها ومدى تطور الرعاية الصحيّة في المجتمع، وبالنظر إلى مجتمع بلاد المغرب الإسلامي نجد أن ظاهرة

¹ البرزلي أبي القاسم بن احمد البلوي التونسي ت 841هـ/ 1438م، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالفتن والأحكام، تح: محمد حبيب الهيلة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م، ج5، ص 414.

² الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 278

³ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 267

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

الموت زادت من حدة النزيف البشري فالمجاعات كانت دائماً ما تعقبها أوبئة التي بدورها تؤدي إلى الفناء؛ ففي تلمسان ارتفعت الوفيات بسبب سوء التغذية وانتشار الأمراض والأوبئة خاصة عند العامة¹، ولم يكن غريباً أن الموت يكون في صفوف العامة أكثر من غيرها² لأن هذه الفئة تكون أقل حظاً من الرعاية الصحيّة، وأقل مؤونة من ما يحتاج إليه الإنسان لتوفير حاجياته الغذائية، ومن بين مظاهر الموت في بلاد المغرب ما يلي:

السنة	الحادث	مصدرها
411هـ/ 1021م	اشتد القحط ببلاد المغرب وكثر الفناء	ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، 118
571هـ/ 1175م	انتهى عدد الأموات في كل يوم مائة إلى مائة وتسعين شخصاً	ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحّدين)، ص 136.
581هـ/ 1185م	ببجاية وصلت حدة الموت إلى درجة أن عجز أهل البلد عن تكفين الموتى وترامى في شوارع المدينة	ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحّدين)، ص 181.
631هـ/ 1234م	في مجاعة مراکش...هلكت أمم لا تحصى	ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحّدين)، ص 326.

¹ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، 243

² ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 100.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

635هـ/1237م	ارتفع عدد القتلى فأكل الناس بعضهم بعضاً وكان يدفن في الحفرة الواحدة المئة ن الناس	ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، 272.
693هـ/1293م	الوباء الذي عرفته كل من مصر وإفريقية والمغرب فقد كان يموت في اليوم الكثير ثم يحملون للاغتسال. وكان الناس يحملون من الموت أربعة وثلاثة على نعش واحد	ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص384.

من خلال هذه النماذج، يمكن القول أن الأمراض التي أدت إلى كثرة الوفيات هي الوبائية منها التي تعقب المجاعات، والتي تحصد الكثير من الأرواح؛ فالموت عندما يكثر في منطقة معينة يفسد الهواء وبالتالي يزيد من حدة الوباء الذي يؤدي إلى إغلاق الأسواق والدكاكين احترازاً من خطر العدوى مما زاد في تفاقم محن العوام فتراجع الاستهلاك جراء ارتفاع وتيرة النزيف البشري¹.

¹ عبد الهادي البياض، أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي في المغرب والأندلس، الرياض، المجلة العربية، 1434هـ/2013م، ص 101.

8.1.1. أثر التحول في نوعية الطعام

أ. الاعتماد على بدائل الخبز من الحنطة والنباتات

شكل الطعام العنصر الأساسي الذي يعيش منه الإنسان والذي هو في حركة دائمة ونشاط دؤوب بغرض التحصيل على الضروريات من العيش ومنه التمتع بصحة وعافية، وهذا عندما تكون الأمور مستقرة والطعام متوفراً، لكن يحدث أن تقل وتتعدم المؤن عند وقوع الأزمات من مجاعات وأمراض وأوبئة ويتحول نمط الغذاء في الاعتماد على سبل أخرى للتغذية، وتعد الطبقات المستضعفة الأكثر عرضة للإصابة بالأمراض وذلك راجع لسلوكهم ونظام غذائهم¹.

قد كان الخبز من المواد الأكثر استهلاكاً في منطقة الغرب الإسلامي زمن الرخاء الاقتصادي وزمن المجاعات والأوبئة². وكان خبز الحنطة المطبوخ ي التتور من أفضل الأنواع³، لكن أمام مشكل الجوع وانتشار الأوبئة ونقص الغذاء سارع بعضهم للبحث عن بديل للخبز وذلك من مواد نباتية تنمو في البراري فكانت الحنطة البديلة تستخلص من النباتات والحشائش التي تزخر بها منطقة المغرب⁴، وقد كان الشيخ أبو المهدي ت (560هـ/ 1165م) عند القحط الشديد يخرج للبحث على النباتات التي اعتمدوا على أكلها زمن المجاعات⁵، كما أن الضرورة والحاجة تدفع بالناس للحصول على غذائهم زمن المجاعات و الأوبئة، وقد دفعت بهم إلى حد بيع ممتلكاتهم ورهنها⁶.

¹ ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، مج 9، ص، ص 47.48

² عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 190

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المرجع السابق، ص 71

⁴ عباس رشيد، النظام الغذائي زمن المجاعات والأوبئة، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 08، المجلد 04، ص 83.

⁵ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 265.

⁶ عباس رشيد، المرجع نفسه، ص 83

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

ومن النباتات التي استعملت زمن الجوع والوباء هو استخلاص الحنطة من شجرة البلوط البرية، وحنطتها ببيضاء، وتضاف إليها ب النباتات قصد تمسك العجين¹، كما كان الشيخ أبو علي الرجراجي² ت (612هـ/ 1216م) يبحث عن سد جوعه بتجفيفه أوراق الشجر ثم يسحقها ليأكلها³، وكان العامة يأكلون الزرع إذا خرج شطاه وهو عندهم مستطرب⁴، وكذلك في تلمسان كانت الجبال المحيطة بها أحد مواطن شجرة الخروب فقد اعتبرها سكان تلك المنطقة كأحد الموارد زمن الشدة⁵، كما تبين النوازل أن العامة قاموا بأكل ما وجد حتى قبل نضج بعض المزروعات فقد كانت النازلة حول من >>اضطر صاحبه لأكل الزرع قبل أو أنه المعلوم والزمن المألوف<<⁶أكل المزروعات قبل أو أنها كان أهون على العامة من التحول إلى أمور أخرى، إن خطر تناول النباتات البرية تحت إكراه الظروف القاسية لا يخلوا من مخاطر السموم التي تحويها تلك النباتات مثل نبات عقار⁷ الذي قتل العديد من الناس زمن المحن⁸

ب. التحول إلى أكل السمك وباقي الحيوانات المكروهة والمحرمة

عند مجاعة 535هـ/ 1141م التي ضربت البلاد بإفريقية توجه البعض من العامة إلى الشيخ أبو حفص الذي ساعدهم وقدم لهم صيد البحر كل يوم واستمر في ذلك حتى

¹ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 215

² أبو علي الرجراجي: هو أبو علي ابن يزرجن الرجراجي تلميذ أبي عبد الله محمد بن ياسين الفقيه تفقه عليه ثم تنسك فانفرد في مغارة إلى أن مات عام 612هـ/ 1105م. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 418.

³ نفسه، ص، ص 418، 419.

⁴ البكري، المصدر السابق، ص 148.

⁵ عباس رشيد، المرجع السابق، ص 84.

⁶ المعيار، ج1، 391.

⁷ نبات العقار: كثيف الأغصان لونه أخضر مائل للصفرة له ثمار مدرجة ينبت في قمم الجبال. ينظر: أبو الخير

الإشبيلي، المصدر السابق، ص، ص 443، 444.

⁸ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 419.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

رفعت الشدة على الناس¹، وفي تونس كان التحول إلى الصيد البحري نتيجة النقص في المواد الغذائية²، كما كان لموقع المغرب الأقصى وامتلاكه لشاطئين مع كثرة الأنهار أثر على تزويد البلاد بثروة سمكية حيث مارست طائفة من السكان مهنة اصطياد الأسماك زمن الرخاء والشدة³، كذلك أكل طائر اللط والكركي الذي تواجد بالقرب من الشواطئ زمن المجاعات والأوبئة⁴، ولقد لجأ الشيخ عبد السلام التونسي⁵ إلى الاستعانة بالحيوانات البرمائية فاتخذ السلاحف غذاء له زمن الشدة⁶.

ولم يجد سكان بلاد المغرب والأندلس سنة 679هـ/ 1280م، و683هـ/ 1284م، و704هـ/ 1303م، عند هجوم الجراد عليهم بدءاً من جمعه بغرض الاستهلاك⁷، رغم أن استهلاك الجراد مضر بالصحة فهو حسب ابن زهر يحرق الدم ويعقب آفات كثيرة⁸.

وحدث أن تحول الناس إلى أكل ماهو مذموم ومحرم من الحيوانات الضارية وغيرها، فقد عرفت أسعارها ارتفاعاً مهولاً زمن المحن، وهذا الارتفاع دليل على تزامن الناس عليه قصد تحصيلها، ومن هذه الحيوانات ما رصدها ابن خلدون <فأثمّان اللحم

¹ عباس رشيد، المرجع السابق، ص 86

² إدريس، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في فترة ق 710هـ/ 1316م، مذكرة دكتوراه، جامعة تلمسان، 1434-1435/2013-2014م، ص 67

³ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 254.

⁴ البكري، المصدر السابق، ص 148.

⁵ عبد السلام التونسي: أصله من تونس وثحب عمه عبد العزيز التونسي بأغامت فلما مات عمه بها نزل تلمسان وبها توفي ودفن بالعباد كان عارفاً للمسائل زاهداً في الدنيا متقشفاً طلياً في الحق مغلظ على الأمراء. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 110.

⁶ ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص، ص 106، 107.

⁷ عبد الهادي البياض، المرجع السابق، 189.

⁸ ابن زهر، التيسير، المصدر السابق، ص 30.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

الجيف من البغال والحمير فالرطل بثمن المتقال، ولرطل من الجلد البقري مئة بثلاثين درهماً، الهر الداجن بمتقال ونصف، والفأر بعشرة دراهم والحية بمثله، والدجاجة بثلاثين درهماً، والبيض الواحدة بستة دراهم...¹. كما أجبر سكان تلمسان على أكل لحم الحيات التي بلغ سعرها عشرة دراهم، وهذا ما فعله أهل برقة الذين هلك منهم خلق كثير حينما تناولوها بسب المجاعة، فعاد عليهم سمها، وأحدث ضرراً كبيراً في الأرواح²، كما أكل أهل سجداسة الكلاب وفعل أهل مدينة قفصة وقسطيلة³ ذلك فقد ذكرهم المقديسي أن بإفريقية مدينتين بهما تباع لحوم الكلاب على القنارات وهما قسطيلية ونفطة⁴، وقد اعتقد أهل المناطق الصحراوية أن أكل الكلاب والذئب خلال كوارث ق 6هـ / 12م يعد مناعة ضد الأمراض المعدية والفتاكة التي تتلو القحوط والمجاعات⁵، ويضيف ابن خلدون صورة أخرى توضح مدى تقبل الناس لأكل ما هو سيء عند الشدة فعندما كان الحصار الذي فرضه يوسف بن يعقوب المريني على تلمسان الذي دام ثماني سنوات وثلاثة أشهر فوقعت الشدة في بني عبد الواد حتى أنهم اضطروا >> إلى أكل الجيف والقطط والفئران حتى أنهم زعموا أنهم أكلوا أشلاء الموتى من الناس<<⁶، لقد كان التحول إلى الأغذية الفاسدة عموماً له تأثير على الصحة مباشرة ويكون المآل هو الموت.

¹ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 7، 128.

² عباس رشيد، المرجع السابق، ص 88.

³ قسطيلة: اسم لعمل البلاد الجريدية وهي بلاد واسعة بها النخيل والزيتون ومن مدنها توزر الحسمة وتقيوس، وأهلها يستطيبيون لحوم الكلاب ويسمنونها في بساتينهم ويطعمونها التمر ويأكلونها. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 480.

⁴ المقدسي، المصدر السابق، ص 243.

⁵ عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 191.

⁶ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 7، 128.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

إن صور التحول إلى مثل هذه الحيوانات والجيف، دليل على انعدام أي مواد قابلة للتغذية، فقد بلغت فاقة الناس واحتياجاتهم حدا كبيرا أشرفوا من خلاله على الموت.

9.1.1. الأثر النفسي للأمراض والأوبئة

لقد ركز الأطباء والمعالجون على الحالة النفسية للمريض، فالعلاج يحتاج إلى أن يكون المريض مستعداً لتلقى مختلف الأدوية، كما كان لبعض الأمراض تأثير كبير على تطور صحة المرضى. لكن يبقى للحضور الديني تأثير على استقرار نفسية المريض، والصبر على مختلف المصائب التي منها الأمراض فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، قُلْتُ: أَنْ ذَاكَ بِأَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ»¹. طبيعة المجتمع في بلاد المغرب أنه مجتمع مسلم له وازع ديني يستند إليه خاصة عند الشدائد، ولا سيما فئة المتصوفة التي آثرت الزهد وحياة الفقر على الحياة الأخرى، فقد حدث أن رفض العلاج من منطلق اعتقاد ديني إما بحثاً عن الجنة أو إثباتاً لقوة الإرادة وصدق التوكل خاصة فئة المتصوفة، لكن يبقى أن الفئة التي ترفض العلاج محدودة²، ومثال على ذلك المتصوف سليمان بن يحيى ت (609هـ / 1212م) الذي يعرف ابن ستهم أصابته أكلة في وجهه، فما عالج قط داءها ولا استعمل دواءها³.

وعندما يكون الارتياح النفسي متوفراً للمريض تكون قابلية الشفاء عالية، حيث في مرض المنصور الموحدي نصحه أطباؤه بالترويح عن نفسه فقصد مدينة فاس⁴، وذلك

¹ الإمام البخاري، المصدر السابق، ج7، ص 115، رقم 5647.

² محمد حقي، المرجع السابق، ص 37.

³ الباديسي، المصدر السابق، ص 118

⁴ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 404

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

للارتياح والهدوء النفسي، وبالحديث عن هذا الخليفة فإن مرضه أورده الهم مما جعله يقول: >>ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي إلا على ثلاث وددت أنني لم أفعلها، أولها: إدخال العرب من إفريقية إلى المغرب الأدنى، أعرف أنهم أصل الفساد، والثانية: بنائي رباط الفتح، أنفقت فيه من بيت المال وهو صعيد لا يعمر، والثالثة: إطلاقي أسرى الأرك، ولا بد أن يطلبوا بثأرهم<<¹، رغم أن مقولة المنصور الموحي تحمل في طياتها العديد من العبر إلا أن المقصود من سردها هو الحالة النفسية التي يمر بها الخليفة أثناء مرضه فقد شعر بالذنب مما قدم عليه من أعمال، فالمرض والشعور بدنو الأجل يجعل الإنسان يحاسب نفسه ويتهمها بالتقصير.

أ. التستر على الأمراض

إن حالة المريض تجعل نفسية متحصرة، فهناك من لا يستطيع أن يبوح بكامل أعراضه المرضية، خشية أن يكون عالة على الناس ويكون محل شفقة، أو خجلاً من بعض الأمراض، وقد ذكر أحد الدارسين نقلاً عن الزموري في أحد أعمال دكالة مرض أحدهم وانتفخت يده ومنتتت حتى أخرجه أهله وقومه من بينهم من شدة ننته²، وابن مساعدة³ كذلك أصابه مرض التشنج وقد ستره عن أعين الناس⁴، وأبو يحيى الورياغلي⁵ المعلم عند تغسيله وجدوا بذراعه أكلة⁶، فقد كان يشكو من هذا المرض مدة ولم يخبر به أحداً حتى زوجته لم تعلم به، وقد كان التستر على الأمراض مشكلاً نفسياً يعاني منه المريض فلا يستطيع أن يخبر به خاصة إذا كان المرض في موضع حساس، فقد نقل أحد

¹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 230

² محمد حقي، المرجع السابق، ص 53.

³ ابن مساعدة: هو أبو يحيى ابن مساعدة اللمطي صاحب أبا العباس السبتي. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 469.

⁴ ابن الزيات التادلي، المرجع السابق، ص 476.

⁵ أبو يحيى الورياغلي: من أهل مدينة سلا وكان بها معلماً للقرآن الكريم. ينظر: نفسه، ص 184.

⁶ نفسه، ص 185.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

الدارسين عن الزموري صاحب كتاب أخبار أهل طيط قال: <<أصابتي علة عظيمة في موضع قد تستر من جسمي وأنا أكره أن يطلع علي أحد إلا الله تعالى، وكنت أعالج منها أمداً عظيماً>>¹.

ب. الانهزام النفسي والاستسلام للمرض

كما نجد صورة من صور التأثير النفسي على المرضى خاصة أنه تتغير ملامحهم الجسمانية للأسوأ قال ابن عذارى عن مجاعة عام 632هـ/1243م: <<واقشعرت الجلود من هَوْل المكابد>>²، وأكد أن المريض تتغير أحواله الصحيّة والجسمانية تغييراً كبيراً، وهي بذلك تؤثر على حالته النفسية، وهذا الجانب يؤدي بالإنسان في الكثير من الأحيان إلى الوحدة ثمّ البكاء على حالته، وعرف عن أحمد المعافري القرطبي³ الذي نزل فاس وكان <<كثير البكاء والنوح على نفسه وقبل وفاته لم يأكل الطعام مدة ستة أيّام وهو ذلك ينتظر موته>>⁴، يمكن القول أن حالته النفسية كانت متأثرة جداً فقد استسلم للموت وقطع الطعام. كذلك يمكن إدراج حالة لأبي عامر ابن الشهيد الأندلسي⁵ الذي طال عليه المرض وتزايد ألمه، حيث غلب عليه الفالج الذي تعرض له في سنة 425هـ/1034م حتى هم بقتل نفسه وقال أبيات في ذلك:

¹ محمد حقي، المرجع السابق، ص 35

² ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص19

³ أحمد المعافري القرطبي: الفقيه الشيخ الصالح قرطي الأصل وزل مدينة فاس، كان كثير البكاء والنوح على نفسه كان يؤم الطلبة في المسجد. ينظر: ابن القاضي، المصدر السابق، ص 154.

⁴ ابن القاضي، المصدر السابق، ص 154.

⁵ أبي عامر بن لشهيد الأندلسي: أبو عامر أحمد أبي مروان عبد الملك بن أبي أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد القرطبي الأندلسي عاش في فترة الدولة العامرية، أصيب بمرض الفالج وتوفي به سنة 425هـ/1034م. ابن الأبار، الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1985م، ج1، ص 238.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

أنوح على نفسي وأندب نبليها إذا أنا في الضراء أزمعت قتلها

رضيت قضاء الله في كل حالة على وأحكاما تيقنت عدلها¹.

ج. صور الصبر وتحمل الأمراض

كما أن الكثير من المصابين بالأمراض كان لهم صبر وتحمل على ما أصابهم، ويرجع منبع هذا الصبر إلى العقيدة الإسلامية فقد جعل من صبر على الطّاعون شهيداً لقوله -ﷺ: «كَانَ عَذَابًا يَنْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، مَا مِنْ عَبْدٍ يَكُونُ فِي بَلَدٍ يَكُونُ فِيهِ، وَيَمْكُثُ فِيهِ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْبَلَدِ، صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ»²

وكان يعقوب يوسف بن علي³ ت 593هـ/1197م بحارة الجذماء التي بجانب الحضرة المراكشية، صابراً راضياً حتى أنه سقط بعض جسده في بعض الأوقات فصنع طعاماً كثيراً للفقراء وشكر الله تعالى على ذلك حتى أنه نظم أبيات قال فيها:

تعودت مس الضر حتى ألفتها وأسلمني طول البلاء إلى الصبر⁴

إن المرض في كثير من الأحيان يحتاج إلى رعاية نفسية، لكن يحدث في أن يزداد ألمه النفسي إذا تعرض للسخرية أو للاستقذار، فعندما كان المتصوف أبي يحيى الجراوي⁵

¹ ابن بسام أبو الحسن علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، (د، ط)، 1418هـ/1997م، ج1، ص 328.

² الإمام البخاري، المصدر السابق، ج8، ص 126، رقم 6619.

³ يعقوب بن يوسف بن علي المبتلى: تلميذ الشيخ أبي عصفور كان بحارة الجذماء وبها مات عام 593هـ/1197م، ودفن خارج باب أغمات عند رابطة الغر وحظر الناس لجنائزته، وكان صابراً راضياً، سقط بعض جسده في بعض الأوقات. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص321.

⁴ ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 312.

⁵ أبي يحيى الجراوي: هو أبو زكريا بن محمد الجراوي من بلاد تادلا، وكان كبير الشأن. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 135.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

الذي كان أقرع يأوي عند رجل صاحب ماشية ونزل عند هذا الأخير أضياف فقام يحي الجراوي بمناولتهم الإناء ليغسلوا أيديهم، فأبى الأضياف ذلك استقذار منه، فألمه ذلك وقال: والله لا خدمت مخلوقاً أبداً ولا خدمت إلا الخالق¹. إنَّ الألم الذي هو تجربة باطنية يستحيل على الآخر أن يتشارك فيه، فهو يجبر على الوحدة والانسحاب من المجتمع الذي يعيش فيه، لكن في نفس الوقت متعايش معه².

2.1. المجال السياسي

1.2.1. علاقة التكافل بين الدولة والعامة

ساهمت الأمراض والأوبئة في وجود علاقة بين السلطة والعامة، حيث كان هناك تكافل من الدولة إلى جموع المحتاجين زمن الشدة، وذلك لعدة مآرب، منها اكتساب الشرعية وإعادة الثقة التي تهتز زمن الضعف، أو تكون المساعدة والقيام بأمر العامة عند زمن الرخاء الاقتصادي قصد تباين مدى قوة الدولة ونجاعة حكامها في تسير أمور المجتمع.

وفي العهد المرابطي سنة 494هـ/ 1101م وصل يوسف بن تاشفين أشياخ القبائل من المصامدة وزناتة وغمارة، فكسا جميعهم ووصلهم بالأموال ثم خرج معهم ليطوف على جميع أعمال المغرب ويتفقد أحوال الرعية وينظر إلى سير ولائهم، فصلح على يديه الكثير من أمور الناس³، لم تكن في هذه الفترة شدة في المجتمع وكان يوسف بن تاشفين بهذا العمل يؤكد على مشروعية الدولة وقوتها وتكافلها مع العامة، وبذلك يرسخ سيرورة

¹ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 136.

² صوفية السحيري، المرجع السابق، ص 286.

³ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 142.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

الدولة وبقائها، كما تثبت وثيقة في جائحة المطر في عهد المرابطين أن الدولة كان لها مساهمة في التخفيف عن المزارعين وغيرهم عند وجود أي جائحة تضرب البلاد¹.

كما تكمن مظاهر التكافل الاقتصادي والاجتماعي والاهتمام بشؤون الرعية في من خلال التدخل في تحديد أسعار السلع الغذائية المرتفعة أثناء حدوث الأزمات، غير أن هذا الإجراء في معظم الأحيان لم يكن فعالاً لأن التجار كانوا غالباً ما يخفون بضاعتهم فترتفع الأسعار وتجبر الدولة عن التراجع عن قرارها²، وقد أورد صاحب الحل الموشية وابن عذاري وابن خلدون أن الدولة كانت تقوم بتخزين وادخار الطعام بطرق أكثر نجاعة، وقد خصصت الدولة قائمين على هذا العمل، كما أغدقوا على ولاية المخازن بقدر ما تشددوا في معاقبة المتهاونين منهم³.

وتظهر صور الاهتمام بالرعية أيام الرخاء ما عهد على بناءه الخليفة المنصور الموحد، حيث بنى سرحاً عظيماً، هو مارستان مراكش، عبر عنه صاحب المعجب بقوله: <<ما أظن أن في الدنيا مثله>>⁴، فكان متنزهها وبناء معمارياً فائقاً وأمر المنصور البنائين بإتقانه على احسن الوجوه، فأتقنوه وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار... وأجرى فيه مياهها كثيرة تدور على جميع البيوت⁵، كما ذهب المنصور إلى أبعد من ذلك، حيث أقدم أمراً بأن يصرف للفقير عند خروجه بمال يعيش به ريثما يشفى⁶،

¹ عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1997م، ص، ص455، 456.

² إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، المرجع السابق، ص 211.

³ عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 203.

⁴ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 190.

⁵ نفسه، ص 190

⁶ نفسه، ص 190.2

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

وكذلك في عهد أبو تاشفين الزياني¹ كان زمن الشدة يقوم بضم الفقراء والمساكين للمرضى >>في بيمارستانات ويأتيهم فيها رزقهم بكرة وعشية شتاء السنة<<². فبناءً على هذه الـبيمارستانات هو محاولة الدولة التحكم في العنصر البشري وتقديم المساعدات خاصة في المجال الصحي، كما أن الدولة عند بناءها مثل هذه المراكز دليل على حضورها الفعال في المجتمع وتحكمها في تسير الشؤون العامة، عكس فترة الضعف التي لا تظهر فيها صور التشييد والاهتمام بالعنصر البشري، وقد تصل إلى أن الأماكن المشيدة سابقاً يصيبها الانتكاس.

وفي مجاعة سنة 616هـ/ 1219م أعطى الخليفة يوسف المستنصر الموحي أمره بفتح المخازن المعدة لاختزان الطعام، ففتحت للعمامة وفرقت عليهم، فذكر أنها كانت بئس للأقوياء وبغير ثمن للضعفاء³، قد كانت الدولة تقدم على توزيع محتويات مخازنها مجاناً على المستضعفين والجياع، وهي بذلك تقوم بدورين ترابطيين فمن جهة تخفف من بؤس السكان، ومن جهة أخرى تحول دون القيام باضطرابات قد تهدد مشروعيتها⁴.

وفي عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب⁵ أمر بالصدقات أيام الشدة، يمر بها الثقات على حارات المدينة فيعطونها أهل التستر والبيوتات، وذوي الفاقات والحاجات فكانوا يأخذونها من دينار ذهباً إلى ربع دينار⁶.

¹ دخل في صراع مع أبيه السلطان أبو حمو بن يوسف الزياني على تلمسان عام 788هـ/ 1386م فتحالف مع أبي العباس المريني وقتل أباه وبعث برأسه إليه، وكان يخطب له ويبعث بالضريبة كل سنة توفي 795هـ/ 1199م. السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص152.

² ابن خلدون أبو زكريا يحيى بن محمد الحضرمي الاشبيلي ت 780هـ/ 1378م، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: ألفرد بال، الجزائر، مطبعة فونطانة، (د، ط)، 1328هـ/ 1710م، ج2، ص326.

³ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 267.

⁴ بولقطيب الحسين، المرجع السابق، ص، ص 69، 70.

⁵ أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني 675-731هـ/ 1276-1331م: لقبه السعيد بفضل الله من ملوك الدولة المرينية ولي بعد وفاة أخيه سليمان ابن عبد الله سنة 710هـ/ 1310م بناحية تازا. الزركلي، المرجع السابق، ص 215.

⁶ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 401.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

وعندما كانت مجاعة سنة 693هـ/1294م، وعظم الوباء وكثر الموت، أمر السلطان أبا سعيد عثمان (بتبديل الصيعان وجمعها على مد النبي ﷺ)¹. كما امتد التكافل بين السلطة والمجتمع في الفترات اللاحقة، ففي عهد السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني²، عندما كانت مجاعة عام 776هـ/1373م وعم الغلاء أمر السلطان بالتكفل بالضعفاء والمساكين، وضمهم إلى بيمارستانات المدينة وقدم الطعام لهم. ثم فتح للرعية أهراء الزرع ومخازنه، وكان أبو حمو موسى حريصاً على تخزين المؤن تحسباً لمثل هذه الظروف وكان يحث الناس على الاقتصاد وتخزين المؤن³.

لقد قامت السلطة بمرافقة العامة أيام الشدة وعند انتشار الأمراض والأوبئة، لكن هذه المرافقة تختلف حسب عمر قوة الدولة؛ فالدولة أيام عنفوانها تقدم خدمات جليلة للسكان مثلما قدم عليه المنصور الموحدي بتشييد أكبر بيمارستان في البلاد؛ أما عندما تكون تحتضر فمساعداة الدولة تكون في أغلب الأحيان غير مجدية، فنجدها تتدخل لتحديد الأسعار لكن لم تفلح في ذلك ولم تستطع تحديدها.

2/ انعكاس الأمراض والأوبئة على المجال الاقتصادي والثقافي

1.2. المجال الاقتصادي

¹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 384

² أبو حمو موسى الثاني 723-791هـ/1323-1389م: هو موسى الثاني بن يوسف بن أبي يعقوب بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان (العبد الوادي) في تلمسان، ولد في غرناطة وكان أبوه مبعدا فيها نشأ ذكيا فطنا أدبيا. ينظر: الزركلي، المرجع نفسه، ص 231.

³ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 255.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

1.1.2. لمحة عن المقومات الزراعية والصناعية والتجارية لبلاد المغرب الإسلامي

قبل أن نشير إلى أثر الأمراض على الجانب الاقتصادي يمكن أن نقدم لمحة وجيزة عن الأحوال الاقتصادية في البلاد، قبل حدوث الأزمات، التي من بينها الأمراض والأوبئة.

يعد الازدهار أو الانكماش الاقتصادي الوتر الذي تتحدد فيه حياة الناس في المجتمع؛ فالاقتصاد له علاقة وثيقة بالأوضاع المعاشية من وفرة أو انعدام ضروريات الحياة، وعندما تنتعش الزراعة والصناعة والتجارة تكون الرفاهية في المجتمع ما جعل صاحب القرطاس يعبر عن الأوضاع السائدة في العهد المرابطي <حوكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية... ولم يكن في عمل من بلادهم خراج ولا معونة لا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشر، وكثرت الخيرات>>¹. إن الرخاء الاقتصادي يمكن لحياة أفضل يمكن من خلالها الاهتمام بمختلف المجالات الأخرى.

ويمكن رصد مقومات الاقتصاد في بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة ما بين القرنين ق5-7هـ/11-13م. وعند نقصها أو انعدامها في بعض الفترات، يمكن ملاحظة أثارها السلبية على المجتمع، وكيف مكن هذا الانكماش الاقتصادي من زيادة الأزمة واتساع الأمراض والأوبئة في البلاد.

أ. الزراعة

لقد أشارت المادّة التاريخية إلى تمتع كثير من المدن المغربية بزراعة النباتات المختلفة، فقد تقدمت الزراعة بالمنطقة خلال عهد المرابطين وحتى حكم الناصر الموحي وزاد الإنتاج الزراعي، وشهدت البلاد وفرة في المحصولات، وقد تضافرت عدت عوامل

¹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 167

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

في ازدهارها منها: توفر الإمكانيات الطبيّية التي تتمتع بها المنطقة، ويضاف إليها القوى البشرية التي تعمل في المجال الزراعي، ثمّ اهتمام ولاية الأمر بقيام الزراعة ونجاحها.¹

ب. الصّناعة

الصّناعة من الجوانب الاقتصادية التي تتطور وتعرف ازدهاراً بوجود مختلف الإمكانيات التي تساعد فيها بروزها وانتعاشها، وفي العهد المرابطي أولى المغاربة اهتماماً بالغاً بالصناعات، خاصة أهل مراكش. فقد ظهرت فيها حرف ومهن متنوعة²، ومن بين الاهتمامات الصناعية في العهد المرابطي، هو العتاد العسكريّ وبعض الحرف الأخرى الخاصة بالعتاد الفلاحي، فإنّ تعشت معظم الصناعات الأساسية³

وقد لعبت الصّناعة دوراً أساسياً في ازدهار الحياة الاقتصادية في المغرب الأقصى منذ أن تأسست على أرضه دولة المرابطين وحتى نهاية حكم الناصر الموحدي، وذلك لاستقرار الأوضاع، وتوفر البلاد على المواد الخام التي تقوم عليها الصّناعة مع وجود الخبرات الحرفية، وقد نشطت صناعة السفن والزجاج والنسيج وأدوات النحاس والحديد، وازدهرت الصناعات المعتمدة على الحيوانات كالجلود واستخدام جلود الأغنام في صناعة الملابس الصوفية⁴، وفي العهد الزياني، خاصة في فترة أبي حمو موسى الثاني سمحت الدّولة بإدخال عناصر غير محلية قصد القيام بالحرف والصناعات، وكانت دار الصّناعة تستقطب الصناع على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وديانتهم⁵.

¹ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 250، 253.

² الحميري، المصدر السابق، ص 541.

³ عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص، ص 73، 74.

⁴ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص، ص 257، 260.

⁵ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، مطبعو بيبير بونطانا، (د،ط)، 1903م، ص

ج. التجارة

تعتبر التجارة من أهم الركائز الاقتصادية للدول فبازدهارها تنتعش حركة تبادل السلع المختلفة من خارج وداخل المدن، وإذا قعد التجار عن التجارة ذهبت الجباية جملة¹ وعند نقصها أو انعدامها، تتأثر مداخل الدولة فلا تستطيع توفير الاحتياجات الضرورية. وعند قبض التجار لنشاطهم، تتأثر السلع ويظهر الغلاء، كما أن الغلاء والرخاء من الظواهر التي مازالت تتعاقب في عالم الكون والفساد منذ أن برأ الله الخليفة في سائر الأقطار وجميع البلدان².

تقدم الجانب التجاري في البلاد نتيجة ازدهار الزراعة فتنوع المحاصيل ونشاط الحركة الصناعية أدى إلى توع البائع مع ما يرد إلى السوق م منتجات خارجية، كما شجع ولاية الأمر التجارة لما فيها من أرباح وفوائد على الدولة والمجتمع، فقاموا بإسقاط الضرائب على البضائع ووجود الأموال مما نشط من حركة البيع والشراء³

2.1.2. انعكاس تأثير الأمراض والأوبئة على الزراعة والصناعة والتجارة

يكشف لنا ابن أبي زرع الفاسي عن الأوراش الحرفية المتنوعة في فاس وازدهارها زمن الخليفة يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر، ثم يرصد لنا هذه الحرف ومدى الدمار الذي لحق بها إبان الأزمات التي كانت زمن العادل الموحي(621-624هـ/1224-1227م)، وأخيه المأمون (629-624هـ/ 1227-1232م)، ثم الرشيد(640-630هـ/1233-1243م)⁴. ففي فترة المنصور الموحي، أمر أن يدخل

¹ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 494.

² المقرئزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، ط1، 1427هـ/2007م، ص 185.

³ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 267.

⁴ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 58، 59.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم¹ الدولة في فترة القوة تلم وتحاول الإحاطة بكل مجريات الحياة، أمّا في فترة الضعف فتتحوّل الاهتمامات على الجوانب العسكرية والسياسية دون غيرها من الجوانب الأخرى، وفي فترة الغلاء تشتد الاضطرابات وتنعج فيها المكوس والضرائب والاحتكار الذي يساهم في غلاء الأسعار.²

وبارتقاء سلسلة الكوارث الطبيعية ارتفاعاً مهولاً، أثرت في أسعار المنتجات الحرفية، وكانت انعكاساتها أعمق في صفوف الحرفين والصناع الذين أصبحوا عرضة للنوائب والمجاعات، حيث اندثرت بعض الصنائع³ بموت أعلامها، وتشردت أسر ارتبط دخلها بالحرف. كما أن الأسواق الدائمة والحوانيت والأوراش الحرفية تعرضت إلى الكساد والتراجع زمن الأوبئة، مما أثر على انكماش الحرف وتعطيل الحركة التجارية⁴.

وعند الكوارث والأزمات كالأزمات والأوبئة، فإنها تؤثر تأثيراً بليغاً على الحياة الصناعية، وقد تسببت مجاعة عام 628هـ/ 1231م، في تراجع الكثير من الصناعات، كصناعة الجلود والنسيج وطحن الحبوب وغيرها⁵، كما نتج عن الوباء الذي تفشى سنة 749-753هـ/ 1348-1352م في عهد السلطان الزياني أبو سعيد عثمان⁶ أن <<أغلقت دار الصناعة لعدم الصناع>>⁷، فقد أدى الوباء إلى وفات العديد من الناس،

¹ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 168

² إبراهيم القادري بونشيش، مباحث، المرجع السابق، ص 210

³ عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص، ص 74، 75.

⁴ نفسه، ص 75.

⁵ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 223.

⁶ أبو عيد عثمان الزياني 639-703هـ/ 1241-1331م : عثمان بن يغمراسن بن زيان أبو سعيد من بني عبد الواد: صاحب تلمسان ولما بعد وفاة أبيه سنة 681هـ/ 1282م، وبدأ بإخضاع بعض البلاد الخارجة عن نطاق دولته. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 215.

⁷ ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، تح: دار الكتب المصرية، (د، ط)، 1966، ص

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

وكانت انعكاساتها أعمق في صفوف الحرفين والصناع الذين أضحوا عرضة للنوائب بحيث اندثرت بعض الصنائع بموت أعلامها وتشردت أسر ارتبط دخلها بالبضائع الحرفية.¹

لقد ألقت الأمراض الأوبئة بنكباتها على كساد التجارة بالعدوتين خلال الفترة التي تفشت فيها الأمراض والأوبئة، فضعفت العلاقات التجارية داخل المدن والبوادي وانقطعت السبل وقل تنقل التجار خوفاً من العدوى،² حيث أدى طاعون 517هـ / 1176م إلى أثار وخيمة على التجار بالعدوتين، فإن عكست تجليات ذلك على المنتجين والمستهلكين والتجار، وينقل الهادي البياض عن ابن الأحمر في تلك الحادثة كثرت المحن في العدوتين وانقطع السفر والأسباب³، وكذلك عندما استفحل الوباء لمدة سنة كاملة سنة 571هـ / 1176م تعرضت أسواق مدينة فاس لحرائق التهمت كل بضائع التجار المعروضة والمدخرة فزاد من حدة الأزمة على العامة وأثر على الحركة التجارية بها، وعندما كان الجوع والوباء سنة 624-625هـ / 1227-1228م، بيع قفير القمح بخمسة عشر ديناراً⁴ ثم لما اشتد الوباء والجوع سنة 630هـ / 1233م صعب على الناس اقتناء احتياجاتهم الضرورية للعيش فقط ووصل وسق القمح إلى 30 دينار،⁵ فالوباء من أسبابه الغلاء في كل السلع الضرورية، وقد يكون من نتائج الغلاء كذلك استفحال الوباء فابن هيدور يقول نقلاً عن عبد الهادي البياض: >> إذا كان الغلاء وطال لزم عنه الوباء وهذا علم صحيح<<⁶، إن الأوبئة تستفحل مع المجاعات، وتنتعش في أوقات غلاء الأسعار،

¹ عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص، ص 74، 75

² نفسه، ص 104

³ نفسه، ص 105

⁴ ابن أبي زرع الفاسي المصدر السابق، ص 359

⁵ نفسه، ص 276.

⁶ عبد الهادي البياض، المرجع نفسه، ص 124.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

وتدهور الوضع الصحي ينتج عن سوء التغذية في أوقات ما تكون الدول عادة ما تحتضر¹.

لقد ساهمت الكوارث الطبيعية والأوبئة بنصيب وافر في اضمحلال التجارة من خلال قلة المواد والسلع، وارتفاع النزيف البشري في صفوف التجار، فضلاً عما ترتب على هذه الأوضاع من سلوكيات الاحتكار والادخار، وغلاء الأسعار واختلال التوازن الغذائي²، وكثرت أعمال النهب وقطع السبلة واختل الوضع الأمني فتخوف التجار وأغلقت دكاكينهم مما زاد في حدة الغلاء³.

عرف اقتصاد بلاد المغرب خلال الفترة المدروسة نشاطاً وازدهاراً في الجوانب الزراعية والصناعية والتجارية، وكان هذا الانتعاش عند بداية التأسيس لكل من الدول التي تعاقبت على البلاد خلال فترة ق 5-7هـ / 11-13م، لكن هذا الانتعاش تتخلله فترات من الشدة وانتشار الأوبئة، وزادت من حدة الأزمة خاصة عندما تكون الدولة في المرحلة الأخيرة التي تتوفر على كل سبل السقوط فازدادت الأمراض والأوبئة وقوض النشاط الاقتصادي لاستفحال الشدة والظاهرة المرضية في البلاد.

2.2. المجال الثقافي

يعد التطور في مجال الخدمات الطبية من العوامل الإيجابية في فترة العصر الوسيط، ولقد تعرضت في الفصل الثاني إلى سبل وطرق العلاج التي كانت متبعة خاصة في فترة، وما يعد إيجابياً كذلك هو الابتكارات التي أحدثها المسلمون في المجال الطبي، وكيف تم الاستفادة منها من طرف الأوروبيون بمعنى أن الحضارة الإسلامية قد

¹ عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 124.

² عبد الهادي البياض، أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي، المرجع السابق، ص، ص 90، 91

³ نفسه، ص 117.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

ساهمت بشكل كبير فيما وصل إليه الطبّ المعاصر-وسأعرض إلى هذا في العنوان الثاني.

لكن قد تكون جوانب سلبية تتعلق بالمجال الثقافي في الجوانب الطبية، ومنها:

1.2.2. المفسدين في الصناعة الطبيّة

يعتبر التحصيل العلميّ أو المعرفي في الصناعة الطبيّة واجباً تقتضيه الحاجة لأن علاج المريض له نتائج. فصحة الإنسان على المحك، لكن كان من يدعي المعرفة الطبيّة ويلج إلى فئة الأطباء دون معرفة، وينتحل بذلك صناعة الطبّ، فليس كل من امتنن الطبّ له دراية ومعرفة بالأصول الطبيّة. وقد تحدث العقباني عن المفسدين في الصناعة الطبيّة قال فيهم: <>وهي صناعة لها مراتب من الحيل والتخيل وإيهام العقول تنقسم على وجوه كثيرة من بعضها الطبّ وأنواع العلاج...يتوصلون بها إلى أكل الأموال وارتكاب الفواحش...ويدخلون الوهم والعلل على صحاح الأجسام>>¹. قد كان ادعاء وممارسة الصناعة الطبيّة قصد التحصيل على المال دون الاهتمام بالصحة العامة، وقد كانت مثل هذه التصرفات سبباً في حدوث الأمراض والعلل، حيث كان علاج هؤلاء سبباً في حدوث عاهة أو أمراض أخرى تؤدي إلى الموت وذلك راجع للأخطاء الطبيّة التي عولج بها المريض <حوالطبيب إذا عالج المريض، فسقاه فمات من سقيه. أو كيه فمات من، أو قطع منه شيئاً، فمات من قطعه...فيكون عليهم الضمان في أموالهم>>²، وقد كان الحث على تتبع هذه الفئات الذين يدعون المعرفة الطبيّة وقمعهم، ومن ثبت أنه اقتحم الطبّ بغير استحقاق فقتل أحداً أو أتلّف له عضواً على غير منهاج الطبّ فهو معتد يجب ضربه وسجنه ولزوم الدية³، لقد كان لهذه الفئة من المفسدين في الطبّ نتائج سيئة على مستوى

¹ العقباني محمد التلمساني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، مجلة bulletin

d'étude orientales، العدد 19، 1966، 255.

² العقباني، المصدر السابق، ص 254

³ نفسه، ص 255

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

الصحة العامة، وقد أثره على الجوانب العلمية خاصة إذا كان منهم من يقوم للتدريس وتعليم الطب.

لقد أثرت سلسلة الأمراض والأوبئة على الحياة الثقافية لمجتمع بلاد المغرب الإسلامي من خلال القضاء على الكثير من العلماء والفقهاء الذين كان لم باع في العلم وتلقينه للطلبة، كما أنه ظهرت فئة دخيلة على الحياة الطبية توهموا الناس بالمعرفة الطبية وكان غرضها كسب المال بدون مراعاة الجوانب الصحية للمرضى مما زاد في حدة الحوادث الطبية.

2.2.2. وفاة العلماء والفقهاء

لقد شكلت الأزمات المختلفة والمتكررة هاجساً أمام النسيج السكاني لمجتمع بلاد المغرب، فالأمراض والأوبئة تؤدي بحياة الكثير من الناس وكان من بينهم فئة العلماء والمفكرين¹ الذين يورثون مختلف العلوم للطلبة، الكل حسب اختصاصه وبموت هؤلاء يتأثر هذا الجانب، عند الوباء الذي كان في سنة 750هـ/ 1349م ففي هذه السنة توفي الكثير من الفقهاء². كما سمي بالطاعون الجارف حيث قال فيه ابن خلدون ذهب بأهل الجيل³ رغم أن الطاعون كان في القرن 8هـ/ 14م إلا أنه يعطينا صورة لما آل إليه الوضع السكاني من وفاة الكثير من العلماء والفقهاء. ويؤكد هذا القول في موضع آخر بقوله: >ولم أزل منذ نشأت وناهزت، مكباً على تحصيل العلم حريصاً على اقتناء الفضائل منتقلاً بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن جاء الطاعون الجارف وذهب بالأعيان

¹ كرمي ماجدة، قراءة المدينة الموحدية والمرينية من خلال أزمة المجاعات والأوبئة، الأيام الوطنية العاشرة (المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب)، الجديدة المغرب، دار المنظومة، 2002م، ص 116.

² ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 354

³ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 33

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

والصدور وجميع المشيخة¹، كما يذكره ابن عذاري >فمات من طبقات الناس وأهل العلم والتجار والنساء والصبيان مالا يحصى عددهم إلا خالقهم>²، لقد راح ضحية الأمراض الأوبئة الكثير من العلماء والفقهاء.

كما أن بعض الأدعية والصلوات أثارت نقاشاً حاداً وجدلاً بين الفقهاء حول مشروعيتها خاصة أن بعضها استحدث زمن كثرة الطوائع ولا يستند إلى تراث العصر الإسلامي الأول، ومن ذلك، الصلاة الجماعية، والخروج إلى الصحراء للدعاء يرفع الطاعون. وقد رفض الفقهاء هذه الصلاة لكونها بدعة، وذلك خصوصاً عندما لاحظوا أن التجمع للصلاة كثيراً ما ينتج عنه انتقال المرض من المرضى إلى الأصحاء³.

3.2.2. العمران والمدينة

يعتبر العمران الوجه المشرق لمدى التحضر والرقى الذي تبغّه الدولة في حياتها ووجود عمران حضاري راق له دلالة على انتعاش الدولة وازدهارها، كما يعكس تدهوره انحطاط الدولة ودخولها في مراحل الضعف والانحيار.

كما أنّ اختيار مواقع المدن له علاقة بالصحة العامة فالعوامل الجغرافية تلعب دوراً هاماً في توجيه النسيج العمراني للمدينة وفي طبيعتها الموقع المرتفع الذي يعد الأصلح للتعمير فهو يمنع على ساكني تلك المدينة انتشار الأمراض والأوبئة لطيب الهواء فيها خصوصاً إذا كثر الساكن بها⁴، وموقع المدينة له تأثير هام على المجال الصحي.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، تح: محمد بن تاوويت الطنجي، ط1، 1425هـ / 2004م، بيروت، دار الكتب العلمية، ص، ص 64، 65

² ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص، ص 256، 257.

³ أحمد السعداوي، المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون (الطاعون الأعظم والطوائع التي تلتها في القرنين 89هـ / 1415م)، Revue de l'institut des ibellesletiresa Arabes، رقم 175، ج58، ص 137.

⁴ بوقاعة البشير، التأثير الحضاري الأندلسي على فن العمارة الإسلامية بالجزائر الحقائق والمنتزهات أنموذج، دراسات تراثية، جامعة الأمين دباغين سطيف، المجلد 7، العدد 1، ص 191

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

وعندما تنتعش الحركة بالمدينة بوجود الدعامّة البشرية وتزدهر الحياة فيها تشهد هذه الأخيرة هجرات لخبرات مختلفة؛ ففي عهد المرابطين استفاد ولّاءة لأمر من خبرات أهل الأندلس في الصنّاعة وعلى نفس السياق سار عليه الموحدون¹، كما أنّه بوجود التكتّاف السكّاني يؤدي إلى تفشي الأوبئة بشكل أكثر وأسرع² على غرار المدن التي يقل فيها السكّان وبذلك تتأثر الحركة العمرانية بتأثر مختلف الجوانب.

وعند حدوث الأزمات، يقل النسيج السكّاني في المدينة، ففي مجاعة تلمسان سنة 698هـ/ 1299م كان عدد السكّان 12 ألف نسمة وبعد تأثير المجاعة وانتشار الوباء المؤدي إلى الموت قل عدد السكّان بكثير³، كما أنّه يكثر التشاؤم والحزن والخوف مما يترتب عليه تفشي العديد من الصفات القبيحة بالمدينة كالاغتداء على ممتلكات الغير وتفشي ظاهرة التسول وغيرها من الصفات غير الحضارية⁴.

كما يرجع سبب انحطاط العمران زمن الأمراض والأوبئة خاصّة إذا طال أمد الأوبئة هو فئة الحرفيين في المجال المعماري، فقد تكون يد عاملة ضعيفة في حرفة البناء ربما يكون همها جمع المال دون الاهتمام بالإتقان؛ كما حدث بفاس عندما حلت المجاعات والأمراض وأشرف حائط جامع القرويين على السقوط والانكفاء، ولم يكن لأحد في ذلك الوقت قدرة على بنائه، فبقي كذلك إلى غاية سنة 682هـ/ 1254م،⁵ قد شاهد بين خلدون أثر الأوبئة على العمران والمدينة عندما حل الطّاعون الجارف في القرن 8هـ/ 14م

¹ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 261.

² كريمي ماجدة، المرجع السابق، ص 115

³ Brosslard (ch). Les inscriptions Arabe de Tlemcen. Revue a Frice. N: 14.3 eme. Année 1859. Alger. P83

⁴ كريمي ماجدة، المرجع نفسه، ص 156.

⁵ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 83

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

(انتقص عمران الأرض... ودرست السبل والمعالم وخلت الديار)¹ وهذا حال العمران و الديار عند حدوث الأمراض والأوبئة.

لقد أحدثت الأمراض والأوبئة نكسة في كل ميادين الحياة، وساهمت في بروز ظواهر غير حضارية. كما أضرت بالاقتصاد الذي يعد وتر الحياة المعيشية، وكبحت من التطور الحضاري في المجتمع، وأحدثت خسائر فادحة في الأرواح، ثم أضعفت من مستوى النشاط في المدينة وسببت الخراب للعمران.

ثانياً: التطور الطبّي في بلاد المغرب وأثره على الطبّ في أوروبا

اهتم العرب في فترة ازدهار الدولة الإسلامية بنشر الثقافة الطبيّة وتطويرها، وذلك بترجمة التراث الطبّي اليوناني، وتأسيس البيمارستانات والمدارس الطبيّة لتخريج الأطباء وعلاج المرضى. ولم تلبث المدارس الطبيّة أن انتشرت في جميع أرجاء الدولة الإسلامية، وحقق المسلمون بصناعة الطبّ ومرتّبوا عليها وبرعوا في تشخيص الأمراض، واعتمدوا على علاج المرض على ما اكتسبوه من تجارب، وما وجد في المؤلفات الطبيّة وفي الأدوية والعقاقير². وقد كانت الدولة الإسلامية في تلك الفترة تشكل المنارة العلميّة في مختلف الجوانب الحضارية على عكس أوروبا التي كانت تعيش في عصر الظلمات ولم يكن للمعرفة الطبيّة فيها تطور وبرز، فكان الاعتماد على ما وصل إليه المسلمون من تطور طبي ومعرفة علمية عبر طرق التأثير الحضاري الإسلامي إلى أوروبا.

¹ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 33

² العكاوي رحاب لخضر، المرجع السابق، ص 232.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

1.2. طرق التأثير العلمي في المجال الطبي للمسلمين على أوروبا

1.1.2. نماذج من الطب الأوربي

إن الوقت الذي كانت فيه البلاد الإسلامية تمثل المشعل الفكري الذي ينشر النور فيما حوله علماً ومعرفة، كانت أوروبا تعيش في حالة من الجهل والتخلف، كما قال أستاذ العلاقات الأجنبية بجامعة برنتون في محاضرة ألقاها في مؤتمر الثقافة الإسلامية في واشنطن عام 1953م تحت عنوان "أثر الإسلام الثقافي في المسيحية >>وبعد هذا عرض تاريخي للدين الثقافي الذي ندين به للإسلام، منذ كنا نحن المسيحيين نسافر إلى العواصم الإسلامية، وإلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم العلوم والفنون وفلسفة الحياة<<¹، إن البلاد الإسلامية كانت تتنافس فيها المدن والعواصم في التحصيل العلمي خلال الفترة الوسيطة وقد شكلت هذه الأخيرة منارة علمية تشد إليها الرحال.

كما حاول رجال الدين في الكنيسة حشر الروح الدينية في وصفات الأطباء أثناء العلاج، وقد كانوا يرون أن تطبيق الطقوس الروحية جزء مهم إلى جانب الأدوية لشفاء المريض، أما العلاج الطبي الحقيقي فلم يكن يتعدى تناول نقيعاً من بعض النباتات والحجامة التي لا تعتمد في تطبيقها إلى أي معلومات تشريحية².

شكل التطور الحضاري الإسلامي في الفترة الوسيطة مرحلة هامة في تاريخ الصليبيين، حيث كان الاحتكاك بالحضارة والنقل منها خاصة في المجال الطبي، وتقدم لنا المادة التاريخية نموذجاً من الطب الأوربي في تلك الفترة.

يذكر أسامة بن منقذ صاحب "الاعتبار" نماذج من الطب الأوربي أثناء فترة الحروب الصليبية لما أرسل عمه طبيباً مسلماً إلى أمير الفرنجة، وعند عودته قال الطبيب

¹ أحمد علي الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، ط2، 1401هـ/1981م، ص، ص 117، 118.

² عبد الفتاح سعيد عاشوري، أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، (د، ط)، 1986م، ص 03.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

المسلم: أحضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله دمّة، وامرأة قد لحقها نشاف، ففتحت للفارس الدمّة وصلحت فيها، وحميت المرأة ورطبت مزاجها، فجاءهم طبيب إفرنجي، فقال: ما هذا يعرف شيئاً، فقال للفارس: أيما أحب إليك؛ تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين؟ قال: أعيش برجل واحد! قال: أحضروا إلي فأساً قاطعاً وفارساً قوياً، فضربه ضربة واحدة ما انقطعت، ضربه ضربة ثانية فسال مخ الساق ومات من ساعته. وأبصر المرأة فقال: هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها، حلقوا شعرها، فحلقوه وعادت تأكل من مأكلمهم: الثوم والخردل فزاد بها النشاف، فقال: الشيطان قد دخل في رأسها فأخذ وشق رأسها وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس! وحكه بالملح فماتت من وقتها¹.

وهذه حالة من الحالات المتعددة لأحوال الطبّ عند الأوربيين الذين كانوا يستندون على الأساطير، وزاد من حدة التخلف الطبي رجال الكنيسة في الشؤون الصحيّة الذين لا يعتمدون على الجوانب العلميّة القائمة على تحصيل المعرفة الطبيّة من الكتب والتجارب العلميّة السابقة.

2.1.2. طرق انتقال العلوم الطبيّة إلى أوروبا

تعددت مراكز التأثير الحضاري للمسلمين على الأوربيين، وهذه المراكز هي مواقع الاحتكاك بينهما، وقد كانت مدرسة ساليرنو² الطبيّة في إيطاليا حتى القرن الثاني عشر للميلاد متأثرة بالثقافة العربية، وكانت أم الجامعات الأوربية تستوفد الأساتذة العرب للتدريس فيها خلال حكمهم في الأندلس، عندما كانت الكنيسة تحرم على الأوربيين

¹ أسامة بن منقذ الكنانى الشيرازي، الاعتبار مذكرات أسامة بن منقذ في الحروب الصليبية مع ملحقها من أخبار الصالحين ومشاهد الصيد والقتل، تع: عبد الكريم الأشقر، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1424هـ/2003م، ص، ص 220، 221.

² مدرسة ساليرنو: تقع في جنوب إيطاليا وكانت مركزاً لتدريس الطب العربي لثلاثمائة سنة، وكانت ذات صلة قوية بصقلية برزت سنة 374هـ/985م. ينظر: نهاد عباس زينل، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى، 92897هـ/7111492م، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، ص 400.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

احتراف مهنة الطب¹، وقد انتقل الطبّ العربي إلى أوروبا عن طريق الأندلس وشمال إفريقيا وصقلية ومن مصر وبلاد الشام في فترة الحروب الصليبية²، وخلال العهد الحفصي بإفريقيا تفوقت في الميدان الطبّي على أوروبا، ووصلت نقل العلوم الطبيّة العربية إليها³، وقد قال المؤرخ جوليوس هيرشبيرج في موسوعته "تاريخ طب العيون" لقد أنجزت العرب في الطبّ خلال أربعمئة ما لم يستطع الإغريق إنجازَه في ألف عام، وأن الأوربيون حتى القرن 18م لم يستطيعوا أن يؤلفوا في طب العيون كتاباً يوازي كتاب "تذكرة الكحالين"⁴، كما يذهب أحد العاملين في الدّراسات الإحصائية إلى أن عدد الإشارات في المؤلفات الأوربية القديمة المعتمدة إلى مراجعها يدلّ على أن التأثير العربي كان أقوى بكثير من التأثير اليوناني، ففي مؤلفات داج رادو فتراري مثلاً ذكر ابن سينا أكثر من ثلاثة آلاف مرة وذكر الرازي وجالينوس ألف مرة وبقرط مئة مرة⁵، ولقد اتفق الباحثون على أن الحضارة الإسلامية كان لها أثر بالغ في الحضارة الأوربية، وقد أشعت هذه الحضارة ونشرت أضواءها على أوروبا بطرق كثيرة منها:

أ- طريق الأندلس:

وذلك لوجود جامعات زاهرة قصدها طلاب العلم من أوروبا، وانتفع الأوربيون بدور الكتب الكثيرة التي كانت منتشرة في إسبانيا⁶، وقد نقل الأوربيون بعض العادات الصحيّة

¹ حسين أحمد عبد الحميد، الدور الإنساني للحضارات العربية ومواقع التزويد في التاريخ العربي، دار عشتروت للنشر، ط1، 1996م، ص 213.

² أعمال ندوة، التأليف والترجمة في الحضارة العربية، عمان، دار ناشر للنشر الإلكتروني، ط1، 2013م، ص، 52

³ Danielle Jacquard et Françoise Micheau. La Médecine Arabe et l'occident Médical Maison neuve et la rose. 1990. p107.

⁴ أعمال ندوة، المرجع السابق، ص، 51، 52.

⁵ مونتجومري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، تر: حسين أحمد أمين، القاهرة، (د، م)، ط1، 1403هـ/ 1983م، ص، 93، 94.

⁶ طه عبد العزيز الخطيب وعبد المعز فضل عبد الرزاق، فضل الحضارة العربية على الحضارة الحديثة، القاهرة، (د، ط)، 1430هـ/ 2009م، ص 145.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

عند المسلمين، وخصوصاً ما يتعلق بالنظافة فقلدوها وأقاموا الحمامات العامة والخاصة، والعطور والمطهرات¹.

ب- طريق صقلية:

ظل المسلمون في هذه البلاد زهاء 130 سنة وأصبحت المركز الثاني لنشر الثقافة العربية في أوروبا، وفي سنة 484هـ / 1094م استولى عليها النورمانديون² وكان من ملوك أوروبا المسيحيين من يشجعون علماء العرب على الإنتاج العلمي. كما كانوا يدفعون رعاياهم إلى ترجمة الكتب العربية³. وقد كان لصقلية الأثر في تقدم العلوم الطبيّة والصيدليّة فقد ساهمت بترجمة العديد من الكتب الطبيّة العربية وقد كان للملك فريديريك دور⁴ بارز في تطور العلوم الطبيّة، وقد ترجم له فرج بن سليم عدة كتب، وألف له كتاب "تدبير الجسد" أغلبه مأخوذ من كتب ابن سينا وعلي بن عباس وحنين بن إسحاق والرازي⁵ وقال جول لابوم >> كان الأطباء العرب في القرن العاشر للميلاد يعلمون تشريح الجثث في قاعات مدرجة خصصت لذلك في صقلية<<⁶. فقد كانت صقلية مركزاً طبياً هاماً نقلت من خلاله أعمال الأطباء المسلمين.

¹ عز الدين فراخ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، القاهرة، (د، ط)، دار الفكر العربي، 1423هـ / 2002م، ص 187.

² زكية بالناصر القعود، أثر علم الطب الإسلامي على الطب في أوروبا، المجلة الليبية العالمية، جامعة بن غازي، العدد 08، 2016م، ص 06.

³ طه عبد العزيز الخطيب وعبد المعز فضل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 145

⁴ فريديريكور 591-648هـ / 1194-1250م: ابن أتو السادس ملك صقلية وعموم الإمبراطورية الرومانية وإيطاليا ومات في مدينة فوغيا جنوب إيطاليا ودفن في كنيسة بالرمو في صقلية حكم صقلية صغيراً سنة 594هـ / 1198م وكان شديد التعلق بالثقافة الإسلامية وكان على صلة تامة مع ملوك والساطين المسلمين. ينظر: محمد طارق محمد الكرباسي، معجم المشاريع الحسنية، لندن، المركز الحسيني للدراسات، ط1، 1440هـ / 2019م، ج3، ص 357.

⁵ محمد حسين كامل، تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ليبيا، (د، ط)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، منتدى الأوزبكية، (د، ط)، (د، ت)، ، ص، ص 324، 424.

⁶ حسين أحمد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 214.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامّة في بلاد المغرب الإسلامي

ج-طريق الشرق:

كانت الحروب الصليبية، والحج إلى بيت المقدس مدعاة لاختلاط الأوربيين بالعرب، فنقلوا عنهم الكثير من العلوم¹. وهذه الحروب الصليبية كانت نتيجة الحقد الدفين لدى الأوربيين. فقد فوجئ الصليبيون بأن الشرق الإسلامي لم يكن بلاد الظلم والوحشية كما دأبت الكنيسة على ترويجه محاولة شحنهم بالكراهة ضد المسلمين. فقد وجدوا العالم الإسلامي يتمتع بحضارة زاهرة، فيها الكثير من العلوم، فأخذوا يتعلمون اللغة العربية². وقد قدم صاحب الاعتبار نموذج من نماذج الاستعانة بالأطباء المسلمين خلال فترة الحروب الصليبية

3.1.2. البعثات العلميّة الأوربية إلى البلاد الإسلامية

بدأت أوربا بإرسال البعثات العلميّة إلى العالم الإسلامي منذ القرن 5هـ/11م، واتجهت الرحالات الأولى إلى مراكز الحضارة الإسلامية القريبة، فتوجه قسم من هذه البعثات إلى بلاد المغرب وقسم منها إلى الأندلس حيث كانت منطقة المغرب الإسلامي مركز إشعاع حضاري³، يذكر أحد الدارسين نقلا عن جوستاف لوبون أن الكتب الطبيّة للعرب كانت المرجع الوحيد للدراسات الجامعية في أوربا خلال أكثر من ثمانية قرون⁴.

وقد كان من جوانب التأثير بالعلماء المسلمين في العلوم الطبيّة والصيدليّة هو تداول الألفاظ والمصطلحات العربية في اللغات الأوربية برسمها أو بعض التحويل فيها مثل: -

¹ طه عبد العزيز الخطيب وعبد المعز فضل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 145

² علي محمد عبد الوهاب، بين الإسلام والغرب ضراوة وأحقاد ومرارة، القاهرة، دار ركابي، (د، ط)، 1996م، ص 201.

³ محمد حسين كامل، المرجع السابق، ص 197.

⁴ مدرسة ساليرنو: تقع في جنوب إيطاليا وكانت مركزاً لتدريس الطب العربي لثلاثمائة سنة، وكانت ذات صلة قوية بصقلية برزت سنة 374هـ/985م. ينظر: نهاد عباس زينل، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوربا القرون الوسطى، 92897هـ/7111492م، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، ص 400

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

الكحول (Alcohol) - طرحه (Tared) - أنبيق (Alambic)¹ - شراب (Sirup) وهو عبارة عن محلول السكر في الماء تضاف إليها مواد العلاج، ولفظة (Sode) وتعني وجع الرأس، ولفظة (Julep) مشتقة من جلاب ويعني شراباً طبيعياً معطراً².

لقد عملت البعثات الأوربية على محاولة نقل التراث العلمي خاصة المجال الطبي الذي كان رائجاً في البلاد الإسلامية ولاسيما في الغرب الإسلامي.

2.2. حركة الترجمة ودورها في نقل العلوم الطبية إلى أوروبا

1.2.2. أهم مراكز الترجمة

ظلت أوروبا في المجال الطبي حتى القرنين 9 و 10 هـ/ 15 و 16 م تعتمد على الطب العربي ففي عام 877 هـ/ 1473 م طبع كتاب "القانون في الطب"، ثم مرة أخرى عام 889 هـ/ 1475 م، واستمر هذا الكتاب يدرس حتى بعد عام 1060 هـ/ 1650 م وطبعت بعده كتب أخرى مترجمة من العربية، بعضها عن الرازي وابن رشد وحنين ابن إسحاق وإسحاق اليهودي وعلي بن عباس المجوسي³، وقد انتقلت العلوم إلى أوروبا مترجمة إلى اللاتينية واللغات الأوربية وقد تحقق هذا النقل في ثلاثة مراكز هي:

أ. مدرسة ساليرنو الطبية⁴

هي أول مدرسة طبية في أوروبا قد تأسست من أربع أساتذة وهم من أصل لاتيني، ويوناني، ومسلم، وآخر يهودي⁵، وازدهرت المدرسة في حكم النورمان فوفد إليها

¹ محمد حسين كامل، المرجع السابق، ص 427

² أحلام محسن حسن، الطب العربي وأثره على المعرفة الطبية في أوروبا، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العدد 3، 2015 م، ص 182

³ مونتجومري وات، المرجع السابق، ص 93.

⁴ محمد حسين كامل، المرجع السابق، ص 423.

⁵ أحلام محسن حسن، المرجع نفسه، ص، ص 181، 182.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

طلاب المعرفة والمعلمون من العرب والصقليين والإسبان¹، وقد برز في تاريخ هذه المدرسة المترجم قسطنطين الإفريقي² Constanus Africanus، الذي هو من أصل عربي من تونس، حيث بقي فيها مدة من الزمن ثم استقر في دير مونت كاسينو Mont Casino)، ومنها ترجم إلى اللاتينية عدداً كبيراً من الكتب الطبيّة العربية، وله أربعون مترجماً، منها ترجمة كتاب "الكامل في الصنّاعة الطبيّة" للطبيب علي بن عباس المجوسي ت 326هـ/ 934م³، ونسبه إليه⁴، وصلت هذه المدرسة إلى الذروة في المستويات العلميّة أثناء حكم الملك فريديريك الثاني 648هـ/ 1250م⁵ فقد أنشأ سنة 621هـ/ 1224م "جامعة نابولي" التي اهتمّت بدراسة الطبّ الإسلامي، إلا أنّها لم تستطع أن تتنافس جامعة ساليرنو في مجال الدّراسات الطبيّة⁶

ب. بلاط روجر

يعد الملك روجر الثاني (ت 548هـ/ 1154م) من أشهر ملوك النورمان حبا للثقافة الإسلاميّة وتشجيعاً لها، وقد كلف عدداً من العلماء بترجمة المصادر العربية واليونانية في شتى العلوم إلى لغته من بينها الطبّ، كما نجده أخذ عن العرب أساليبهم في الممارسات الطبيّة وتنظيمهم في ضبط أعمال الممارسين لها⁷، واشتهر هذا البلاط بترجمة الكتب العلميّة إلى اللاتينية، وقد كان لصقلية وعاصمتها بالرمو الأثر في نقل الثقافة العربية

¹ زكية بالناصر القعود، المرجع السابق، ص 08

² قسطنطين الإفريقي: هو قرطاجي المولد طاف في البلاد الشرقية ودرست الطب العربي، وجمع المصادر الخاصة به ونزح إلى ساليرنو حيث اعتنق المسيحية وعمل راهبا في دير يسمى (مونت كاسينو) وسمي نفسه قسطنطين، أخذ بترجم كتباً عربية إلى اللاتينية دون أن يذكر المصادر فترجم كتاب علي بن عباس المجوسي وسماه (Pantegni) وكتاب زاد المسافرين لابن الجزار، ثم كتاب "طب العيون" لحنين بن إسحاق "وعدة رسائل لإسحاق الإسرائيلي، وكانت معظم هذه الكتب تدرس في مدرسة ساليرنو وكان لها تأثير في الطب الأوربي.. ينظر: محمد حسين كامل، المرجع السابق، ص 4

³ نهاده عباس زينل، المرجع السابق، ص 400.

⁴ نفسه، 459.

⁵ زكية بالناصر القعود، المرجع السابق، ص 8.

⁶ ، نفسه، ص 06.

⁷ نفسه، ص 06.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

الإسلامية أعمق من تأثير مدرسة ساليرنو. فعندما بسط العرب المسلمون حضارتهم عليها سنة 211-484هـ / 827-1092م أنشأوا خلالها أول مدرسة للطب في أوروبا ومن خلالها أقيمت مدرسة خاصة للترجمة من العربية إلى اللاتينية واليونانية على غرار مدرسة طليطلة لترجمة التراث الفكري والعلمي¹، فقد ترجمت في مدرسة بالرمو الصقلية المؤلفات العربية العلمية منها كتب ابن سينا والرازي على يد المترجمين بالرمين منهم جينيوس الرمي (Eugenus) في عهد غليوم الثاني².

ج. مدرسة الترجمة في طليطلة وقرطبة³

نشطت حركة الترجمة في طليطلة بعدما استولى ألفونسو السادس عليها سنة 477هـ / 1085م عادت طليطلة إلى المسيحية، وأصبحت مركزاً لنقل الثقافة الإسلامية ونشرها إلى باقي نواحي إسبانيا وأوروبا ويرجع الفضل إلى دونر ريموند الأول أسقف طليطلة⁴ 1126-1151م أنفق بسخاء على الترجمة وحث عليها وشملها بعناية تامة⁵، وقد حضر إلى إسبانيا أشهر المترجمين الإيطاليين جيرارد الكريموني الإيطالي ت 583هـ / 1187م وأقام بها عشرون سنة وترجم فيها ما يزيد عن سبعين مؤلفاً من العربية إلى اللاتينية منها: كتاب "القانون" لابن سينا وكتاب "المنصوري" للرازي وكتاب "المناظر" للحسن بن الهيثم، والجزء الجراحي من كتاب "التحريف لمن عجز عن التأليف" للزهراوي⁶ وغيرها من الكتب العربية الطبيّة.

¹ نهاده عباس زنتل، المرجع السابق، ص، ص 402، 403.

² نفسه، ص 401.

³ محمد حسين كامل، المرجع السابق، ص 423.

⁴ زكية بالناصر العقود، المرجع السابق، ص 11.

⁵ محمد حسين كامل، المرجع نفسه، ص 426.

⁶ محمد حسين محساسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، الإمارات العربية المتحدة، دار الكتب الجامعي، ط1، 2000/2001م، ص 293.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامّة في بلاد المغرب الإسلامي

وفي عهد الملك الإسباني ألفونسو العاشر (Alfonso X) الملقب بالحكيم أو العالم الذي حكم 649-682هـ / 1252-1284م في مملكة قشتالة وليون الذي أسس المدرسة العربية الإسبانية واستعان باليهود للترجمة إلى الإسبانية بدل اللاتينية، وعمل في الترجمة بطليطلة حوالي 160 مترجم قاموا بترجمة 1000 مصنف، كما ترجمت بعض المصنّفات أكثر من مرة¹.

ولقد أصبحت الكتب المترجمة في متناول الطلبة والعلماء في مختلف جامعات أوروبا كإيطاليا وفرنسا وإسبانيا، وعندما انتهى عصر الترجمة حاول علماء الغرب أن يقتفوا آثار العرب وأن يعملوا بدورهم في ميدان الطبّ والصيدلة، وأعظم الكتب تأثيراً في مجال الصيدلة: -القانون في الطبّ لابن سينا، الحاوي وكتاب المنصور للرازي، وكتاب الملكي لعلي بن عباس، وكتاب الأزمنة ليوحنا بن ماسويه، وكتاب لتصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي، وكتاب الأدوية المفردة لابن جرلة، وكتاب التيسير لابن زهر- كتاب الأدوية المفردة لابن وافد اللخمي².

وهناك من ذهب إلى أن الطبّ الأوربي في القرنين 9-10هـ / 15-16م كان مجرد امتداد للطب العربي الإسلامي³، فقد كانت كتب الطبّ العربي المرجع الوحيد للدراسة الجامعية في أوروبا أكثر من خمسة قرون وظلت علوم الطبّ خاصّة المصدر الوحيد للدراسة خلال ثمانية قرون⁴، وقد أقبل النصارى على إنشاء مدارس لدراسة العلوم العربية في كل من إشبيلية سنة 685هـ / 1259م، وميورقة سنة 653هـ / 1255م،

¹ نهاده عباس زينل، المرجع السابق، ص 464.

² محمد حسين كامل، المرجع السابق، ص 427.

³ مونتجومري وات، المرجع السابق، ص 94.

⁴ عز الدين فراج، المرجع السابق، ص 183.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

وبرشلونة سنة 658هـ/1259م وقد تطورت بعض هذه المدارس إلى جامعات وامتد تأثيرها إلى خارج أوروبا¹.

2.2.2. أهم الكتب الطبيّة العربية المترجمة

لقد ترجمت الكتب العلميّة الطبيّة إلى اللاتينية، اللغة السائدة في أوروبا في العصور الوسطى، ومن أهمها كما ذكرنا كتاب "كامل الصنّاعة" لعلي بن العباس، ظلت ترجمته تدرس في أوروبا حتى أواسط ق 10هـ/16م، وهو يعتبر من الكتب التي يبدأ بها عصر الطبّ في أوروبا، وكانت الكتابات العامة في مجال الطبّ التي أثرت تأثيراً بليغاً على الفكر العلميّ في أوروبا ككتاب الرازي "الحاوي"²، كما ترجم كتاب "القانون في الطبّ" لابن سينا الذي يعتبر الجامع للمعارف الطبيّة؛ ويحتوي على بحوث القدماء التي أجراها الأطباء الذين سبقوه³، وقد ترجم موسى بن طبون (Mosses ben Tebone) كتب ابن رشد في الطبيّيات وبعض مؤلفاته في الطبّ (كشرح الأرجوزة) سنة 658هـ/1260م، ثمّ ترجم شلمون بن يوسف شرح (كتاب السماء والعلم) سنة 658هـ/1260م، كما قام مخائيل سكوت (Miguel scott) وهرمان دي كونت (Hermand de Carintia) بترجمة كتب ابن رشد إلى اللغة اللاتينية منها كتاب "الكليات في الطبّ". كما ترجم بونا كوزا (Bona COSA) كتاب الكليات في الطبّ (Colleget) عام 653هـ/1255م في إيطاليا، وقد ترجم ترجمتين في البندقية سنة 887هـ/1482م وسنة 960هـ/1552م من ترجمة ليدن ويعقوب مانتيواس، وكذلك ترجم سنة 944هـ/1537م من قبل جان شامبيه⁴.

ولم تكن الجراحة مادة مقبولة للدراسة في المدارس الطبيّة إلا ببطء، وكانت الكنيسة تحرم إدراج التشريح في مناهج دراسة الطبّ وتغيرت هذه النظرة إلى الجراحة

¹ نهاده عباس زينل، المرجع السابق، ص 447.

² أحلام محسن حسين، المرجع السابق، ص 179.

³ نفسه، ص 180

⁴ نهاده عباس زينل، المرجع نفسه، ص 469.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامّة في بلاد المغرب الإسلامي

نتيجة للتوسع الكبير في الدّراسات الطّبيّة بعد أن توفرت الكتب المترجمة عن العربية ونتيجة لاطلاع الصليبيين على الطبّ العربي¹.

لقد اشتهرت العلوم الطّبيّة العربية في وجود الدّولة الإسلامية خاصّة بوجود أطباء الأندلس، واشتهر أطباء مثل الزهراوي أبو القاسم ت (403هـ / 1013م) والشريف الإدريسي ت (493هـ / 1100م) وابن رشد الحفيد الذي عرف عند الأوربيين Averos، وابن النفيس علاء الدين المعروف بابن النفيس الحكيم ت (687هـ / 1288م) الذي يعد رئيس الأطباء بمصر والشام².

3.2. تأثير الأطباء المسلمين على الأوربيين

1.3.2. الإنجازات الطّبيّة للأطباء المسلمين وتأثيرها على الحركة العلميّة

لقد أثرت إنجازات المسلمين في المجال الطّبي في الطبّ الأوربي وكان الأوربيون في اتصال وثيق بينهم وبين المسلمين قال شاخت كانت شبه جزيرة إيبيريا هي المكان الذي جرى فيه الاتصال المستمر بين الإسلام والحضارة الأوربية الناشئة³.

ومن الأطباء الذين كان لهم تأثير على الأوربيين الرازي فهو أول من وضع علم التجريب⁴، وقد كان كتابه في الطبّ المرجع الأساسي في أوربا لمدة تزيد على 400 سنة كما أقيم نصبٌ له في مدرسة الطبّ بباريس في القاعة الكبرى، وعلقوا صورته في قاعة كبيرة تقع في شارع سان جرمان بحيث يراها طلبة الطبّ كل يوم⁵، وقد طبعت مقالته عن الجذري أربعين طبعة باللغة الإنجليزية ما بين 470-1287هـ / 1078-1866م، وكان

¹ مونتجومري وات، المرجع السابق، ص 92.

² أحلام محسن حسين، المرجع السابق، ص، ص 176، 177.

³ جوزيف شاخت كليفورديوزورت، تراث الإسلام، تر: محمد زهير السهوري وآخرون، تح: شاكّر مصطفى وفؤاد

زكريا، عالم المعرفة، العدد 11، 1987، ج1، ص، ص 102، 103.

⁴ عز الدين فراج، المرجع السابق، ص 183

⁵ نفسه، ص 186.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

الرازي أول طبيب لاحظ تجاوب بؤبؤ العين مع النور ضيقاً واتساعاً¹، أما ابن سينا فقد وصف الأعضاء وأمراضها وصفاً دقيقاً².

وقد انبهر علماء الغرب ببراعة أطباء الأندلس وأعجبوا بمهارتهم ومنهم المستشرق غوستاف لوبون الذي كثيراً ما أشاد بالطبيب الأندلسي الزهراوي فهو يعده من أشهر جراحي العرب، وقد وصف الزهراوي عملية سحق الحصى في المثانة وإخراجها على الخصوص، كم أنه لم يعرف في أوروبا إلا عند القرن 9هـ/15م³، وكان للزهراوي سبق في جراحات التجميل كما درس علاج تشوهات الفم والفك، وعلم تلاميذه كيف تخطيط الجروح بشكل داخلي، وكيفية التخييط بإبرتين بخيط واحد، واستعمل الخيطان من أمعاء القطط، كما أمد الجراحين وأطباء العيون والأسنان بالآلات اللازمة لعملياتها، كما كان يوصي الأطباء ألا يتسرعوا في قراراتهم لإجراء العمليات الجراحية⁴، وقد كان الزهراوي هو الواضع الأول لعلم "المناظير الجراحية" وذلك باختراعه واستخدامه المحاقن والمبازل الجراحية فقد قام بتفتيت حصوة المثانة بما يشبه المنظار في الوقت الحاضر⁵.

ومن الأطباء عبد الملك بن مروان بن زهر⁶ (ت 595هـ/ 1198م) صاحب كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" الذي أثر تأثيراً بليغاً في الطب الأوربي، وظل هذا التأثير إلى نهاية القرن 11هـ/17م وذلك بفضل ترجمة كتبه إلى العبرية واللاتينية⁷، وكذلك تعتبر كتابات أبو القاسم الزهراوي المتوفى بعد عام 399هـ/ 1009م، والذي يعرف

¹ أحمد علي الملا، المرجع السابق، ص 138.

² عز الدين فراج، المرجع السابق، ص 183.

³ نهاد عباس زينل، المرجع السابق، ص 401.

⁴ طه عبد العزيز، المرجع السابق، ص، ص 165، 166.

⁵ طه عبد العزيز وعبد المعز فضل عبد الرزاق، فضل الحضارة العربية على الحضارة الحديثة، القاهرة (د، ط)، ص، ص 168، 169.

⁶ ذكره الذهبي بأنه (شيخ الأطباء وجلينيوس عصره). ينظر: الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 72.

⁷ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 89.

الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب الإسلامي

باللاتينية باسم Abulcasis في الجراحة والأدوات الجراحية¹ المساهمة العربية البارزة في الميدان الطبي²، وكذلك ابن الخطيب الذي أكد بوجود العدوى قبل أن تكتشف الجراثيم³.

يمكن القول أنّ آثار الأمراض والأوبئة كانت عميقة على مختلف الجوانب الحضارية لمجتمع بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة، فقد تراوحت بين الإيجاب والسلب، لكن الجانب السلبي كان غالباً، فقد كبحت من وتيرة التطور في مختلف الجوانب، وأثرت في ذهنيات المجتمع، بحيث اتبعت عدة طرق للنجاة من الأمراض والأوبئة، لكن المرض والوباء عرف قدم التاريخ والحضارات البائدة، لذا كان واجبا حتميا أنه من تتوفر فيهم سبل التحضر أن يبدعوا في معالجة مختلف الأمراض والأوبئة سواء القديمة أو الطارئة، لذا نجد أن الأطباء المسلمون برعوا في بعض الأحيان في عملية العلاج وكانت لهم وجهات نظر طبية، كل هذا استفاد منه الأوربيون، وبدؤوا في التأسيس لمدارس طبية قائمة على الجانب العلمي البعيد عن الخرافات التي كانوا يعيشون فيها في الفترات السابقة.

¹ ينظر: ملحق الأدوات الجراحية للزهراوي رقم 06.

² مونتجومري وات، المرجع السابق، ص 57.

³ عز الدين فراج، المرجع السابق، ص 183.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة خرجنا بالاستنتاجات التالية:

- إن جل المفاهيم المتعلقة بمصطلح الأمراض تقدم تعريفاً مشتركاً له، ولا تختلف هذه التعريفات إلى ما وصل إليه العلم الحديث، وكيفية انتقال هذه الأمراض من شخص إلى آخر، أو من الحيوان إلى الإنسان، كما أن الأمراض التي تصيب الإنسان متعددة ومختلفة ومنها الوبائية التي تعم منطقة معينة ولها تأثير بليغ على الحياة العامة.

- أما الخدمات الصحية فمفهومها يعني الحدّ من الأمراض وإرجاع جسم الإنسان إلى حالته الطبيعيّة ، وكلما ظهرت أمراض جديدة دفعت بالطبّ إلى التطور ومحاولة إيجاد تفسيراً لها بغية العلاج.

- وظهرت في بلاد المغرب الإسلامي، كغيرها من البلدان أمراضاً مختلفة بفعل عدة عوامل طبيعية أو بشرية، وكان لحدوثها وظهورها عدة تفسيرات، وهناك من الأمراض ما كان وبائياً، ومنها ما كان مرضاً عاماً، ومنها ما اعتبر مرضاً نفسياً: أما الأمراض الوبائية فهي تجتاح أماكن وقوعها وتؤدي بحياة العديد من الناس، وقد وصفت بأنها تحدث كل عشرة سنوات، كما يمكن القول أن الأمراض التي تم الإشارة إليها لا تشكل كل الأمراض التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي خلال تلك الفترة، وذلك راجع لقلة المادّة العلميّة، والتي تحصي بدقة كل الأمراض التي عرفها المغاربة.

- حظي الطبّ باهتمام الحكّام خلال الفترة المدروسة، و خاصّة في العهد الموحدّي أثناء خلافة المنصور، فقد أدرجت المصادر التاريخية عددا كبيرا من الأطباء سواءا المغاربة أو الأندلسيين في فترة حكم هذا الأخير. كما أن الطبّ تم تداوله وفق مرجعية كل من امتهنه فالمتصوّفة كانت لهم طرق مختلفة في التطبيب، وقد استعملوا اللمس والريق والأعشاب والعقاقير الطبيعيّة ، أما بالنسبة للأطباء الذين اعتمدوا على الجانب العلميّ المستمد من الكتب الطبيّة اليونانية القديمة، فقد كان حضورهم في بلاط الحكّام أكثر من تواجدهم مع العامة، ومن أسباب ذلك هو الأجرة التي كانت في نظر العامة مكلفة، ضف

إلى ذلك الإغراءات الموجودة في القصور والمكانة التي يتمتع بها المقربون من الحكّام، لذا فإنّ العامّة استنجدوا في مواضع كثيرة بالمتصوّفة، ومن مظاهر الاهتمام الطّبي في بلد المغرب هو الصرح الذي بناه المنصور، وهو بيمارستان مراكش الذي اعتبر من أهمّ البيمارستانات في بلاد المغرب والتي كانت له وظائف متعددة لعمّة الناس.

-إنّ للأمراض والأوبئة عدة آثار وانعكاسات على جوانب الحياة المختلفة كالجوانب الصحيّة والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسيّة. ففي الجانب الصحي، قوبلت هذه الأمراض بعناية الأطباء الذين تعددت طرق علاجهم، وكان هناك اهتمام من السلطة للجوانب الصحيّة والعلاجية الخاصّة بالعمّة، وأبدعت في تشييد أماكن تلقي العلاج. والأهم أنّ الطبّ تطور وذلك لمعالجة الأمراض والأوبئة المختلفة التي حلت بالبلاد، وقد استفاد من هذا التطور الأوروبيون، وعملوا على نقل كل الابتكارات الطّبيّة المتنوعة.

-حدث في المجال الاجتماعي تكافل بين المتطبيين وبين العمّة، خاصّة فئة المتصوّفة الذين مارسوا الحرفة الطّبيّة فقد كانوا لا يتقاضون أجراً على عملية العلاج، وكانوا كثيري التقرب من العمّة وذلك بتقديم عدة مساعدات لهم كتقسيم الغذاء زمن الجوع الذي كان سبباً في حدوث المرض، وبرزت زمن الأمراض والأوبئة مظاهر اجتماعية سلبية كان الغرض منها توفير قوت اليوم، والنجاة من مصير الموت، أمّا الجانب البشري فقد حدثت خسائر بشرية كبيرة في المجتمع، وكثر الموت عند حدوث الأوبئة.

وفي المجال الاقتصادي أثرت الأمراض والأوبئة على توفير الغذاء، فقد حدثت محن متعددة أدت إلى انتشار هذه الأمراض، وبالتالي نقص الإنتاج ونقص المداخيل الاقتصادية الخاصّة بالزراعة والتجارة والصناعة، وقد تضرر اقتصاد الدّولة كثيراً من هذا التأثير فهذه الأمراض والأوبئة تصيب الإنسان الذي بدوره يشكل عصب الحياة.

يمكن القول أن العلاقة التي تربط السلطة بالعامّة زمن الرخاء ليست هي العلاقة التي تميّزه زمن الحاجة والجوع والأمراض، فالدّولة عند قيامها تعمل على توطيد أركانها والقيام بشؤون العامّة، خاصّة في المرحلة التي تشكل أوج قوتها فيكون هناك تكافل يميّز تلك العلاقة، أمّا إذا كانت الدّولة في مرحلتها الأخيرة، فالحكّام في أغلبهم لا يملكون من القوّة ما يقومون بشؤون العامّة، وتكثر الاضطرابات، وتحدث الأوبئة والأمراض. وقد تكون هذه الأمراض والأوبئة سبباً وجيهاً في ضعف الدّولة وسقوطها.

ورغم تأثير الأمراض والأوبئة على الحياة الحضارية في مجتمع بلاد المغرب إلا أنّه كان حافزاً لبروز عدة أطباء حملوا لواء التطور الطّبي ومحاولة التصدي لمختلف الأمراض والأوبئة الحاصلة، كان نتيجة ذلك أن شكلوا معبراً علمياً حضارياً ينهل منه الأوروبيون الذين ما فتنوا أن أسسوا مراكز تترجم فيها كتب وأعمال الأطباء المسلمين.

ولقد عالجت هذه الدّراسة الأمراض والأوبئة وما يقابلها من خدمات صحّيّة خلال القرنين 5-7هـ/11-13م، لكن لا يزال الكثير من الغموض يكتنف الموضوع بصفة عامّة، فطابع الدّراسة يحتاج إلى مادة علمية دقيقة تفي بالغرض وتجيب على التساؤلات المختلفة التي يطرحها الموضوع، سواء في الفترات المتأخّرة أو الفترات المتقدمة من تاريخ بلاد المغرب الإسلامي.

ملاحق

الأطباء	أهم آثارهم	المصدر
إبراهيم بن أبي الفضل بن صواف الحجري الشاطبي أبو إسحاق	مال إلى طلب الطبّ وأتقنه عن أربابه ومهر فيه، انتقل إلى المغرب وقعد بطنجة ممتهنأ الطبّ والعلاج، ثمّ استقر بفاس، توفي سنة 506هـ / 1113م بمكناسة.	محمد بن أحمد الكانوني العبدى، الطبّ العربي في عصور دول المغرب، تح: علال ركوك ومحمد بالوز، الرباط، منشورات كلية الطبّ والصيدلة، (د،ط) ص 49.
أبو الحسن سفيان الأندلسي	كان طبيباً خاصاً بأمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ومن مؤلفاته: كتاب التجربتين على أدوية ابن وافد، توفي بمراكش سنة 537هـ / 1142م	محمد أحمد الكانوني، المرجع نفسه، ص، ص 54، 55.
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن الصلت الداني	ولد سنة 460هـ / 1062م وكان ماهراً في صناعة الطبّ راح إلى المشرق ثمّ استوطن المهدية ن مؤلفاته: كتاب الرسالة المصرية، كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة لأجزاء الألية، وكتب أخرى توفي سنة 529هـ / 1143م	محمد أحمد الكانوني، نفسه، ص 56.
أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة	نشأ بسر قسطة، معدوداً من أفاضل الأطباء، وعارفاً بالنباتات اشتغل بفاس في الطبّ مزاحماً لأطباء عصره فحسدوه وسمموه. من مؤلفاته: اختصار الحاوي للرازي، كتاب الأدوية المفردة لجالينوس، ومؤلفات أخرى،	محمد أحمد الكانوني، نفسه، ص، ص 50، 53.

	توفي 533هـ/1139م بفاس.	
أبو مروان عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زهر	كان فاضلاً في صناعة الطب في القيروان ومصر، وتطبب هناك زمناً طويلاً وتوفي سنة 470هـ/1078م.	بن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 517، ابن الأبار التكملة، مج2 ص607.
أبو العلاء بن زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان	كان في دولة الملتئمين مشهوراً بالحدق والمعرفة، من مؤلفاته كتاب الخواص، والأدوية المفردة، والإيضاح بشواهد الافتضاح، حل شكوك الرازي على كتب جالينوس، النكت الطبية توفي سنة 525هـ/1131م	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 517، ابن الأبار التكملة، مج1، ص 77.
الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين أبو إسحاق اللمتوني	له معرفة علمية بالطب إستفاد من ابن زهر كما ألف له كتاب الاقتصاد.	محمد أحمد الكانوني، نفسه، ص 57.
أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر	لم يكن في زمانه من يماثله في مزاوله صناعة الطب، خدم الملتئمين وبعده اختصه عبد المؤمن بن علي الكومي من مؤلفاته "التيسير في مداواة والتدبير"، "كتاب الأغذية"، "كتاب الزينة"، رسالة كتبها إلى بعض الأطباء بإشبيلية على البرص والبهق، كتب التذكرة، الترياق السبعيني، وتوفي سنة 557هـ/1162م	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص، ص 520، 521 وابن الأبار، التكملة/ مج2، ص 616.
أبو الحجاج يوسف بن فتوح القرشي المري	له معرفة بالنبات كان يجلبه من بجاية، ويتجر فيه توفي 561هـ/1166م	محمد المنوني، العلوم والآداب والحضارة، ص 124.
أبو بكر يحيى بن محمد	من أهل سلا اشتغل بالطب وظهر فيه توفي	محمد المنوني، العلوم

بن عبد الرحمن	563هـ/1168م.	والآداب والحضارة، ص 123.
أبو العباس أحمد بن عبد الله بن موسى القيسي	من إشبيلية وسكن فاس، وكان ذا معرفة بالطب توفي 571هـ/1176م.	محمد المنوني، المرجع نفسه، ص 124.
أبو جفر عمر بن علي البذوخ القلعي المغربي	ولد في قلعة بني حماد سنة 472هـ/1094م في عهد المنصور الحمادي، كان فضلاً خبيراً في معرفة الأدوية المفردة والمركبة وله حسن النظر في الاطلاع على الأمراض وتوفي سنة 557هـ/1179م بدمشق	ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 628.
الشريف الإدريسي	ولد بسبته سنة 494هـ/1101م تلقى دروسه بسبته وبرع في الطب والهيئة والجغرافيا والفلسفة والنجوم، وكان عارفاً بقوى الأدوية المفردة ومنافعها، من مؤلفاته كتاب الجامع لصفات أشتات النبات، كتاب الأقرباذين، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، توفي بصقلية سنة 576هـ/1170م.	محمد المنوني، المرجع نفسه، ص 123. محمد احمد الكنوني، السابق، ص، ص 74، 75.
أبو الحكم بن غلندة	كان متميزاً في صناعة الطب، وخدم المنصور وكان مكيماً عنده ووجيهاً في دولته توفي بمراكش عام 581هـ/1185م ودفن بها.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 535.
أبو بكر عبد الملك بن الطفيل القيسي	طبيباً ماهراً وفيلسوفاً كبيراً، في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن جذبه إليه واتخذ طبعه، ثم كان ولده المنصور، من مؤلفاته: رسالتين في الطب، مراسلات بينه وبين ابن رشد، توفي سنة 581هـ/1186م بمراكش.	عبد الواحد المراكشي، السابق، ص 140.

أم العلاء بنت عبد الملك أخت الحفيد بن زهر.	تعلمت الطبّ في مدرسة والدها وتقدمت في فن الولادة وأمراض النساء، مكرمة عند المنصور الذي كان لا يقبل أحداً سواها أو بنتها.	ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 113.
الحفيد أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء زهر	لم يكن في زمانه أعلم منه بصناعة الطبّ، وخدم الدولتين الملتئمين والموحدّين، خدم عبد المؤمن وابنه أبا يعقوب يوسف ثمّ المنصور ثمّ الناصر توفي 595هـ/1119م بمراكش ألف الترياق الخمسيني للخليفة المنصور.	ابن الأبار، المصدر نفسه، مج1، ص، ص، 207، 270
بنت أم العلاء	ماهرة في الطبّ عارفة بأمراض النساء تعلمت عن أمها وذويها ونالت منزلة في قصور الموحدّين ماتت إثر تناولها الأكل المسموم مع خالها سنة 595هـ/1119م	محمد احمد الكنوني، نفسه، ص 92.
أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي.	كان متميّزاً في علم الطبّ، وكان مكينا عند المنصور وجيهاً في دولته وكذلك ولده الناصر له عدة مؤلفات منها: كتاب الكليات في الطبّ، كتاب التحصيل، المقدمات في الطبّ، رسالة في الترياق، نهاية المجتهد في الفقه، شرح أرجوزة ابن سينا، جوامع كتب أرسطوطاليس. توفي بمراكش سنة 595هـ/1198م.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص، ص 530، 531.
أبو محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر	كثير الاعتناء بصناعة الطبّ والنظر فيها وكان الخليفة الناصر يحترمه، توجه إلى الحضرة وتتوفي مسموماً 602هـ/1206م في سلا.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 529.
موسى بن ميمون	ظهر في دولة الملتئمين وقرأ الطبّ في قرطبة،	محمد أحمد

القرطبي	دخل المغرب ونزل فاس وبقي فيها مدة ثمّ انتقل إلى مصر من مؤلفاته: الفصول الطبيّة، كتاب في تدبير الصّحة، كتاب في السموم والتحرز من الأدوية القاتلة، وكتب أخرى.	الكانوني، نفسه، ص 68.
علي بن يقطان السبتي	نشأ في عصر الدّولة المرابطية بالمغرب وتلقّى علوم الطبّ بها كان طبيباً ماهراً، توجه إلى مصر سنة 544هـ / 1150م.	محمد أحمد الكانوني، نفسه، ص 68
أبو الحجاج يوسف بن يحيى بن إسحاق الإسرائيلي	من فاس قرأ ببلاده الطبّ، كان فاضلاً في صناعة الطبّ. من مؤلفاته: شرح فصول أبقراط وقوانينه، توفي سنة 623هـ / 1226م.	الغبريني، المصدر السابق، ص 623. محمد أحمد الكانوني، نفسه، ص 66، 67.
أبو جعفر بن هارون الترجالي	كان فاضلاً في صناعة الطبّ، وخدم لأبي يعقوب يوسف وهو شيخ ابن الوليد بن رشد في التعليم بالطبّ.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 530.
أبو محمد عبد الله بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد	في صناعة الطبّ، كان يخدم الناصر من مؤلفاته: مقالة في حيلة البرء.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 533.
أبو الحجاج يوسف بن موراطير	كان فاضلاً في صناعة الطبّ، وكان في تونس مع الخليفة الناصر، وكان قد خدم بصناعة الطبّ المنصور، وخدم ولد الناصر المستنصر.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 534.
أبو مروان عبد الملك بن قلال	كان جيد النظر في الطبّ، خدم المنصور ثمّ الناصر ومات في مراكش في دولة الناصر	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 534
أبو إسحاق إبراهيم	كانت له عناية بالغة في صناعة الطبّ، أصله	بن أبي أصيبعة، المصدر

الداني	من بجاية، ونقل إلى الحضرة وكان امير البيمارستان وطيبه بالحضرة وكذلك ولده توفي الداني في مراكش في دولة المستنصر بن الناصر.	نفسه، ص 534
أبو يحيى بن قاسم الإشبيلي	كان فاضلاً في صناعة الطبّ وكان صاحب خزانة الأشربة يأخذها الخليفة المنصور من عنده توفي في مراكش في دولة المستنصر.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 534
أبو جعفر أحمد بن حسان	مولده بغرناطة، ويشغل بصناعة الطبّ وقدم إلى المنصور وخدمه توفي بفاس من مؤلفاته: كتاب تدبير الصّحة ألفه للمنصور.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 533
أبو العلاء بن أبي جعفر أحمد بن حسان	من مدينة غرناطة وهو طبيب وكاتب، خدم بصناعة الطبّ المستنصر وكان حاضياً عنده.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 535
أبو محمد الشذوذى	مولده بإشبيلية اشتغل بصناعة الطبّ على أبي مروان عبد الملك بن زهر، وخدم الناصر توفي بمسقط رأسه بدولة المستنصر.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 535
المصدوم بن الحسين بن أسدون	هو تلميذ أبي مروان عبد الملك بن زهر. كان معتنياً بصناعة الطبّ، مولده بإشبيلية كان مقيماً بالبلد ويحضر عند المنصور ويطلبه في أوقات المداواة ت 588هـ / 1192م.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 535
عبد العزيز بن مسلمة الناجي	أصله من باجة الغرب كان فاضلاً في صناعة الطبّ، وكان تلميذا المصدوم وخدم بالطبّ المستنصر، توفي في دولته بمراكش.	ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 535
أبو جعفر بن الغزال	لازم الحفيد أبا بكر بن زهر، وخدم المنصور	بن أبي أصيبعة، المصدر

بالطبّ كان خبيراً بتركيب الأدوية، توفي أيّام الناصر.	نفسه، ص 536.
أبو الحسن علي بن موسى بن شلوط البننسي	هو ممن هاجر بلده واختار دخول بلاد المغرب الأوسط محترفاً الطبّ، توفي سنة 610هـ-1214م.
شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي ط1: 2003م، مج 13، ص 245.	
أبو عبد الله محمد بن سحنون الندرومي	وهو كومي اشتغل على يد بن الوليد بن رشد بصناعة الطبّ، خدم الناصر، من مؤلفاته: اختصار كتاب المستصفى في علم أصول الفقه للغزالي.
أبو جعفر أحمد بن سابق	أصله من قرطبة، كان من طلبة أبي الوليد بن رشد وخدم بالطبّ الناصر وتوفي في دولة المستنصر.
ابن الحلاء المرسي	من مرسية، كان موصوفاً بجودة المعرفة بصناعة الطبّ، وخدم المنصور.
أبو إسحاق بن طملوس	من أعمال مرسية خدم الناصر بالطبّ.
أبو جعفر أحمد بن جريح	من أهل إشبيلية محقق للأمور الطيّبة سافر إلى مصر والشام والعراق وعاد إلى المغرب ثمّ أقام بإشبيلية. من مؤلفاته: تفسير أسماء الأدوية

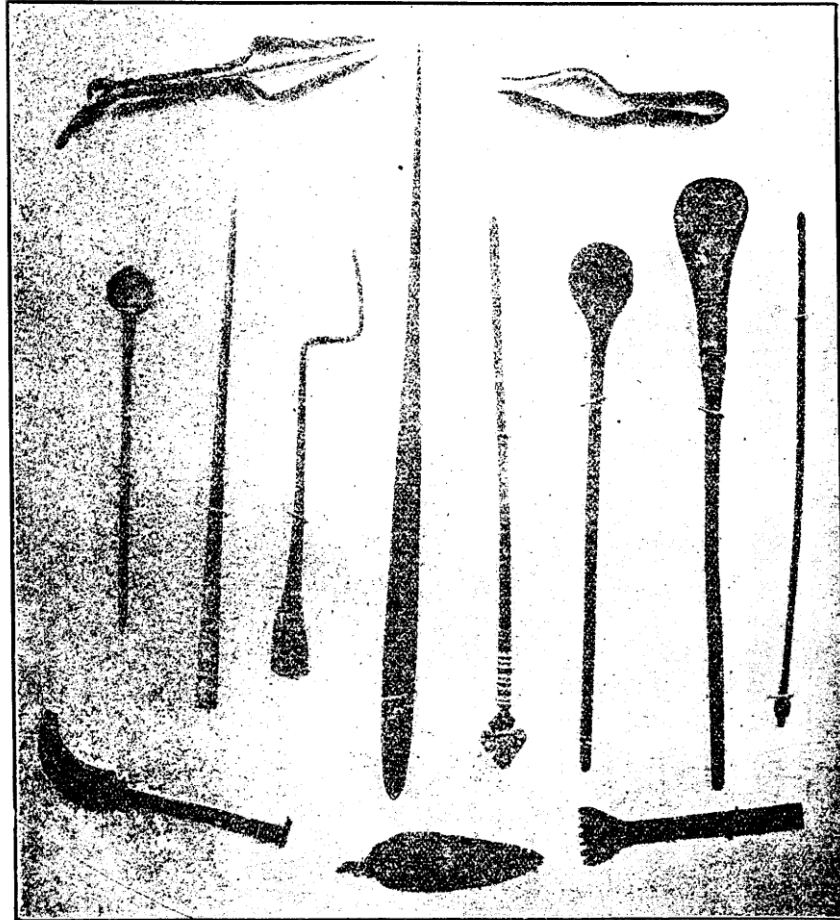
	المفردة من كتاب دسيقورس، ومقالة في تركيب الأدوية.	
أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد	من أهل إشبيلية كان عارفاً بصناعة الطبّ قرأ الطبّ على يد الحجاج يوسف بن موراطير في مراكش، ثمّ انتقل إلى إشبيلية.	بن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 538.
أبو العباس أحمد بن عبد الملك الجذامي	نشأ بسبّنة وبها سكن كان ماهراً بصناعة الطبّ توفي 650هـ/1253م	محمد المنوني، المرجع السابق، ص 124.
أحمد بن محمد الجذامي	من أهل قرطبة استوطن سبّنة وأقام بإشبيلية اشتهر بمهارته بصناعة الطبّ، توفي 650هـ/1252م	الغبريني، المصدر السابق، ص 75، ص 76.
ابن البناء المراكشي هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان	ولد بمراكش سنة 654هـ/1256م ودرس الطبّ بفاس من مؤلفاته: اللزوم العقلية في مدارك العلوم، الروض المريع في صناعة البديع، وتوفي 720هـ/1320م.	ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، ص 278.
أبو العباس أحمد بن خالد المالقي	من المشاركين في الطبّ دخل المغرب واستوطن بجاية، وله مشاركة في الإلهيات والطبّيّات توفي 660هـ/1262م	الغبريني، المصدر نفسه، ص 73، 74.
أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المرسّي	من أهل مرسية كان طبيباً ماهراً وهو معروف بابن أندراس من أهم الأطباء الأندلسيّين المهاجرين إلى المغرب ورد إلى بجاية سنة 660هـ/1262م وكان متولياً لطب الولاية فيها، وقد رحل إلى حاضرة إفريقية باستدعاء أمير المؤمنين المستنصر، وله نظم	الغبريني، المصدر نفسه، ص 75، 76

	ببعض الأدوية توفي 674هـ / 1275م	
أبو الحسن المروزي	من جلساء الخليفة المستنصر الأول أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي جعفر الذي بويع سنة 647هـ / 1250م، وهو من فضلاء الأطباء توفي عام 675هـ / 1276م.	الغبريني، نفسه، ص 183.
أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام	أصله من تادلس وسكن بجاية كان له حظ في علم الطب وكان مزاوياً ومعالجاً	الغبريني، نفسه، ص 341.

الملحق رقم: 02

أدوات الجراحة¹

لوحه ٦



مورد بعض الآلات الطبية والجراحية التي عثر عليها في أثناء التنقيب في خرائط القسطاط
والحفرة بدار الآثار العربية

¹مجلة المجمع العلمي العربي، آلات الطب والكحالة عند العرب، مج 5، ج6، 1343هـ/1905م، ص 284.

الملحق رقم 03

أدوات جراحية طبية للزهراوي¹



أدوات جراحية في كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) للزهراوي

¹ الموسوعة الطبية، كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، الزهراوي [/https://www.wdl.org/ar/item/10670](https://www.wdl.org/ar/item/10670)

المحق رقم: 05

صيدلية لبيع الأدوية¹



¹ زيجريدهونكة، المرجع السابق، ص 574

الملحق رقم 06

الحمامات العربية¹



الحمامات العربية

أزدهت المدن العربية بألاف الحمامات الساخنة التي كان يزورها باقبال ومواظبة شديدين زبائن أكثر من الجلسين فيحتفي بهم المرحلون بالامر من مسادين رمزيين ، ويلقون على ايديهم كل عناية وراحة .

الحمامات العربية

¹ زغيريدهونكة، المرجع السابق، ص 565.

الملحق رقم: 07

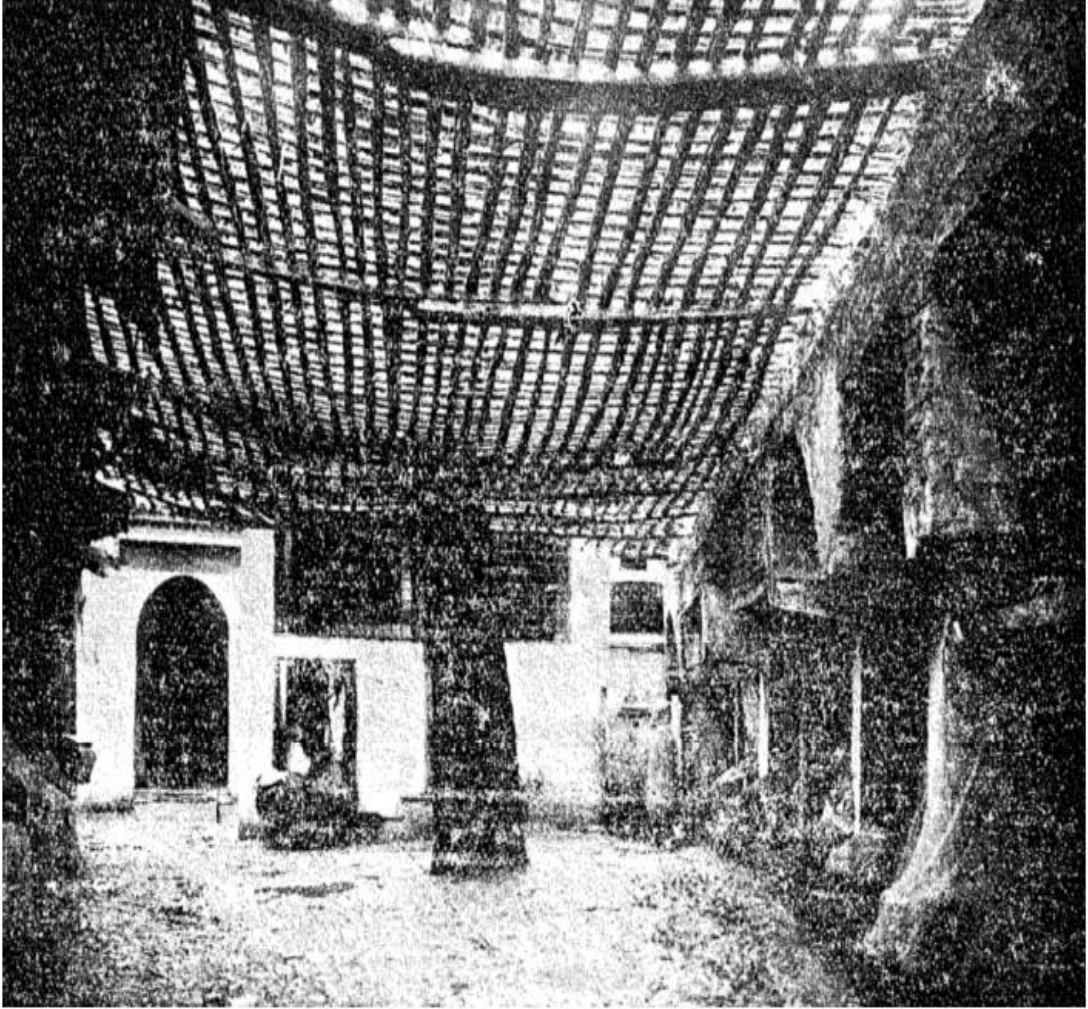
إجراء الأطباء لعملية قيصرية داخل المستشفى¹



¹ زيغريدهونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 568

الملحق رقم: 08

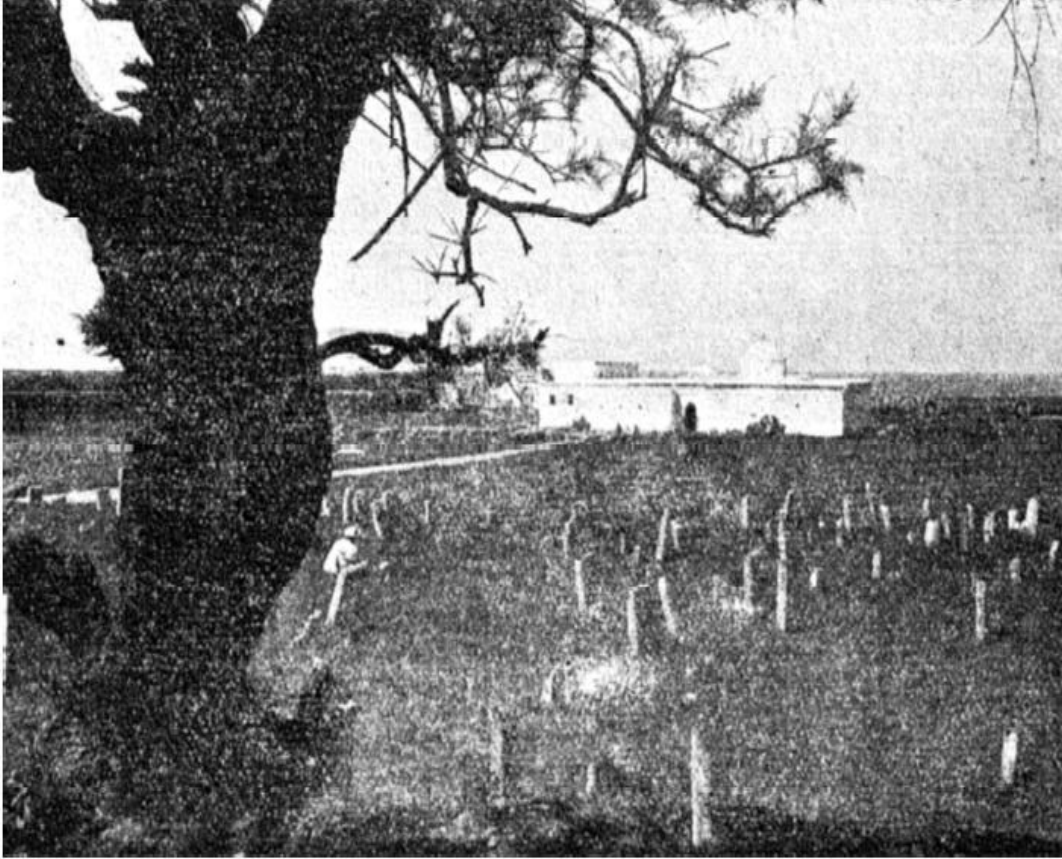
بیمارستان سیدی فرج بفاس¹



¹ عیسیٰ أحمد، المرجع السابق، ص 185.

الملحق رقم: 09

بیمارستان سلا (سیدی بن العاشر)¹



¹ عیسیٰ أحمد، المرجع السابق، 184.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المخطوطات

- الشریف الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، المكتبة السليمانية بإسطنبول، رقم 3610.

- أبو حنيفة، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية الرباط، رقم 938T.

أولاً: كتب الأحاديث الشريفة

▪ البيهقي: أبي بكر بن الحسين بن علي ت (458هـ/1066م).

- الآداب، تح: مجدي منصور سيد، بيروت (د، ط)، 1325 هـ/2004م.

▪ البخاري: إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (256هـ/870م).

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج7، ج8، ج9.

▪ الجراحي: إسماعيل محمد عبد الهادي العجلوني الشافعي (1162هـ/1749م).

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس فما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تصحيح: محمد عبد العزيز الخالدي، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج1، ط1971م.

▪ طنطاوي جوهري المصري ت 1357هـ/1938م).

- الجواهر في تفسير القرآن الكريم، تح: محمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت).

▪ الكاندهلوي محمد زكريا بن محمد بن يحيى (1402هـ/1981م).

- أوجز المسالك إلى موطأ مالك، تح: أيمن صالح شعبان، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت).

▪ ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد (273هـ/886م).

- سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج2، ص 1171.

▪ مسلم بن الحاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت (261هـ/875م).

-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج4، ص 1990م
تانياً، المصادر المطبوعة

▪ ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت (658هـ/1259م).

- التكملة لكتاب الصلاة، تح: عبد السلام الهراس، بيروت، دار الفكر، 1415هـ/1995 ج3.

▪ ابن أبي بكر الأزرق إبراهيم ابن عبد الرحمن ق9هـ.

- كتاب تسهيل المنافع في الطبّ والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام، تصحيح: محمد عبد الكريم النمري، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت).

- الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1985م، ج1.

- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة ت(668هـ/1269م).
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الفكر، (د، ط)، 1956م، ج1، ج3.
- ابن أبي زرع الفاسي كان حيا 729هـ/1328م.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، دار المنصورة للطباعة والوراقة (د، ط)، 1392هـ/1972م.
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: عبد الوهاب منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1420هـ/1999م.
- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي ت(807هـ/1404م).
- تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ/2001م.
- بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصورة للطباعة والوراقة، (د، ط)، 1972م.
- الإدريسي أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد الحمودي ت (560هـ/1164م).
- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات لجامعية، ط 1983.
- ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن الشيباني ت (606هـ/1209م).
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1982م، ج3.
- الأنطاكي داود عمر ت 1008هـ/1600م.
- بغية المحتاج في المجرب من العلاج، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، (د، ط) 1415هـ/1995م.
- الباديبي عبد الحق بن إسماعيل (650هـ/1252م).

- المنزع اللطيف والمقصد الشريف، تح: سعيد إعراب، الربط، المطبعة الملكية، ط1414هـ/2، 1993م.
- البيدق أبي بكر الصنهاجي ت(558هـ/1164م)
- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تح: ليفني بروفينسال، الرباط، دار المنصورة للطباعة والوراقة، (د، ط)، 1871م.
- أبي بكر الرازي محمد بن يحيى بن زكريا ت(313هـ/925م).
- الطب الروحاني، تق: عبد اللطيف العيد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (د، ط)، 1978م.
- البكري أبو عبدة عبد الله بن عبد العزيز ت(487هـ/1094م).
- المغرب في ذكر بلاد إفريقية المغرب، بغداد، مكتبة المثنى، (د، ط)، (د، ت).
- البلوي خالد بن عيسى الغرناطي ق 8هـ/14م.
- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تح: الحسن السائح، الإمارات العربية المتحدة (د، ط)، (د، ت)، ج1، ج2.
- ابن بسام الشنتريني أبي حسن علي ت(542هـ/1147م).
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، (د، ط) 1979، ج1.
- الدباغ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد ت(696هـ/1297م).
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد الأحمدى أبو النور ومحمد ماضي، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1388هـ/1968م، ج2.
- ابن دحية الكلبي أبو الخطاب عمر بن الحسن بن فروة الكلبي ت(633هـ/1236م).

- المطرب من أشعار أهل المغرب، بيروت، دار العلم للجميع، ط 1955م.
- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى ت (814هـ/1411م).
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 1401هـ/1501م ج1، ج5، ج6.
- ابن وردان.
- تاريخ مملكة الأغالبة، تح، محمد زينهم، محمد عزب، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1408هـ / 1988م.
- الزجالي أبي يحيى عبيد الله بن أحمد القرطبي ت (694هـ/1295م).
- أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، (د، ط)، ج2.
- ابن زهر أبو مروان عبد الملك بن زهر ت (557هـ/1162م).
- كتاب الأغذية، تح: اكيراثيو نغارثيا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، ط1992.
- التيسير في المداواة والتدبير، تح، يحيى مراد، بيروت، دارالكتب العربية.
- ابن الزيات التادلي أبي يعقوب يوسف بن يحيى (617هـ/1220م).
- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، ط2، 1997م.
- الزهري أبو عبيد الله بن محمد بن أبي بكر ق 6هـ/11م.
- كتاب الجغرافيا، تح: محمد الحاج الصادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط) (د،ت).
- ابن الحاج النميري إبراهيم بن عبد الله الغرناطي ت (774هـ/1372م).

- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة: محمد بن شقران، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م.
- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ت (852هـ/1449م).
- بذل الماعون في فضل الطّاعون، تح: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، الرياض دار العاصمة، (د، ط)، (د، ت).
- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي ت (367هـ/978م).
- صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ط، 1992.
- الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت (866هـ/1462م).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، بيروت، دار الجيل، ط2، 1988م.
- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ت (626هـ/1210م).
- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج1، (د، ط)، (د، ت).
- الحسن بن محمد الوزان الفاسي ت (960هـ/1554م).
- وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م، ج1، ج2.
- مارمول كربخال لويس دال ت (1008هـ/1600م).
- إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، الرباط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1404هـ/1984م، ج1.
- المراكشي لأبي محمد عبد الواحد بن علي ت (647هـ/1249م).
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د، ط).

- وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1997م.
- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكرت (380هـ/990م).
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ط2، 1906م.
- المقري أحمد بن محمد (1041هـ/1632م).
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، 1388هـ/1968م.
- ابن مريم التلمساني أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ق 11هـ/17م.
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر: ابن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، (د، ط)، 1326هـ/1908م.
- مجهول.
- أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تح: أبو العزم عبد الغني، مؤسسة الغني للنشر، (د، ط)، 2010م.
- مجهول.
- الاستبصار في عجائب الأمصار، تر: سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ط 1985.
- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت (733هـ/1333م).
- نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب: تح: مصطفى أبو ضياف أحمد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، (د، ط) 1984م، ج22.
- ابن السماك العاملي أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد ق 8هـ/14م.
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: عبد القادر بوبابية، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت).

- السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد ت (631هـ / 1234م).
- في آداب الحسبة، نشر: ليفي بروفينسال وجيم كولان، باريس، المطبعة الدولية، 1931م.
- ابن سينا أبي الحسن بن علي ت (427هـ / 1037م).
- القانون في الطب، بيروت، دار الكتب العلمية، ج 1 ط 1، 1420هـ / 1999م.
- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ت (463هـ / 1020م).
- بهجة المجالس وأنس المجالس، تح: محمد موسى الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت).
- ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي ق 5هـ / 11م.
- رسالة في القضاء والحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفينسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، (د، ط)، 1955م.
- العبدري أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود ق 8هـ / 14م.
- رحلة العبدري، تح: علي إبراهيم كروي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط 2، 1426هـ / 2005م.
- ابن العوام أبو زكريا يحيى ابن محمد بن أحمد الإشبيلي ت (539هـ / 1146م).
- كتاب الفلاحة، مدريد، (د، ط)، 1802.
- ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله ت (257هـ / 871م).
- فتوح إفريقية والأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 1964.
- أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس ت (745هـ / 1345م).

- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، 2004م ج1.
- عبد الملك بن صاحب الصلاة (594هـ/ 1198م).
- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م.
- العجلوني إسماعيل بن محمد عبد الهادي الجراحي (1162هـ/ 1749م).
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تصحيح، محمد عبد العزيز الخالدي، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج 1، ط 1971م.
- ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد ت (695هـ/ 1295م).
- البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ط2 1403هـ/ 1983م. ج4.
- قسم الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 6هـ/ 1985م.
- ابن القاضي أحمد المكناسي ت (1025هـ/ 1616م).
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د،ط)، 1973م.
- أبو القاسم محمد إبراهيم الغساني الوزير ت (1018هـ/ 1610م).
- حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تح: محمد العربي الخطابي، بيروت دار الغرب الإسلامي، ط1، 1410هـ/ 1980م.
- ابن قزمان أبو بكر (555هـ/ 1160م).

- ديوان ابن قزمان، تح: فيديريكو كورنتي، تق: محمود علي مكي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة المكتبة العربية، (د، ط)، (د، ت).
- ابن القطان أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي عاش منتصف ق 7هـ/13م.
- نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان، تح: محمود مكي، القاهرة، دار الغرب الإسلامي.
- ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (751هـ/1350م).
- الطب النبوي، تح: سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ط 2004م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلميّة، (د، ط)، (د، ت)، ج 3.
- القلقشندي أبي العباس أحمد (820هـ/1418م).
- صبح الأعشى، القاهرة، دار الكتب السلطانية، (د، ط) 1917م، ج 11
- ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ت (810هـ/1407م).
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: عبد المجيد التركي ومحمد الشاذلي النيفر، تونس، الدار التونسية للنشر، ط، 1968م.
- أنس الفقير وعز الحقيّر، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات الجامعة للبحث العلميّ، الرباط، كلية الآداب، 1965م.
- ابن رشد الجد أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد ت (520هـ/1126م).
- فتاوي ابن رشد، تح: المختار بن طاهر التاليلي، 1407هـ/1987م، ج 3.
- ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي ت (595هـ/1199م).

- الكليات في الطب، تح: عمار الطالبي وسعيد شيبان، الجزائر، شركة دار الأمة، ط2013م.

▪ التادلي أحمد الصومعي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن سالم بن عيد العزيز ت(1012هـ/1604م).

-كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تح: علي الجاوي، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، (د،ط)، 1996م.

▪ التميمي أبي عبد الله محمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم ت (604هـ/1207م).

- المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح: محمد الشريف، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، 2002م.

▪ التمكنكي أحمد بابا الصنهاجي ت (1036هـ/1627م).

-نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهراحة، طربلس، دار الكتاب، ط2، 2000م.

▪ ابن ثعري بردي أبو المحاسن جمال الدين (878هـ/1470م).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، تح: دار الكتب المصرية، (د،ط)، 1966م.

▪ أبو الخير الاشبيلي أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي ت (575هـ/1179م).

-عمدة الطيب في معرفة النبات، تح: محمد العربي الخطابي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1995، ج1.

▪ ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان بن محمد الإشبيلي ت (808هـ/1405م).

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الطباعة للنشر والتوزيع، ط4، 1421هـ/2000م، ج6.
- مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار يعرب، 1425هـ/2004م، (د، ط)، ج1. ج2.
- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت (671هـ/1273م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د، ط)، 1497هـ/1987م، ج3، ج4، ج5. ج6.
- 52-ابن الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني الغرناطي ت(776هـ/1375م).
- مقنعة السائل عن المرض الهائل، تح: حياة قارة، الرباط، ط1، 1436هـ/2015م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تق: يوسف علي الطويل، بيروت، بيروت، دار الكتب العلميّة، (د، ط)، 1424هـ/2003م، ج3.
- الذهبي أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت (748هـ/1347م).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلميّة، (د، ط)، (د، ت)، ج1.
- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد البجائي ت (704هـ/1304م).
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971م.

المعاجم

▪ أحمد عطية الله.

- القاموس الإسلامي، القاهرة، (د، ط)، 1963م مجلد1، (د، ط)، (د، ت).

▪ مجمع اللغة العربية.

- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004م.

▪ أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا.

-معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ج5.

▪ الكرباسي محمد طارق محمد.

-معجم المشاريع الحسنية، لندن، المركز الحسيني للدراسات، ط1، 1440هـ/2019م، ج3.

▪ ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 630هـ/1233م

-لسان العرب، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د، ط)، 1436هـ/2015م، ج1.

لسان العرب، تح: عامر احمد حيدر، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط2، 2009م ج11.

▪ الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب.

-القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ/2005م.

الموسوعات

■ أحمد محمد كنعان.

- الموسوعة الطبّية الفقهيّة، تق: محمد هيثمّ الخياط، بيروت، دار النقاش، (د، ط).

■ سامح كريم.

- موسوعة أعلام المجددين في الإسلام حتى ق الثاني عشر للهجرة، مصر، مكتبة الدار العربية. (د، ط)، (د، ت).

ثالثاً، المراجع باللغة العربية

■ أحمد سوسة.

- الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية، الباب الثاني، بغداد، مؤسسة كولبنكيان المهندسين العراقيين، (د، ط)، 1973م.

■ أيمن السيد عبد اللطيف.

الحياة الثقافية في المغرب في عهد الدولة الزييرية، ديمشق، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط)، (د، ت).

■ أسكان الحسين.

المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمال المغرب، الجديدة دار المنظومة، 2002م.

■ الباروني سليمان بن عبد الله.

- الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة للطباعة والنشر.

■ بولقطيب الحسين.

- جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحّدين، الدار البيضاء، منشورات الزمن، (د، ط).

- البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعيّة وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6-8هـ / 12-14م)، بيروت، دار الطليعة، ط1، 2008م.

- أثر الكوارث الطبيّة في المجال الاقتصادي بالمغرب والأندلس، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1434هـ.
- بيغلهور وبونيتا.
- الكتاب الطّبيّ الجامع (أساسيات علم الوبائيات)، تر: كيلستروم، سويسرا، منظمة الصّحة العالميّة، ط 1983.
- بوتشيش إبراهيم القادري.
- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت، دار الطليعة، (د، ط).
- الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصر المرابطين والموحّدين -مساهمة في دراسة الفكر الاجتماعي للبلدان المتوسطية، مكناس، كلية الآداب، (د، ط) (د، ت).
- المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع، الذهنيات، الأولياء، لبنان، دار الطليعة، ط1، 1993م.
- جابر بن سالم القحطان.
- الطبّ البديل مكمل للطب الحديث، الرياض، العبيكان للنشر، (د، ط)، (د، ت).
- جمال الدين عبد الله محمد.
- الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1411هـ/1991م.
- جمال يحيوي.
- سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيّين 1492هـ/ 1610م، دار هومة، (د، ط)، 2004م.
- الهادي روجي.

- الدّولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م،
تر، حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج 1، ط1، 1992م.
▪ الزركلي خير الدين.
- الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، ج6.
▪ الحريري محمد عيسى.
- الدّولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس
160 هـ - 296م، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، 1408هـ/1987م.
▪ حركات إبراهيم.
- المغرب عبر التاريخ، دار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1، 1984م، ج1، ج2.
▪ حسن علي حسن.
- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين،
القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1980م.
▪ حقي محمد.
- الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة
مانبال، ط2007م.
▪ حسن محمود حسن.
- قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور
الوسطى، القاهرة، در الفكر العربي، (د، ط)، (د، ت).
▪ طاش كبري زادة وأحمد بن مصطفى.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، بيروت، دار بن
حزم، 1413هـ/2010م.
▪ طه جمال.

- الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصر المرابطين والموحدين)، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2018م.
- بن حمادة سعيد.
- الماء والإنسان في الأندلس، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، (د، ت).
- يايوش جعفر وغازي الشمري.
- الطيّب ابن زهر الأندلسي رائد التجريب، بيروت، دار الكتب العلميّة، (د، ط)، 1439هـ/ 2017م.
- محمد حسين كامل.
- الموجز في تاريخ الطبّ والصيدلة عند العرب، منتدى سور أزيكية، (د، ط)، (د، ت).
- محمد محمود محمودين.
- التراث الجغرافي الإسلامي، السعودية، دار العلوم للطباعة والنشر، ط3، 1419هـ/ 1999م.
- مؤنس حسين.
- معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار الرشاد، ط5، 1421هـ/ 2000م.
- النجار عبد الوهاب.
- الخلفاء الراشدون، در الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (د، ط).
- السلاوي أبي العباس شيهاب الدين أحمد بن خالد بن حماد الناصري.
- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: محمد عثمان، بيروت، دار الكتب العلميّة، (د، ط)، (د، ت) للكتاب، (د، ط)، 2010م، ج2
- السلماني عبد الله طه.
- الدويلات الإسلامية في المغرب، عمان، دار الفكر، (د، ط)، 1435هـ/ 2014م.

- سعدون نصر الله عباس.
- - دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1985م.
- عبد الله حمادي.
- الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492هـ / 1616م، الجزائر، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط2، 2011م.
- عبد العزيز مخيمر ومحمد الطعامنة.
- الاتجاهات الحديثة في إدارة المستشفيات المفاهيم والتطبيق، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، (د،ط)، 2003م.
- عبد الرزاق أحمد.
- الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى (العلوم النقلية)، القاهرة، دار الفكر العربي، ط، 1411/1991هـ.
- عبد العزيز سالم.
- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، (د، ت).
- العزاوي عبد الرحمان حسين.
- المغرب العربي في العصر الإسلامي، عمان، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط1، 1432هـ - 2011م.
- عز الدين عمر أحمد موسى.

- دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، بيروت، دار الشروق، ط1، 1403هـ/1983م.

▪ العكاوي رحاب خضر.

الموجز في تاريخ الطبّ عند العرب، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، 2000م.

▪ فيلاي عبد العزيز.

- تلمسان في العهد الزياني، الجزائر، موفم للنشر، (د، ط)، 2002م.

▪ الصلابي محمد علي

- إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحّدين، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1.

▪ قرنر كورل.

- طبائع الناس وطرق التعامل معهم (تطبيق علم النفس في مكان العمل وفي الأسرة)، تر: عمار قسيس، دمشق، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2014م.

▪ راغب السرجاني.

- قصة العلوم الطبيّة في الحضارة الإسلامية، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1430هـ/2009م.

▪ شوقي الجمل.

- المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري، القاهرة، 2221، د ط.

▪ شعبان خلف الله.

- الأمراض السارية التي تنتقل إلى الإنسان من الحيوانات ومنتجاتها (الأمراض البكتيرية)، بيروت، دار الكتب العلميّة، (د، ط)، (د، ت).

▪ ثامر ياسر البكري.

- تسويق الخدمات الصحيّة، الأردن، دار اليازور العلميّة، (د، ط)، 2005م، ص 168.

▪ خطاب محمود شيت.

- قادة الفتح الإسلامي، بيروت، دار الفكر، ج 2، ط 7، 1404هـ / 1984م.

▪ -الخطابي محمد العربي.

- الطبّ والأطبّاء في الأندلس الإسلامية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، (د، ت).

▪ الخربوطي على حسن.

-الإسلام وأهل الذمة، القاهرة، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، ط، 1389هـ/1969م.

رابعاً: الرسائل

▪ باوزير منال أبو بكر سعيد.

- ألفاظ الأمراض في القاموس المحيط، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1427هـ/

1428هـ.

▪ بختة خليلي.

- الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (1315م) واقعه

وأثاره، رسالة دكتوراه، جامعة اسطنبولي معسكر، 2015-2016م.

▪ حمولة فيروز.

- المتغيرات الاجتماعية لتصور المرض وأساليب علاجه، رسالة دكتوراه، جامعة، محمد

خيزر بسكرة، سنة 1336-1335هـ / 2013-2014م.

▪ مزدور سمية.

- المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (927-588هـ/1192-1520م)، مذكرة ماجيستر، جامعة منتوري، 1429-1430هـ/2008-2009م.
 - نجار فتيحة فليح عبد الكريم.
- الأمراض والخدمات الصحيّة في مناطق مختارة من محافظة رام الله والبيرة -دراسة في الجغرافيا الطبيّة، رسالة ماجيستر، جامعة النجاح الوطنية فلسطين، سنة 2008.
 - شقدان بسام كامل عبد الزراق.
- تلمسان في العهد الزياني، رسالة ماجيستر، جامعة نابلس، فلسطين، إشراف هشام بورميلة، 1422هـ، 2002م.
 - الشريف محمد سيدي موسى.
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحّدين إلى الاحتلال الإسباني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1430هـ/2009م.
 - بن الذيب عيسى.
- المغرب والأندلس في عهد المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، سنة 1429-1430هـ/2008-2009م.
 - خامساً المجالات
 - بوتشيش أمينة.
- نظرية علم الأمراض وأساليب التشخيص عند الأطباء المسلمين، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، العدد 02، 2015م.
 - حددي أحمد.
- أخبار الأوبئة والأمراض في الرحلات السفارية المغربية، مجلة كنانيش، جامعة محمد الأول، العدد 3، 2001م.
 - بن حمادة سعيد.

- الصحة العقلية والنفسية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 03، 2014م.

▪ الدباغ فخري.

- السلوك والإنسان الحقيقة والخيال ، مجلة العربي، مصر، 1976 .

▪ عباس رشيد.

- النظام الغذائي زمن المجاعات والأوبئة، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 08، المجلد 04.

▪ -شخوم سعدي.

- المنافع البينة وما يصلح في الأربعة أزمنة لمحمد بن علي بن باديس الصنهاجي، عصور جديدة، العدد 18، سنة 1436هـ / 2015م.

▪ . سادساً: المراجع الأجنبية

- -Danielle Jacquard et Françoise Micheau.
- La Médecine Arabe et l'occident Médical Maison neuve et la rose.1990.
- -Brosslard (ch).
- Les inscriptions Arabe de Tlemcen. Revue a Fric aine. N: 14.3 eme. Année1859. Alger.
- Le Goff (J), Trucong (n).
- une histoire du Corps au Moyen Age, LianaTevi, France, 2003.

فهرس الأعلام

- أبي بكر بن عمر.....36
أبي حفص عمر ابن مكيّسوط الدغدوغي..162
أبو حفص يحي الهنتاتي.....43
أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن.....44
أبو سعيد عثمان بن يعقوب.....182
أبو عامر ابن الشهيد الأندلسي.....178
أبو غالب النيسابوري.....119, 162
أبو محمد بن يحي بن يجاتن الزنات.....162
أبو محمد عبد الغفور.....114
أبو يعزي.....113,, 119, 162, 167, 239
117, 158, 160, 161
أحمد المعافري القرطبي.....178
أحمد بن الحسين الفاسي.....84
أحمد بن محمد بن مفرج الإشبيلي ابن الرومية
148
إدريس الثاني.....26
إدريس المأمون.....62
إسحاق بن عمران الإسرائيلي.....101
الحسن بن علي.....48, 236.32
السعيد علي أبو الحسن.....42
ألفونسو.....38, 202, 203
المأمون بن المنصور.....42
المعز بن باديس.....27, 32
المعز بن عطية 33
المهدي بن تومرت 38, 39, 41, 43, 232
الناصر بن علناس.....34
باديس بن المنصور.....32, 34
بلكين.....31, 32, 33, 34
بن عيسى بن محمد التادلي.....83
تميم بن المعز.....32
تميم عبد الرحمان الهزميري.....116
ابن يعقوب بن يوسف المبتلى.....95
ابن الرومية.....149
ابن جزلة.....203
ابن رشد.....48, 54, 77, 84, 105, 204, 215, 238
ابن زكريا يحي التادلي.....81
ابن زهر48, 49, 50, 58, 63, 64, 72, 73, 74, 83, 84, 94, 105, 108, 124, 126, 132, 135, 136, 138, 139, 174, 214, 233, 245
ابن سينا 48, 56, 197, 198, 202, 206, 216, 236
ابن عبد الرؤوف.....165
أبو الحسن علي بن أيوب.....115
أبو العباس السبتي.....113
أبو العباس السبتي.....160
أبو المهدي.....172
أبو بكر بن زهر.....105
أبو بكر بن عمر.....37
أبو جعفر بن هارون التراجالي.....83
أبو حفص عمر ابن مكيّسوط الدغدوغي 118
أبو حفص عمر المرتضى.....42
أبو دبوس الواثق بالله.....42
أبو عبد الله التاودي.....117
أبو عبد الله بن يعقوب المنصور.....42
أبو علي الرجراجي.....173
أبو لقمان يزرجان ابن يعقوب الأسود 115
أبو محمد عبد الله الناصر.....42
أبو محمد مع الله بن يحي بن يجاتن الزنات
118
أبو يعقوب يوسف.....42, 95, 105
أبو يوسف يعقوب المنصور.....42

- جبرارد الكريموني الإيطالي.....202
حماد.....17, 32, 33, 34, 102, 215, 245
روجر الثاني.....11, 201
سليمان بن يحيى.....176
عبد السلام التونسي.....174
عبد الله العبدوسي.....163
عبد الله بن عيسى بن صقر.....115
عبد الله بن ياسين.....36, 37
عبد الله محمد الجناتي.....113, 159
عبد الملك بن قاسم القرطبي.....105
عبد المؤمن بن علي الكومي.....39, 40, 41, 94, 95
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن.....42
علي بن عباس المجوسي.....200
علي بن يحيى.....32, 141
عمر بن معاذ الصنهاجي.....160
فريدريك الثاني.....201
قسطنطين الإفريقي.....201
لأبي عامر ابن الشهيد الأندلسي.....178
للحسن بن الهيثم.....202
- محسن بن القائد.....34
مسعود بن واندلين.....36
وابن النفيس.....205
وابن رشد الحفيد 105
وأبو بكر عبد الحق 45
وأحمد بن أبي عبد الله بن عمر القيسي السبتي 83
وجاج بن زلو اللمطي 114, 162
وعبد الحق بن محيو المريني 45
يحيى بن العزيز.....34
يحيى بن الناصر.....42
يحيى بن تميم.....32, 141
يحيى بن عمر.....35, 36
يحيى بن عمر الجدالي.....36
يحيى بن محمد الناصر.....62
يوحنا بن ماسويه.....203
يوسف المستنصر الموحي.....182
يوسف بن تاشفين, 23, 27, 28, 29, 30, 37, 38, 91, 147, 180, 213, 246
يوسف بن فتوح العشاب.....148
يوسف بن يعقوب المريني.....175

فهرس الأماكن

18 آشير	المغرب الأقصى .. 15, 16, 19, 24, 28, 31, 34,
21 أعمدة هرقل	38, 42, 43, 46, 48, 50, 91, 100, 124, 177, 188, 246
12, 16, 21, 23, 30, 97, 200, 234, 235.. إفريقيا	المغرب الأوسط 17
12, 18, 19, 22, 23, 27, 28, 29, 30, 33, إفريقيا	المهدية 18, 23, 44, 49, 143, 217
34, 44, 48, 64, 71, 94, 97, 101, 107, 111, 146, 153, 180, 224, 232, 233, 237, 244	أوربا 21, 31, 59, 65, 160, 177, 198, 199,
16, 19, 22, 81, 105, 111, 123, الإسكندرية	200, 201, 203, 204, 205, 207, 209, 210, 260
126, 245, 247	إيطاليا 20, 200, 202, 203, 208
2, 10, 20, 21, 22, 24, 27, 29, 31, 32, الأندلس	بجاية 11, 18, 20, 27, 43, 44, 60, 96, 103,
40, 41, 56, 59, 61, 67, 83, 84, 100, 104, 105, 111, 112, 113, 114, 136, 137, 157, 167, 196, 200, 201, 203, 208, 210, 233, 235, 245, 246, 248	104, 107, 117, 153, 218, 222, 224, 225, 249
16 البحر الرومي	بحر الزقاق 16
16, 19 البحر الرومي	برقة 21, 22, 178
17 الجزائر	بسكرة 18, 63, 150, 249
1 الجمهورية	بونة 17
18, 27, 28, 35, 48 الزاب	تازا 17, 156, 186
16, 17, 22, 27, 40, 116, 130, 165 السّوس	تلمسان, 18, 24, 34, 36, 40, 42, 46, 47, 48, 72, 86, 108, 167, 173, 176, 177, 178, 185, 186, 191, 196, 247, 249
18, 19, 23, 27, 29, 75, 101, 102, القيروان	تونس, 18, 23, 27, 34, 44, 46, 107, 111, 141, 177, 204, 221, 238
116, 136, 153, 170, 218, 232	جبل أوراس 18
18, 27, 35, 36 المسيلة	جبل درن 15, 18
1, 3, 5, 6, 8, 13, 14, 15, 16, المغرب الإسلامي	خرسان 152
19, 20, 25, 29, 32, 41, 45, 49, 50, 61, 58, 68, 73, 80, 88, 91, 92, 94, 95, 98, 100, 101, 112, 113, 117, 128, 139, 146, 149, 154, 159, 172, 177, 187, 194, 195, 203, 211, 213, 215, 247, 258, 259, 250	درعة 17
	سجلماسة . 17, 22, 23, 28, 33, 34, 39, 48, 82, 95, 124, 145, 178

سرقسطة 41, 84	161, 171, 172, 180, 181, 190, 191, 219, 221, 231, 237, 239
سلا 16, 17, 40, 117, 157, 180, 219, 220, 233	قسنطينة 17, 23, 24, 29, 44, 46, 142, 234
سوسة 18, 242	مصر ... 8, 16, 20, 21, 22, 23, 31, 33, 34, 43,
صحراء نستر 17	49, 93, 174, 191, 200, 221, 224, 231, 235, 239, 242, 247, 250
صقلية 11, 22, 94, 107, 201, 202	مكناس 17, 118, 153, 243
طرابلس 19, 21, 23, 29, 44	نهر ملوية 24
طنجة 16, 23, 68	نول 16
فاس, 8, 10, 17, 25, 28, 32, 35, 39, 40, 43, 49,	
59, 62, 64, 68, 70, 72, 84, 105, 115, 116,	
118, 136, 145, 149, 150, 152, 153, 156,	
و	
وادي شلف 37,	
وادي ملوية 16	
تادلا 15	
وهران 17 16, 29, 37, 40	

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس الموضوعات

	فهرس الموضوعات
12-01	مقدمة
13	فصل تمهيدي: مفاهيم واصطلاحات حول (بلاد المغرب الإسلامي، الأمراض، الخدمات الصحيّة)
14	أولاً: توطئة عامّة لبلاد المغرب الإسلامي ق5هـ - 7هـ/11م - 13م
13	1-الجغرافيا والسكان لبلاد المغرب الإسلامي
30	2-الوضع السياسي لبلاد المغرب الإسلامي خلال ق5هـ - 7هـ/11م - 13م.
47	ثانياً: الأمراض والخدمات الصحيّة بين المفهوم والدلالة
47	1-الأمراض
52	2-الخدمات الصحيّة (الطبيّة)
57	الفصل الأول: أمراض بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م
58	أولاً: قراءة في الأسباب وعوامل انتشار الأمراض
58	1.الأسباب الطبيّة والبشرية للأمراض والأوبئة
59	1.1.الأسباب البشرية.
68	2.1. الأسباب الطبيّة
77	2.التفسير الطبّي والديني لأسباب الأمراض والأوبئة
77	1.2.أسباب الأمراض من المنظور الطبّي
78	2.2.الرؤية الدينية لأسباب الأمراض
79	ثانياً: الخريطة المرضية لبلاد المغرب خلال ق5-7هـ/11-13م

80	1. الأمراض العامّة في بلاد المغرب.
80	1.1. الأمراض والعلل الجسمانية
91	2.1. الأمراض النفسيّة
93	2- الأمراض الوبائيّة في بلاد المغرب
94	1.2. الأوبئة الواقعة في بلاد المغرب الإسلامي خلال ق5-7هـ/11-13م.
98	الفصل الثّاني: الخدمات الطّبيّة لمعالجة الأمراض والأوبئة
99	أولاً: التعاملات الطّبيّة وصناعة الأدوية
99	1. التعاملات الطّبيّة
99	1.1. الطّب العلميّ
112	2.1. طّب الصّلحاء
120	3.1. الطّب الشعبيّ
123	2. صناعة الأدوية في بلاد المغرب
123	1.2. الصّناعة الصيدلّانية
127	2.2. دور الأعشاب والعقاقير
130	ثانياً: طرق وأماكن العلاج في بلاد المغرب
130	1. طرق العلاج
131	1.1. الوقاية
139	2.1. الطّرق التّقليدية الشعبيّة للعلاج
147	2. أماكن العلاج

148	1.2. المنازل ومصحات القصور
149	2.2. البيمارستانات
156	الفصل الثالث: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الحياة العامة في بلاد المغرب
157	أولا: انعكاسات الأمراض والأوبئة على الجوانب الحضارية في بلاد المغرب
157	1. انعكاسات الأمراض والأوبئة على المجال الاجتماعي و السياسي
183	2. انعكاسات الأمراض والأوبئة على المجال الاقتصادي والثقافي
194	ثانيا: التطور الطبّي في بلاد المغرب وأثره على الطبّ في أوروبا
196	1.2. طرق التأثير العلميّ في المجال الطبّي للمسلمين على أوروبا
200	2.2. حركة الترجمة ودورها في نقل العلوم الطبيّة إلى أوروبا
209	خاتمة
212	الملاحق
229	قائمة المصادر والمراجع
250	فهرس الأعلام
255	فهرس الأماكن
258	فهرس الموضوعات
261	الملخص

المخلص

تعالج هذه الدراسة عموماً، أهم الأمراض والأوبئة التي اجتاحت بلاد المغرب الإسلامي خلال فترة القرن 5-7هـ/11-13م، ثم ما يقابلها من جهود طبية، وعلاجات متنوعة، للحد من هذه الأمراض أو الأوبئة التي اجتاحت البلاد، وبالمقابل التطرق لجهود السلطة في كيفية القضاء أو الحد من هذه الأمراض والأوبئة وما تخلفه من آثار سلبية في المجتمع.

وقد حاولت هذه الدراسة أن تعطي إحصاء حول الأمراض و الأوبئة خاصة التي عرفها المغاربة خلال الفترة المدروسة، بعرض كرونولوجي، والغرض كان هو محاولة معرفة الفترة الزمنية التي اشتد فيها المرض والوباء، ومقارنتها بالوضع السياسي، لمحاولة الخروج بتفسير حول علاقة التي يمكن أن تتجسد بوضع الدولة ونسبة المرض، لكن غياب الإحصاء الحقيقي حال دون ذلك وكان الاعتماد على إشارات في محاولة التفسير.

أما فيما يخص الخدمات الصحيّة، فقد تنوعت بين ما هو علمي يستند إلى معرفة مأخوذة من الكتب الطبيّة القديمة، وبين ما عرف عند طبقة المتصوّفة من كرامات أو معرفة لمفعول الأعشاب والعقاقير، ثم فئة الشعبين الذين كان لهم تدخل في الجانب الصحي باستخدام الأعشاب والعقاقير والعلاجات الطبيّة التي كانت رائجة في تلك الفترة.

ومن النتائج التي خرجت بها الدراسة، هو الآثار العامّة المترتبة على الأمراض والأوبئة، فقد أثرت على الحياة الحضارية في المجتمع، وبرزت ظواهر متعددة تراوحت بين القبول والنفور، ثم بالتأكيد حدوث تطور في الطبّ لعلاج مختلف الأمراض، وقد

حاولت أن أشير إلى أن تطور الطبّ على عموم الفترة الوسيطة كان بمثابة نقل للحضارة الطيّبة التي عرفتّها الأمم السابقة، بل و تقديم إضافات وابتكارات مهدت لبروز الطبّ الحديث.

the summary

This study deals, in general, with the most important diseases and epidemics that swept the countries of the Islamic Maghreb during the period of the 5-7th century AH / 11-13AD, then the corresponding medical efforts and various treatments, to reduce these diseases or epidemics that swept the country, and in return it addresses the efforts of the authority in how Eliminate or reduce these diseases and epidemics and their negative impacts on society.

This study tried to give statistics about diseases and epidemics, especially those that Moroccans knew during the studied period, with a chronological presentation. The percentage of disease, but the absence of real statistics prevented this and reliance on signs in an attempt to explain.

As for health services, it varied between what is scientific based on knowledge drawn from ancient medical books, and between what was known by the Sufi class in terms of dignities or knowledge of the effect of herbs and drugs, then the two people who had an intervention in the health aspect by using herbs, drugs and natural remedies that It was popular at the tim.

Among the results that came out of the study is the general effects of diseases and epidemics, as they have affected civilized life in society, and multiple phenomena have emerged, ranging between acceptance and aversion, then certainly the development of medicine to treat various diseases, and I have tried to point out that the development of medicine is based on The general intermediate period was a transfer of the medical civilization known by previous nations, and even the introduction of additions and innovations that paved the way for the emergence of modern medicine.